عز الدين البوشيخي

التواصل اللغوي

مقاربة لسانية وظيفية





عِزّ الدّين البُوشيخي

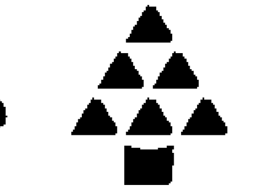
التّواصُل اللّغُوي

مُقاربَة لِسانيّة وظيفيّة

(نحوَ نموذج لمُستعمِلي اللّغات الطّبيعيّة)



تأسست ١٩٤٤



مكتبة لبنان ناشرون

صَائِغ
تأسست ١٩٤٤
مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
www.ldlp.com
info@ldlp.com
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ٢٠١٢
ISBN 978-614-422-071-9
طبع في لبنان

تصدير

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد المُتوكِّل

من أهم التطورات التي طرأت على الدرس اللساني الحديث في العقود الخمسة الأخيرة تحوُّلُ موضوعه من الوقائع اللغوية إلى مستعمل اللغة الطبيعية ذاته لاستكشاف الطاقات اللغوية وغير اللغوية، المنطقية والإدراكية والاجتماعية وغيرها، التي تُقدره على إنتاج الخطاب اللغوي وتأويه.

وقد اقتُرحت في هذا الباب عبر تطور نظرية النحو الوظيفي، بدءًا من النموذج المعيار إلى نموذج النحو الوظيفي الخطابي، صياغات مختلفة لنموذج مستعمل اللغة الطبيعية. وأسهم اللسانيون الوظيفيون في وضع هذه الصياغات، إن بالانتقاد أو بالتعديل أو بالإغناء. ويُعد بحق الأستاذ الدكتور عز الدين البوشيخي من اللسانيين المغاربة الذين أوْلوا اهتمامًا بالغًا بهذا الموضوع، بل كادوا يختصون فيه.

وفي الكتاب الذي بين أيدينا عَرْض ضافٍ ودقيق لما اقتُرح في إطار نظرية النحو الوظيفي وانتقاد مُركَّز لهذه الاقتراحات، وتقديم بديل عنها يطور معرفتنا بالقدرة التواصلية ومكوناتها واشتغالها عبر بناء نموذج مستعمل اللغة الطبيعية بناء يتوق إلى تحقيق الكفاية النفسية في هندسته وقوالبه وتعالقاتها.

إن هذا الكتاب، في نظري، بحث أساسي ومُؤسِّس في مجال النمذجة الوظيفية خاصة، وبناء الأنحاء عامة.

الرباط، ١٨/ ١١/ ٢٠١٠

أحمد المُتوكِّل

المقدمة

من أهم المنطلقات الفكرية للثورة اللسانية الحديثة أن "اللغة مرآة العقل"، وأن السبيل إلى معرفة خصائص العقل البشري - تبعًا لذلك - هو التمكن من معرفة خصائص اللغة الجوهرية.

سيُعنى علم النفس المعرفي بدراسة الملكات الذهنية التي يتكون منها العقل البشري عامة؛ في حين ستعنى اللسانيات بدراسة الملكة اللغوية خاصة. والهدف العلمي المشترك هو بناء نظرية تفسيرية للعقل البشري؛ إذ يضطلع علم النفس المعرفي بإقامة نظرية لكل ملكة من الملكات الذهنية التي تشكل موضوع اهتمامه، وتتكفل اللسانيات - وهي فرع منه - بإقامة نظرية (أي نحو) للملكة اللغوية.

في هذا الإطار العام يُحرص على أن يستجيب النحو لشروط النَّمْذجة والصياغة الصورية والحَوْسبة؛ إذ النحو نموذج يجب أن يحاكي قدرة المتكلم اللغوية، فيعكس ما يقوم في عقله أثناء إنتاج الكلام وفهمه، ولا يتصادم مع ما تم إثباته عن ذلك في ميدان اللسانيات النفسية. والنحو - بحكم كونه نموذجًا - يجب أن يكون مصوغًا صياغة صورية احترازًا من الالتباس وتعدد التأويل الذي تسمح به اللغة العادية، وطلبًا لتوفير أقوى مظاهر الدقة والصرامة في صياغة قواعده ومبادئه، ودعمًا لإمكان حوسبته.

والنحو - بوصفه الجهاز الصوري الذي يُمكن من إنتاج الكلام وفهمه - مدعو لأن يثبت كفايته الحاسوبية حتى يتحقق بناء حاسوب يحاكي المخلوقات البشرية في جانب معرفة اللغة واستعمالها. فليس النحو - إذن - عبارة عن مجموعة من القواعد والمبادئ مصوغة بأي طريقة، وإنما هو نظرية للملكة اللغوية ذات توجه ذهني، وذات قيمة تفسيرية.

وبالنظر إلى مضمون الملكة اللغوية تتفرع اللسانيات إلى توجهين كبيرين اثنين: توجه توليدي يحصر مضمون الملكة اللغوية في القدرة النحوية، بالمفهوم الضيق للنحو. وتوجه وظيفي يُغني مضمون الملكة اللغوية بتصورها قدرة تواصلية. على هذا الأساس، وُجِّه برنامج التوليديين لإقامة نموذج يحاكي قدرة المتكلم النحوية في حين وُجِّه برنامج الوظيفيين لتمثيل قدرة المتكلم التواصلية.

وقد انشغلنا في هذا الكتاب أساسًا بالإجابة عن الأسئلة المركزية الآتية:

- ما الذي يُمكِّن المخلوقات البشرية من إقامة التواصل بينها بواسطة اللغة؟
- وكيف تنجح في إقامة هذا التواصل؟
- وإذا كانت هذه المخلوقات مهيأة فطريًّا للقيام بذلك بفضل توفرها على قدرة خاصة بها، فما هي طبيعة هذه القدرة؟
- وما هي مكوناتها؟
- وكيف تتفاعل هذه المكونات فيما بينها؟
- وهل ترتبط هذه القدرة بعلاقة مع غيرها من أنساق العقل الأخرى؟
- وبأية طريقة؟

إحدى الطرق المؤدية إلى معالجة هذه الأسئلة معالجة علمية تتمثل في إعادة صياغتها كالآتي:

- كيف نتمكن من بناء نموذج يحاكي ما تقوم به المخلوقات البشرية حال استعمالها اللغة للتواصل فيما بينها؟
- ما هي بنية هذا النموذج؟
- وما هي القوالب التي يتألف منها؟
- وكيف تتعالق فيما بينها؟
- وبأية لغة يتم هذا التعالق؟

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسئلة تشكل الهاجس المشترك - في الوقت الراهن - بين زمرة من ألمع الباحثين اللسانيين ذوي النزعة الوظيفية (ديك، والمتوكل، وكونولي، وهنخفلد، وكاهر، وفيخند، وميخ، وكوي، وينسن، ومكنزي وغيرهم).

وإذا كانت جهودهم - من قبل - اتجهت إلى بناء أنحاء وظيفية هي عبارة عن إجابات جزئية عن بعض هذه الأسئلة، لأنها تروم التمثيل للمكون النحوي فحسب، فإن الرهان - اليوم - قائم على بناء نموذج لا يمثل فقط للطاقة اللغوية، وإنما يمثل لكل الطاقات التي تساهم في إقامة التواصل بين المخلوقات البشرية.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى تقوية هذا الطموح ثلاثة على الأقل، هي:

أ - ظهور مصطلح "القدرة التواصلية" واتساع مجال استعماله، وما صاحب ذلك من انجذاب عدد متزايد من اللسانيين نحو البحث في تحديد طبيعة هذه القدرة ومكوناتها وما يتعلق بها.

ب - التقدم الذي أحرزته اللسانيات الوظيفية والمتجلي - بصفة خاصة - في بناء نحو وظيفي

(ديك ١٩٧٨ و١٩٨٩ و١٩٩٧) يستجيب بدرجة عالية لشروط النمذجة والصياغة الصورية والحوسبة.

ج - تمتين العلاقة بين اللسانيات وعلم الحاسوب عبر تطوير الوسائل الحاسوبية التي يمكن استخدامها في بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

وقد شجعت هذه العوامل وغيرها على إقامة مشروع مستعملي اللغات الطبيعية على يد ديك (١٩٨٩ و١٩٩٧)، وشُرع منذئذ في بحث تفاصيل تحقيقه: تحديد بنية هذا النموذج، وتحديد مكوناته أو قوالبه، وتحديد أنماط التعالق القائمة بينها، وتحديد كيفية هذا التعالق.

أما منهج العمل الذي سنتبناه فيقوم أساسًا على عرض مجموع الافتراضات المقترحة وفحصها وتمحيصها لإثبات القوي منها الذي يستعصي على الدحض، والاستعاضة عن الضعيف منها بافتراضات بديلة نقترحها. كل ذلك استنادًا إلى تحليل معطيات لغوية متنوعة: عربية وإنجليزية وغيرها. وفي هذا دلالة على أن الرصيد اللغوي المعتمد رصيد مفتوح تتحكم في تحديده الحاجة الاستدلالية. وتحليل هذه المعطيات هو وحده الكفيل بدعم هذا الافتراض أو ذاك؛ إذ لم يعد مقبولًا علميًا الاطمئنان إلى أفكار وتأملات حرة من أي قيد ومفتقرة إلى أي دليل.

وقد ارتأينا - بالنظر إلى الأهداف المُحدَّدة أعلاه - تقسيم فصول هذا الكتاب إلى أربعة، هي:

- من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية.
- القالبية وبناء نموذج مستعمل اللغة الطبيعية.
- مُكوِّنات نموذج مُستعمِل اللغة الطبيعية.
- بنية نموذج مُستعمِل اللغة الطبيعية وطريقة عمله.

نستهدف من الفصل الأول بيان أهم الدلائل التي قُدمت لصالح التحول من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية، وما صاحب هذا التحول في موضوع النظرية اللسانية من تغير في طبيعة النماذج النحوية التي اقتُرحت لتمثيل هذه القدرة مقارنين إياها بالنماذج التوليدية. كما نستهدف بيان مفهوم القدرة التواصلية ومكوناتها من خلال رصد أهم الأعمال التي انشغلت بهذا الموضوع، وكذا الأنحاء التي تروم تمثيل هذه القدرة إما جزئيًا كالأنحاء الوظيفية، أو كليًا كنموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

ونسعى في الفصل الثاني إلى إبراز أهمية القالبية في بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، عبر تحديد مفهومها وإطارها العام وبيان قيمتها العلمية سواء في ميدان اللسانيات أو في غيرها من ميادين المعرفة، وأهميتها - خاصة في بناء الأنحاء التوليدية منها أو الوظيفية.

وإذا كان الفصلان، الأول والثاني، يُمكِّنان من الإمساك بأهم مفاتيح هذا البحث المفهومية والنظرية والمنهجية، فإن الفصل الثالث سينهض بتحديد مجموع الطاقات التي تؤلف قدرة المتكلم التواصلية، بينما سينهض الفصل الرابع بتحديد بنية النموذج الذي يمثل لها؛ وتفصيل القول في كيفية تفاعل قوالب هذا النموذج، واللغة التمثيلية التي يتم بها هذا التفاعل، وفق أحدث التطورات المتمثلة في ظهور نظرية النحو الوظيفي الخطابي.

وبعدُ، آمل أن يكون هذا العمل نافعًا مفيدًا بقدر المجهود المبذول فيه، شاكرًا كل من أسهم فيه برأي أو ملاحظة، وأخص بالذكر الدكتور أحمد المتوكل الذي جرى تحت عينه إنجاز هذا الكتاب، والدكتور عبد العزيز حليلي والدكتور عبد الرزاق مسلك والدكتور مصطفى غلفان الذين ناقشوا بعض مضامينه المضمنة في أطروحتنا الجامعية لنيل دكتوراه الدولة، والدكتور لاشلن مكنزي الذي رحب بمقترحاتنا وفسح لنا مجال عرضها في المؤتمر الدولي الأول لنظرية النحو الوظيفي الخطابي ببرشلونة عام ٢٠١٠. ولا يفوتني أن أشكر للسيد بكري هاشم مساعدته على طبع هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

من القدرة النحوية إلى القدرة التواصلية

٠ - مدخل:

من أَبْيَن سمات الأنحاء المعاصرة أنها أنحاء للقدرة تسعى إلى تمثيل المعرفة اللغوية الباطنية التي تمكّن المتكلم من إنتاج اللغة وفهمها، وقد عُرفت هذه القدرة - منذ انطلاق الثورة اللسانية - بأنها قدرة نحوية. ووُضعت عدة نماذج لمحاكاتها، وتبيّن لعدد من الباحثين أن المعرفة اللغوية لا تقتصر على المعرفة النحوية فحسب، بل تتجاوزها إلى أنساق فرعية أخرى تشكل معها القدرة التواصلية. نروم في هذا الفصل الوقوف عند الدلائل التي قُدمت لصالح هذا التحول، مُركِّزين على بيان مفهوم القدرة التواصلية ومكوناتها وكيفية التمثيل لها جزئيًا، كما هو شأن الأنحاء الوظيفية عامة، أو كليًا كما هو الحال في نموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

وقبل ذلك، نُصدِّر هذا الفصل بالنظر في مدى ورود مفهوم "القدرة" في الفكر اللغوي العربي القديم.

١- إرهاصات مفهوم "القدرة" في الفكر اللغوي العربي القديم:

يحفل الفكر اللغوي العربي القديم بأعمال قيمة تضعه في مصاف الفكر العالمي الخالد، وتجعل منه معينًا يستلهم منه الباحثون ما يعينهم على معالجة إشكالات لسانية متعددة، وإقامة نظريات وتحاليل جديدة تفي برصد الظواهر اللغوية وتفسيرها، وليس من الغريب أن نصادف في هذا الفكر مفاهيم وتصورات وتحاليل تقارب أو تشابه أو تطابق - أحيانًا - مثيلاتها في الفكر المعاصر، وقد تشكل - أحيانًا أخرى - منطلق تطوير النظرية اللسانية الحديثة وإغنائها[١].

من المفاهيم التي تعنينا - في هذا البحث خاصة - مفهوم "القدرة اللغوية" بمعناها الواسع. وهمنا أن نتبين إن كان لهذا المفهوم ورود صريح أو ضمني في الفكر اللغوي العربي القديم. ولا مناص لبلوغ هذا الهدف - من تفحص نصوص هذا الفكر وتأملها واستنطاقها مهتدين بمعرفتنا اللسانية الراهنة. وليس ذلك بغريب ولا جديد. فقد سبق أن اعتمد الدكتور أحمد المتوكل في عمله الرائد (المتوكل ١٩٨٢) هذا المنهج واستدل على جدواه[٢]. وبين - في العمل ذاته - أن اللغويين

---

(١) ليس ذلك قصرا على الفكر اللغوي العربي القديم، فقد دلل تشومسكي بوضوح على إمكان توظيف الفكر اللغوي الغربي القديم في تطوير الفكر اللساني المعاصر. للاطلاع، انظر (تشومسكي ١٩٦٦ و١٩٩٤ب).

(٢) يتجاوز الدكتور المتوكل الاهتداء بالمعرفة اللسانية الراهنة في قراءة تراثنا اللغوي العربي القديم إلى عقد حوار بينهما يؤدي إلى اتصال الفكر اللغوي العربي القديم بالفكر اللساني المعاصر. انظر على سبيل المثال (المتوكل ١٩٨٢ و١٩٨٩ و١٩٩٣).

العرب القدماء لم يقصروا عنايتهم على دراسة اللغة فحسب، بل عُنوا أيضًا بالمتكلم، وأقروا بأهمية دوره في إنتاج الخطاب؛ حيث عُدّ - في مستوى أول - وسيطًا ينقل "أوضاع اللغة" إلى "أحداث كلامية فعلية". وعُدّ في مستوى ثانٍ - المسؤول عن إنتاج الخطاب ذاته؛ إذ لم يَعُد دوره محصورًا في تحقيق الإمكانات التي يمنحها "نسق اللغة"، وإنما تجاوزه إلى دور "مبدع الخطاب" كما تشهد على ذلك نصوص الجرجاني. وعُدَّ - في مستوى ثالث - ليس مسؤولًا فقط عن إبداع الخطاب وتنظيمه بما يوافق مقاصده، بل ومسؤولًا أيضًا عن مواضعات النسق اللغوي كالعلامات الإعرابية التي فسرها ابن جني والسكاكي باعتبارها نتاجًا لِ "إرادة المتكلم"[١].

ومن أقوى مظاهر عنايتهم بِ "المتكلم" وفرةُ خطاباتهم - بلغتهم - عن "طاقاته وقدراته اللغوية". فقد استخلص الدكتور المتوكل (المتوكل ١٩٨٢ و١٩٩١ و١٩٩٢) من هذه الخطابات أنهم - على تفاوت بينهم - كانوا يتحدثون عن ثلاثة أنماط من "القدرة":

أ - "قدرة لسانية" (Compétence Langagière) هي عبارة عن معرفة المدلولات معرفة قائمة في النفوس بصورة سابقة عن وضع الألفاظ الدالة عليها. «والدليل على ذلك - يقول الجرجاني - أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وُضعت ليُعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها، حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا: رجل، وفرس، ودار، لما كان يكون لنا علم بهذه الأجناس. ولو لم يكونوا قد قالوا: فَعَل و يَفْعَل، لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله. ولو لم يكونوا قد قالوا: افعل، لما كنا نعرف الأمر من أصله، ولا نجده في أنفسنا. وحتى لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف، لكنا نجهل معانيها، فلا نعقل نفيًا ولا نهيًا ولا استثناءًا. كيف؟ والمواضعة لا تكون ولا تُتصور إلّا على معلوم، فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم. . . .

وإذا قلنا في العلم باللغات - من مبتدأ الأمر - أنه كان إلهاما - فإن الإلهام لا يرجع إلى معاني اللغات، ولكن إلى كون ألفاظ اللغات سمات لتلك المعاني وكونها مرادة بها» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٥٤٠ و٥٤١)[٢].

ويذهب الشاطبي والغزالي إلى أن هذه المعرفة معرفة كلية، لا يختص بها شعب دون شعب.

(١) انظر النصوص التي استدل بها الدكتور المتوكل لإقرار تلك الخلاصات في (المتوكل ١٩٨٢ و١٩٩١ و١٩٩٦).
(٢) لقد اضطررنا إلى ذكر عنوان الكتاب المحال عليه بدل الاقتصار على ذكر سنة تأليفه كما هو معمول به، كلما تعذر علينا تحديدها. وفعلنا ذلك خاصة ، عند الإحالة على كتب اللغويين العرب القدماء.

ب - و"قدرة لغوية" (Compétence Linguistique) هي عبارة عن معرفة قواعد لغة بعينها، إلّا أن هذه المعرفة تستلزم "القدرة اللسانية"؛ إذ المتكلم - كما ينص عل ذلك الجرجاني - «لا يكون متكلمًا حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وُضعت عليه» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٠٢).

ج - و"قدرة خطابية" (Compétence discursive) هي عبارة عن معرفة تُمكن المتكلم من إنتاج خطابه وتنظيمه طبقًا لمتطلبات المقام ووفقًا للمقاصد التي يروم بلوغها. وغالبًا ما كانوا يُحيلون على هذه المعرفة بِ"الفصاحة" و"البلاغة". ولأن «الفصاحة . . . عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضع اللغة» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤٠١)، فإن هذه "القدرة" تستلهم معرفة نسق اللغة التي هي مادتها.

وبحسب رأي الدكتور المتوكل (٩٥:١٩٨٢)، فإن تمييزهم بين "قدرة نحوية" وبين "قدرة خطابية" يرجع إلى اعتبارهم "الفصاحة" درجات تتدرج فيها أنواع الخطاب من أدناها حيث الخطاب المرذول إلى أعلاها حيث الخطاب القرآني المعجز.

ومع أن في هذه الخلاصات من قوة الدليل ما لا يشكك في سلامتها وثبوتها، فقد استزدنا من النظر في نصوص اللغويين العرب القدماء، حيث تأكد أنه لم يغب عن إدراكهم أن العرب كانت تتكلم وفق "قانون" محدد، يدل عليه «استمرارها على وتيرة واحدة، وتَقَرّيها منهجًا واحدًا تراعيه وتلاحظه وتعتذر من تقصير إن جرى وقتًا منها في شيء منه. وليس يجوز أن يكون ذلك في كل لغة لهم، وعند كل قوم منهم. . . - حتى لم يختلف فيه اثنان، ولا تنازعه فريقان - إلّا وهم له مريدون، وبسياقه على أوضاعهم فيه معنيون: ألا ترى إلى اطراد رفع الفاعل، ونصب المفعول، والجر بحروف الجر، والنصب بحروفه، وغير ذلك من حيث التثنية والجمع، والإضافة والنسب والتحقير، وما يطول شرحه.» (ابن جني، الخصائص: ١/ ٢٣٧ و٢٣٨).

وإذا كان ابن جني يستبعد أن يكون ذلك مجرد «اتفاق وقع وتوارد اتجه»، فإنه يقلل من اعتباره «شيئًا خوطبوا به، وأخذوا باستعماله»، ويرجح أنهم «اصطلحوا عليه، وترافدوا بخواطرهم ومواد حكمهم على عمله وترتيبه» (ابن جني، الخصائص: ٢٤٤ و٢٤٥). ويدافع عن «أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض» ما نسبه النحاة إليها وحملوه عليها، و«من أنها أرادت كذا لكذا، وفعلت كذا لكذا» (ابن جني، الخصائص: ١/ ٢٣٧). ويوضح أن «الذي يدل على أنهم أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان»: أولهما: «ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجودها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها» (ابن جني، الخصائص: ١/ ٢٤٥)، والثاني ما رُوي من وقائع عن العرب تشهد على أنهم كانوا يتكلمون وفق "قانون" محدد، وأن النحاة كانوا يرومون وصف هذا "القانون" بلغتهم. من هذه الوقائع

قوله: «سألت الشجري يومًا فقلت: يا عبد الله، كيف تقول: ضربت أخاك؟ فقال كذاك. فقلت: أفتقول: ضربت أخوك؟ فقال: لا أقول أخوك أبدًا. قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك؟ فقال: كذاك. فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول: أخوك أبدًا؟ فقال: أيشٍ ذا. اختلفت جهتا الكلام».

فهل هذا في معناه إلّا كقولنا نحن: صار المفعول فاعلًا، وإن لم يكن بهذا اللفظ البتة فإنه هو لا محالة». (ابن جني الخصائص: ١/ ٢٥٠).

وذهب ابن جني إلى أن أمر علل النحويين شبيه بأمر بعض من علل الفقه - في معرض مقارنته بينهما -: إذ إن أمرها «قائم في النفوس» قبل أن تنص عليه شريعة أو نحو، بل إن الشريعة كما النحو «إنما وردت - فيما هذه حَالُه - بما كان معلومًا معمولًا به، حتى إنها لو لم ترد بإيجابه لما أخل ذلك بحاله، لاستمرار الكافة على فِعاله» لذلك «لست تجد شيئًا مما علل به القوم وجوه الإعراب إلّا والنفس تقبله، والحس منطوٍ على الاعتراف به... فجميع علل النحو إذا مواطئة للطباع» (ابن جني، الخصائص: ١/ ٥١).

وفحوى ما تقدم وجوهره أن المتكلم من العرب إذا كان يرفع الفاعل وينصب المفعول ويجر بحروف الجر ويجزم بحروف الجزم وينصب بحروف النصب... فلأنه يتوفر على ما يمكنه من ذلك أبدًا، وهو طبعه أو طباعه أو نجره أو سليقته أو حسه أو نفسه أو خاطره أو بصيرته أو فكره أو عقله... والنحو الذي يبنيه النحاة إنما يرمي إلى وصف هذا الطبع والسليقة، وإلى كشف العلل القائمة في نفس المتكلم أو عقله، كما يجلي ذلك جلاء لا لبس فيه النص الآتي المنسوب إلى الخليل:

«سُئل الخليل ذات مرة: أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها من نفسك؟ فأجاب: إن العرب نطقت على سجيتها، وطباعها، وعَرَفَتْ مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنْقَل ذلك عنها، وعَلَّلْتُ بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أنه علة..... فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرت بالمعلول، فليأت بها» (الزجاجي، الإيضاح: ٦٦).

ولا يطعن في صحة النحو وسلامته ومشروعية نسبته إلى المتكلم، كما يشير إلى ذلك النص ذاته، أن المتكلم نفسه يجهل مصطلحاته وعباراته: «قالوا - يقول الجرجاني -: لو كان "النظم" يكون في معاني النحو، لكان البدوي الذي لم يسمع بالنحو قط، ولم يعرف المبتدأ والخبر وشيئًا مما يذكرونه. لا يتأتى له نظم الكلام، و إنا لنراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو... وجوابنا هو... أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات. فإذا عرف البدوي الفرق بين أن يقول: "جاءني زيد راكبا" وبين قوله: "جاءني زيد الراكب"، لم يضره أن لا

يعرف أنه إذا قال: "راكبًا" كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في "راكب"، "إنه حال"، وإذا قال: "الراكب"، أنه صفة جارية على "زيد"...

ولو كان عدمه العلم بهذه العبارات، يمنعه العلم بما وضعناها له وأردناه بها لكان ينبغي أن لا يكون له سبيل إلى بيان أغراضه.»[١] (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٤١٨ و٤١٩).

وإذا كان معظم اللغويين العرب القدماء لم يحددوا مصطلحًا قارًّا يُعيِّنون به هذا "الشيء" القائم في نفوس المتكلمين أو عقولهم، واقفين عند تسميته مرة "طبعا"، ومرة "سليقة"، ومرة "سجية".... فإن ابن خلدون ابتدع مصطلح "ملكة لسانية" على أساس أنها "صفة راسخة" في نفوس المتكلمين العرب، «وخشي أهل العلم أن تفسد تلك الملكة... فاستنبطوا من مجرى كلامهم قوانين لتلك الملكة» (ابن خلدون: ٥٤٦). فدل ذلك على أن النحو عبارة عن قوانين الملكة اللسانية استنبطها النحاة من كلام العرب الذين يُرفع الشك عن سلامة ملكاتهم. إلّا أنه - بدا لي على سبيل الفرض - أن مقصود اللغويين العرب القدماء "بالطبع" أو "البديهة" أو "السليقة" أو "الملكة" أو غيرها مثلها لا يقف عند حدود القواعد النحوية الصرف بل يتجاوزها إلى غيرها كقواعد الخطاب أو التواصل. يؤيد هذا الفرض أن معظم اللغويين العرب القدماء (كابن جني والجرجاني وابن خلدون والسكاكي وغيرهم[٢]) يربطون اللغة - أثناء تعريفها - بالغرض من استعمالها. ويجعلون هذا الغرض أو الأغراض أساس كل كلام: «وجملة الأمر - يقول الجرجاني - أن "الخبر" وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٥٢٨). وإذا كان كل كلام عبارة عن معانٍ، فإن هذه المعاني - التي وُصفت بأنها مقاصد وأغراض- تتحكم في إنشاء العبارة على نمط مخصوص: إذ «إن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٥٦)، فيعمد المتكلم إلى الاسم مثلًا فيجعله فاعلًا لفعل، أو مفعولًا له، أو مبتدأ، أو خبرًا، أو صفة، أو حالًا، أو بدلًا، أو تمييزًا، أو ما شاكل ذلك، بحسب ما أنشأه من مَعانٍ في نفسه، وبحسب المقاصد والأغراض التي حددها لكلامه. و«الناس إنما يكلم بعضهم

(١) من دلائل الواقع التي يوردها الجرجاني في هذا الشأن قوله: «أترى الأعرابي حين سمع المؤذن يقول: "أشهد أن محمدا رسول الله" بالنصب، فأنكر، وقال: "صنع ماذا؟" أنكر - عن غير علم - أن النصب يخرجه عن أن يكون خبرا، ويجعله والأول في حكم اسم واحد، وأنه إذا صار والأول في حكم اسم واحد، احتيج إلى اسم آخر أو فعل حتى يكون كلاما، وحتى يكون قد ذكر ما له فائدة ؟ إن كان لم يعلم ذلك فلماذا قال : "صنع ماذا؟" فطلب ما يجعله خبرا؟» (الجرجاني، دلائل للإعجاز: ٤١٩).

(٢) نستحضر هنا على سبيل المثال لا الحصر، تعريف ابن جني اللغة بالقول: «أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (ابن جني، الخصائص: ٣٣/ ١). وتعريف ابن خلدون القائل: «اعلم أن اللغة في التعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده» (ابن خلدون، المقدمة: ٥٤٦).

بعضًا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره، ما هو» (الجرجاني، دلائل الإعجاز: ٥٣٠).

كل ذلك وغيره يؤدي بنا إلى القول إن "السليقة" أو "الملكة" التي كان اللغويون العرب القدماء يرومون وصفها، كما تقدم، ليست "قدرة نحوية" فحسب، وإنما هي "قدرة خطابية" أو "قدرة تواصلية" إذا جاز لنا استعمال المصطلحات الحديثة.

وبهذه الخلاصة نختم هذا المبحث، ونتقدم لمعرفة مسار ظهور مفهومي "القدرة النحوية" و"القدرة التواصلية" و تطورهما في الفكر اللغوي الغربي الحديث.

٢- القدرة النحوية موضوع النظرية التوليدية:

بَيَّنَ تشومسكي (تشومسكي ١٩٨٦) أن تصور اللغة موضوع البحث الحق قد هيمن على الدراسات اللغوية التقليدية عمومًا. وزاد هذا التصور رسوخًا بظهور اللسانيات البنيوية. حيث عُدَّت اللغة مجموعة من الملفوظات يتوجب جمعها وتصنيفها ووصفها. وعُدَّ النحو مفهومًا مشتقًّا بما أنه عبارة عن أوصاف متعلقة باللغة موضوع الدراسة، أو هو خاصية من خصائصها في أحسن الأحوال. ومُنح اللساني الحرية في إقامة النحو الذي يراه كفيلًا بوصف هذه اللغة غير مقيد في اختيار طريقة دون أخرى. وبما أنه لا توجد قيود تُفْرَض على صياغة الأنحاء، لم يكن واردًا المفاضلة بين نحوين أو أكثر بله التفكير في وضع معايير المفاضلة (تشومسكي ١٩٨٦: ٢٩ و٣٠).

وكان من نتائج الثورة اللسانية الحديثة أن اهتز هذا التصور وتراجعت هيمنته بفعل الطعون التي مست موضوع البحث اللساني ومنهجه وكفايته. وبينت أن اللغة ظاهرة عَرَضِيَّة أو بناء مصطنع لا يمكن أن تمثل بصفتها كذلك موضوع البحث اللساني، وأن استقراء الوقائع اللغوية وتصنيفها لا يمكن أن يُعتمد منهجًا لبناء نظريات ذات قيمة تفسيرية، وأن تقدم المعرفة اللسانية رهين بضرورة تجاوز وصف الظواهر إلى تفسيرها ببناء نماذج افتراضية ونظريات تفسيرية.

ونجم عن ذلك تحول عناية اللسانيين من دراسة السلوك اللغوي الفعلي إلى دراسة نسق المعرفة الذي يكمن خلف هذا السلوك، ويُمَكّن من اكتساب اللغة واستعمالها. ومما يعنيه هذا التحول الانتقال من دراسة اللغة باعتبارها موضوعًا خارجيًّا إلى دراسة نسق المعرفة اللغوية المكتسبة والممثلة في دماغ المتكلم. وهدف النحو هو تخصيص هذا النسق. ويصف تشومسكي (١٩٨٦: ٤٠) هذا المنعطف بأنه تحول في اتجاه الواقعية. فالأحكام التي يقيمها اللساني - بغض النظر عن خطئها أو صوابها - أحكام تتعلق بشيء واقعي ومحدد، وبحالات ذهنية فعلية، وبمكون من مكونات العقل، أي بالملكة اللغوية. ودلالة هذا الوصف تأكيد تبني التأويل الذهني للغة، وتوجيه النظرية اللسانية توجيهًا ذهنيًّا طالما أنها تستهدف اكتشاف واقع ذهني يكمن خلف سلوك

فعلي. كما أنه لم يعد من المقبول - في هذا التصور (تشومسكي ١٩٨٦: ٣٠ و٣١) - التغاضي عن الفرق بين دراسة اللغات الطبيعية ودراسة اللغات الصورية كلغة الرياضيات مثلًا، حيث تُعد بعض "العبارات" جيدة التكوين وتعد "عبارات" أخرى منحرفة. والنحو بالنسبة لهذا النسق مجموعة من القواعد تقوم بتخصيص العبارات الجيدة التكوين، ويمكن بناؤه بأي طريقة، إذ ليس هناك معيار يتم على أساسه اختيار نحو من بين الأنحاء المقترحة. أما عندما يتعلق الأمر باللغات الطبيعية فلا يمكن إنجاز ذلك بمعزل عن حالات المتكلمين النفسية نظرًا لنوعية العلاقة القائمة بين اللغة ومتكلميها![1]

في إطار هذا التصور، حدد تشومسكي (١٩٦٥: ١٣) موضوع النظرية اللسانية في «متكلم - مستمع مثالي، ينتمي إلى عشيرة لغوية متجانسة تمام التجانس، ويعرف لغته معرفة جيدة، ولا يتأثر - حينما يمارس معرفته اللغوية في ظروف الإنجاز الفعلي - بقيود غير واردة نحويًا كقصور الذاكرة والشرود وتحويل العناية أو الانتباه، وكالأخطاء (العفوية أو النوعية)». ويقوم هذا التحديد على قرار منهجي يتمثل في اعتماد المثْلَنَة: اعتمادها في صياغة فرضية متكلم - مستمع مثالي لا تتأثر معرفته اللغوية بظروف الإنجاز الفعلي، وفرضية جماعة لغوية متجانسة تمام التجانس، وفرضية الفصل بين المعرفة الباطنية وبين الاستعمال الفعلي لهذه المعرفة في ظروف واقعية، أو الفصل بين القدرة والإنجاز. وبما أن كل كلام معرض - في الواقع - لأن يتضمن منطلقات خاطئة وانحرافات عن القواعد وتحويلًا للانتباه... فإن وقائع الإنجاز لا تعكس القدرة اللغوية إلّا عن طريق المثْلَنَة أيضًا. أما أن تدل مباشرة على القدرة اللغوية فأمر غير ممكن إطلاقًا، كما يقر بذلك تشومسكي (١٩٦٥: ١٣). ومع ذلك، فإن اللساني مطالب بأن يَنْفُذ من خلال وقائع الإنجاز إلى اكتشاف القواعد النحوية التحتية التي يمتلكها المتكلم - المستمع المثالي بإتقان ويستعملها في ظروف الإنجاز الفعلي.

ولا أحد يجادل في عدم تحقق مضمون الفرضيات السابقة واقعيًا، إذ ليس هناك دليل تجريبي يمكن تقديمه لصالح وجود متكلم أو جماعة لغوية أو معرفة باطنية بالصفات المذكورة أعلاه. ولكن

---

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر (تشومسكي ١٩٨٦).
وللإشارة لا يتقاسم الباحثون جميعهم هذا الاعتقاد. فاللغات الطبيعية - في تصور كاتز (١٩٨١) مثلاً - مستقلة عن وجود من يبدعها أو من يتكلمها. واللسانيات يجب أن تعنى بدراسة البنيات اللغوية لا بدراسة معرفة المخلوقات البشرية بهذه البنيات أو بكيفية اكتسابها أو بطريقة استعمالها. إذ إن هناك فرقا جوهريا بين اللغة وبين معرفة اللغة كما أن هناك فرقا في الرياضيات بين الأعداد وبين معرفة الناس بهذه الأعداد. وليس ثمة ما يميز اللسانيات عن الرياضيات، فالجمل كالأعداد، ودور النظرية هو تفسير وجود حقائق ضرورية ومطلقة.
يقترب هذا التصور في بعض جوانبه من موقف مونطكيو (١٩٧٤) الذي ينكر وجود فارق نظري مهم بين اللغات الصورية وبين اللغات الطبيعية، ويَعُد اللسانيات جزءًا من الرياضيات لا من علم النفس المعرفي.

الجدال قائم على مشروعية اعتماد هذا الأسلوب في العمل العلمي وسلامته ومردوديته[١]. والداعي - في نظر تشومسكي (١٩٨٠ب: ٢٢٤) إلى تبني هذه المثلثة وغيرها هو الرغبة في اكتشاف مبادئ تفسيرية عميقة تبين كيفية قيام النحو بتوليد الجمل. وبذلك أصبحت قدرة المتكلم النحوية مدار البحث اللساني التوليدي. ورُهِنَ أي تقدم في دراسة الإنجاز اللغوي بمدى الفهم الذي يمكن إحرازه في موضوع القدرة. واشتُرط في أي نموذج معقول للاستعمال اللغوي أن يتضمن النحو التوليدي باعتباره مكونًا من مكوناته الأساس. وحُسم أمر الإنجاز (أو استعمال اللغة) بقرار جعل منه مصدرًا غنيًّا بالمعلومات التي من شأنها أن تكشف عن طبيعة القدرة. ولكنه لا يمكن أن يشكل موضوع اللسانيات الحق «إذا أريد للسانيات أن تكون علمًا جادًّا» (تشومسكي ١٩٦٥: ١٤).

٣- علاقة القدرة النحوية بأنساق أخرى:

دافع تشومسكي - منذ مراحل مشروعه الأولى - عن أن ما يشكل موضوع النظرية اللسانية هو قدرة المتكلم النحوية. وتَبَيَّنَ مع تطور البحث أن معرفة اللغة واستعمالها تتطلب تفاعل عدة أنساق لا تشكل القدرة النحوية إلّا نسقًا واحدًا منها وأدى ذلك إلى افتراض أنساق أخرى مع تأكيد أولوية المعرفة النحوية واستقلالها.

فقد أقر تشومسكي (١٩٨٠ب: ٢٢٤) بأن الفرد الذي يعرف اللغة يعرف شروط استعمالها، كما يعرف الأهداف التي يروم بلوغها في ظل شروط اجتماعية معطاة. وبما أن اللغة أداة وُضعت كي تُستعمل، فإنه من المعقول افتراض نسق من القواعد والمبادئ يضطلع بتحديد كيفية استعمالها. على هذا الأساس تم التمييز بين قدرة نحوية وبين قدرة تداولية. تدل الأولى على معرفة خصائص الجمل الصورية والدلالية وتتضمن قواعد تركيبية وصوتية ودلالية، وتدل الثانية على معرفة كيفية استعمال هذه الجمل استعمالًا يتناسب مع الأهداف المختلفة المرام بلوغها. ويعود تعيين هذه المعرفة بمصطلح "القدرة" إلى اعتبارها نسقًا من المبادئ والقواعد المحددة بيولوجيًّا شأنها في ذلك شأن القدرة النحوية (تشومسكي ١٩٨٠ب:٢٠٦)، والممثلة ذهنيًّا في صورة "قواعد تكوينية"[٢]، ومما يدعم التمييز بين القدرتين - في تصور تشومسكي (١٩٨٠ب:٥٩) - أنه بالإمكان مبدئيًّا افتراض توفر الفرد على قدرة نحوية تامة تمكنه من إنتاج جمل سليمة تركيبيًّا ودلاليًّا دون توفره على قدرة تداولية تمكنه من استعمال هذه الجمل بطريقة مناسبة. علاوة على ذلك،

---

(١) من المفيد هنا الاطلاع على الطعون التي يوجهها الدكتور أحمد العلوي إلى كل منهج يعتمد الإخبار عن الغيب (القدرة اللغوية مثلا) بمفاهيم تصويرية. انظر التفاصيل في (العلوي ١٩٨٨).

(٢) القواعد التكوينية هي كل قاعدة تكون صورتها كالآتي:
- (أ) تعتبر (ب) في سياق (س).

ويعود الفضل في اقتراحها إلى سورل (١٩٦٩) الذي يعد الحديث بلغة ما هو إنجاز أفعال وفق قواعد تكوينية.

يفترض تشومسكي (١٩٨٠ب: ٩٠) أن نسق القدرة النحوية مستقل عن غيره من الأنساق العقلية سواء من حيث بنيته أو طريقة عمله، كما يفترض أنه يشكل مكونًا أساسيًّا من مكونات المعرفة اللغوية أو أنه يتفاعل مع أنساق أخرى في الاستعمال الفعلي اللغوي كالنسق التصوري والقدرة التداولية ونسق الفهم المشترك للعالم، إذ «حينما نتكلم أو نؤول ما نسمعه نقوم باستحضار مجموعة كبيرة من الافتراضات الأساس عن المساهمين في الخطاب، وعن موضوع الخطاب وقوانين الطبيعة والمؤسسات الإنسانية» (تشومسكي ١٩٨٠ب: ١٨٨). إلّا أن تحديد طبيعة أحد هذه الأنساق - كالنسق النحوي مثلًا - يستلزم تجريده عن غيره من الأنساق المتفاعلة معه في مستوى الإنجاز الفعلي (تشومسكي ١٩٨٠ب ١٨٨ و١٨٩).

٤- نماذج تمثيل القدرة النحوية:

تتمنَّع القدرة النحوية بالنظر إلى طبيعتها المجردة عن الملاحظة المباشرة. وعليه، لا مناص من اللجوء إلى محاكاتها ببناء نموذج يمثل لها، وذلك استنادًا إلى وقائع تستمد من الأحكام اللغوية أو الاختبارات الكلامية المراقبة أو غيرها؛ إذ إن الاعتقاد السائد والمشترك بين علوم المعرفة هو إمكان بناء نماذج تحاكي بعض مظاهر العقل البشري. ففي النشاط العلمي يتأكد فهمنا لظاهرة ما انطلاقًا من قدرتنا على إعادة إنتاج الظاهرة. والمحاكاة هي التي تسعفنا لتحقيق هذا الهدف. وهي كما تتم بواسطة نموذج عملي يمكن أن تتم بواسطة نموذج مجرد يأخذ صورة نسق من الرسامات الرمزية. فالنموذج انطلاقًا من هذا - هو إحدى الوسائل الواردة لمحاكاة الموضوع الأصل ولربما كان أحيانًا هو الوسيلة الوحيدة[١].

ومن الشروط المبدئية التي يجب مراعاتها أثناء إقامة النموذج النحوي صياغتُهُ بطريقة تعكس روح المبادئ الواردة في النظرية اللسانية التي يتتمي إليها. إذ ينبغي أن تكون هناك شفافية بين جوهر النظرية ونظرية التمثيل. إلّا أن ذلك لا يعني عدم إمكان بناء نماذج متعددة للموضوع الواحد. فالتعدد قد يقع لا بالنظر إلى طبيعة المقاربة المتبناة (المقاربة النفسية أو الرياضية أو المقاربة الاجتماعية)، ولا بالنظر إلى الأطر النظرية المختلفة وحسب، بل يقع أيضًا داخل الإطار النظري الواحد كما هو شأن النظرية التوليدية[٢]؛ حيث يمكن تصنيف النماذج المقترحة داخل هذه النظرية فئتين اثنتين: نماذج نحوية مؤسسة تركيبيًّا، ونماذج نحوية مؤسسة دلاليًّا. تندرج ضمن الفئة الأولى كل الأنحاء التوليدية التي اقترحها تشومسكي من نموذج البنيات التركيبية إلى نموذج المبادئ والبرامترات، إضافة إلى أنحاء أخرى كالنحو المعجمي الوظيفي والنحو المركبي المعمم والنحو

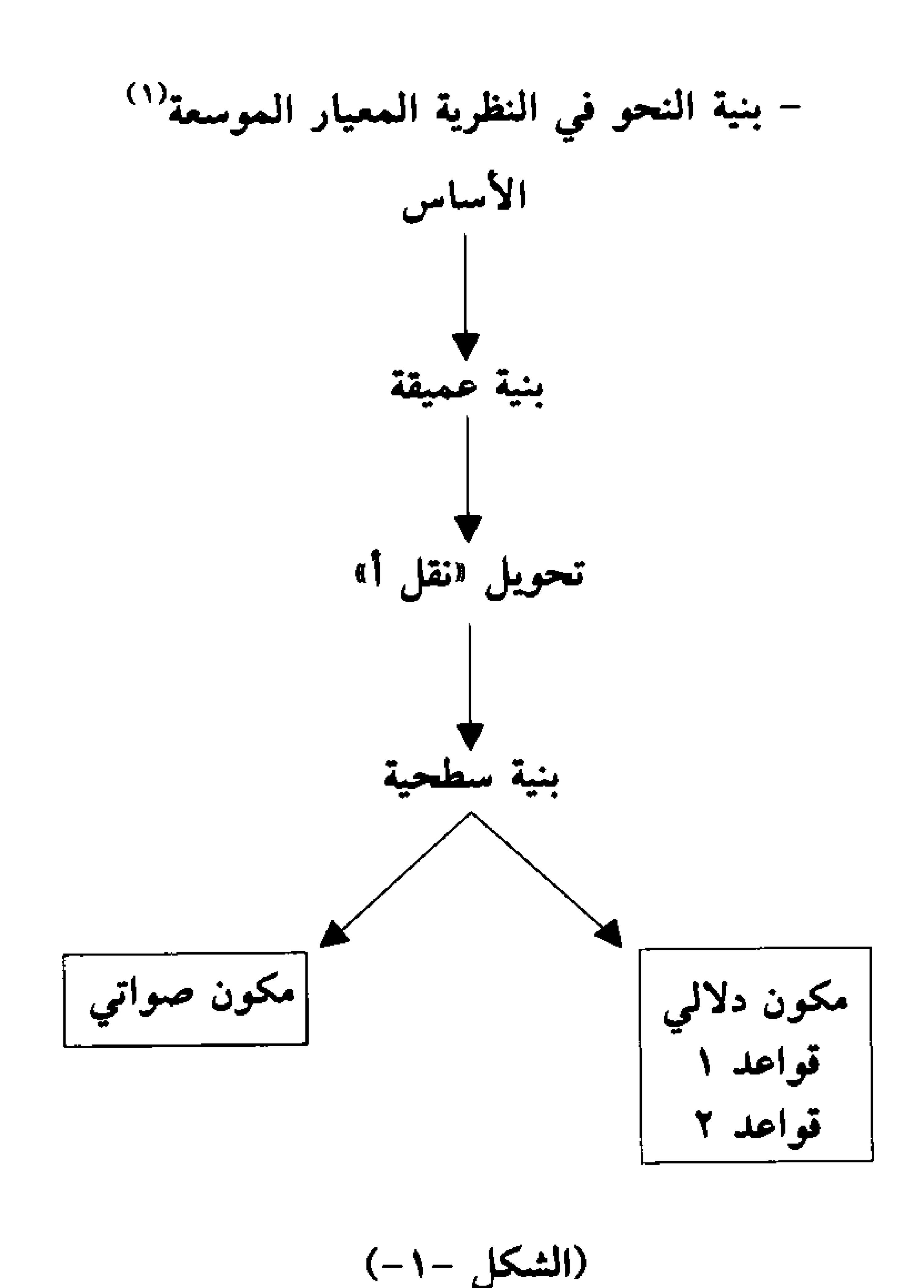
---

(١) لمزيد من الاطلاع عن مفهوم النموذج وشروط بنائه، انظر (البوشيخي ١٩٩٢).
(٢) انظر مزيدا من التفاصيل في (البوشيخي ١٩٩٠).

العلاقي وغيرها. ويجمع بين هذه الأنحاء فرضية استقلال التركيب عن الدلالة (والتداول).

حيث يعد المكون التركيبي مكونًا توليديًا بينما يعد المكون الدلالي (و/أو التداولي) مكونًا تأويليًا فقط. وأبرز نموذج يمثل الفئة الثانية هو نموذج الدلالة التوليدية الذي يتبنى فرضية عدم استقلال التركيب عن الدلالة (والتداول)، ويذهب - تبعًا لذلك - إلى عد البنية الدلالية مصدر اشتقاق الجملة. وتوضح البنيات التقريبية الآتية انعكاس تبني فرضية استقلال التركيب أو عدمه على تنظيم مكونات النموذج النحوي:

- بنية النحو في النظرية المعيار الموسعة[1]



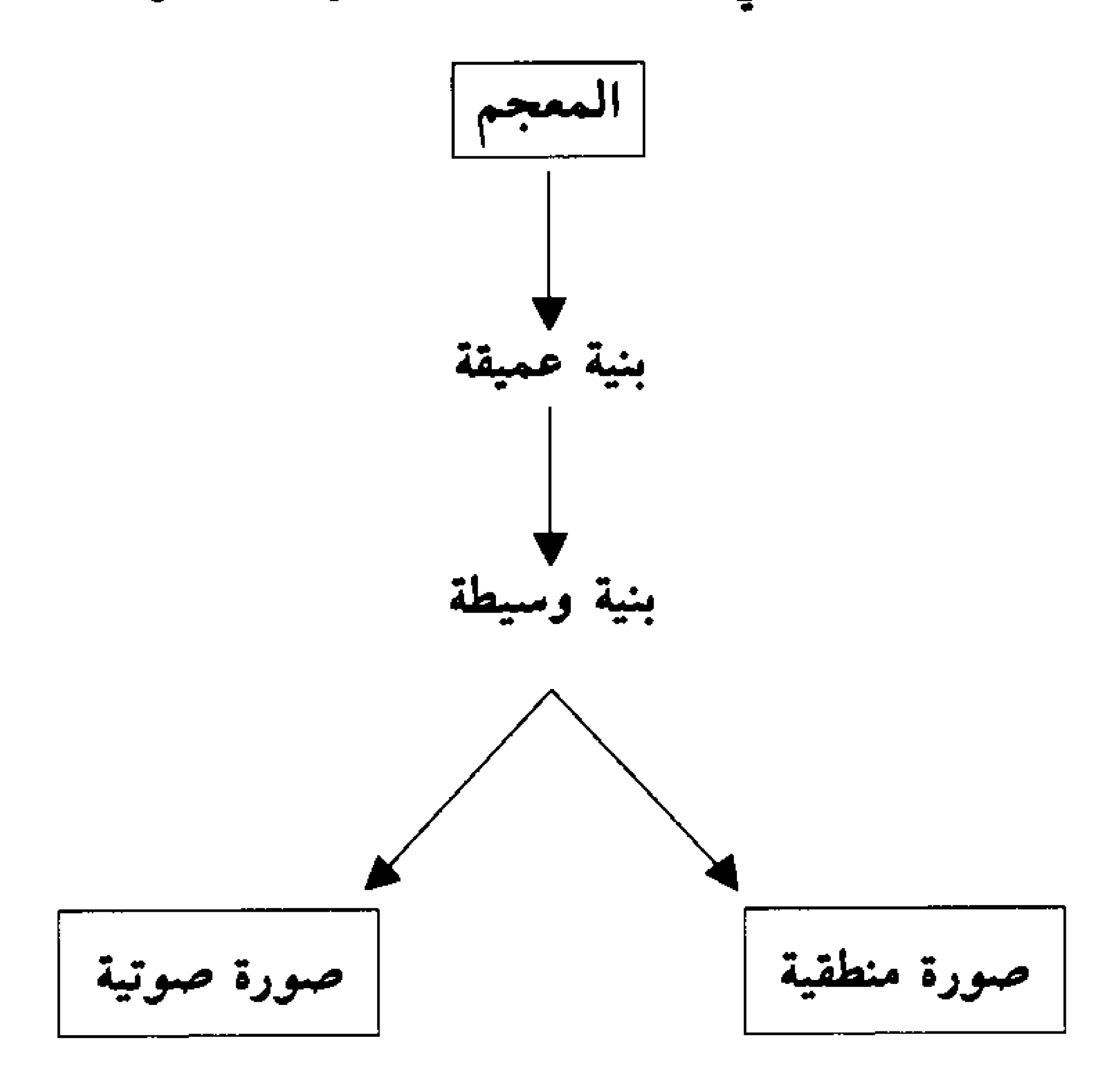
(الشكل -١-)

حيث يُلاحظ أن المكون الدلالي - بقواعده الدلالية (القواعد ١) وقواعده التداولية (القواعد ٢) - لا يقوم إلّا بدور تأويلي فقط، أي إسناد تأويل دلالي وتأويل تداولي إلى البنية خرج المكون التركيبي.

وتتجلى فرضية استقلال التركيب في النظرية المعيار الموسعة المراجعة في إطار المبادئ والبرمترات كالآتي:

(١) هذه الصورة التقريبية من وضع الدكتور المتوكل (١٩٩٨). أما التفاصيل فيمكن الرجوع إليها في (تشومسكي ١٩٨١).

- بنية النحو في النظرية المعيار الموسعة المراجعة

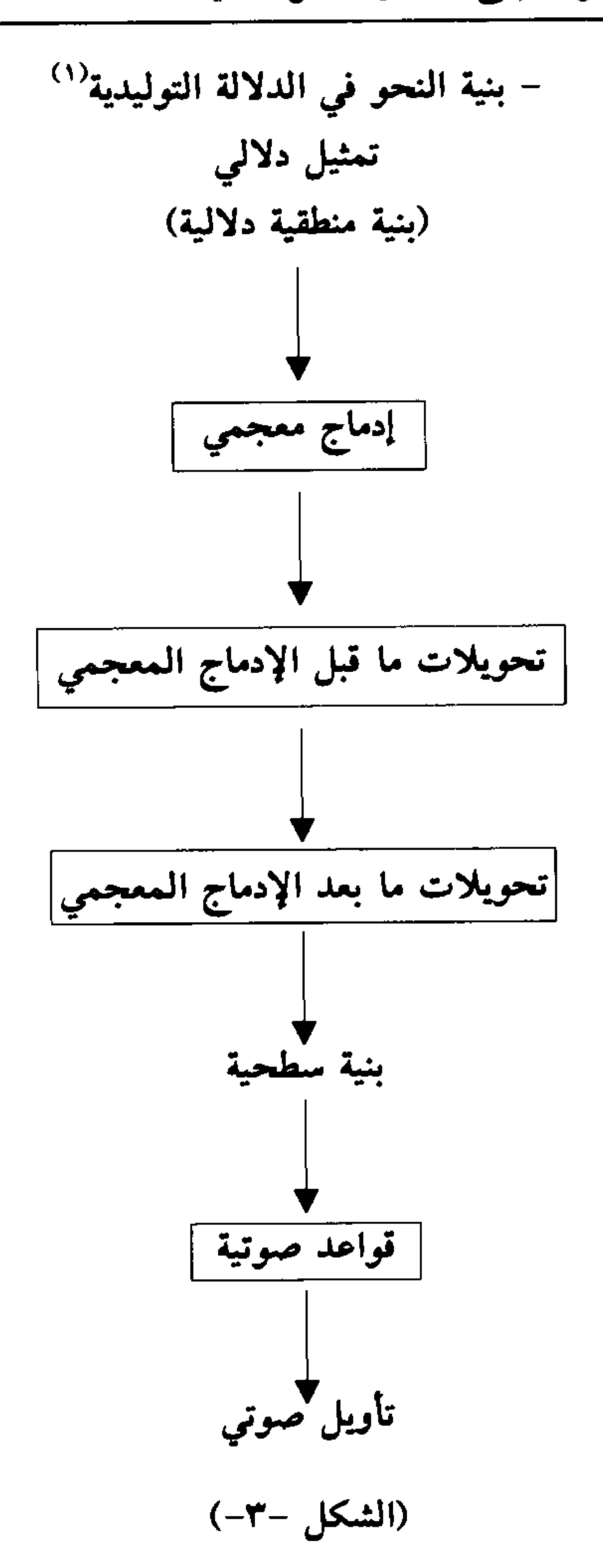


(الشكل -٢-)

حيث يلاحظ أن التمثيل للمعلومات التركيبية مستقل ومتقدم على التمثيل للمعلومات الدلالية التي يتطلب تأويلها تأويلاً كاملًا تدخل أنساق تصورية أخرى[١]. أما تبني فرضية مضادة فيعكسه التمثيل الآتي:

(١) انظر (تشومسكي ١٩٩١) للتفصيل.

- بنية النحو في الدلالة التوليدية[1]



(الشكل -٣-)

حيث يُلاحظ تقدم التمثيل لخصائص الجملة الدلالية على التمثيل لخصائصها التركيبية، مما يعني تبعية التركيب للدلالة، وبالتالي عدم تبني فرضية استقلال التركيب عن الدلالة.

وما يؤلف بين هذه النماذج جميعها - المؤسسة منها تركيبيًا أو دلاليًا - أنها تمثل قدرة المتكلم النحوية، أي حالته المعرفية التي تتضمن كل مظاهر الجملة الصورية والدلالية، وأنها لم تعن عناية معتبرة بالتمثيل لمظاهر الجملة التداولية انسجامًا مع طبيعة موضوعها وحدوده، كما أنها لم تحدد كيفية تفاعل نسق القدرة النحوية مع باقي الأنساق المفترضة.

(١) هذه الصورة التقريبية من وضع الدكتور المتوكل (١٩٥ : ١٩٨٩). أما التفاصيل فيمكن الرجوع إليها في (ليكوف ١٩٧١).

٥- اعتراضات على موضوع النظرية اللسانية:

لئن كان موضوع النظرية اللسانية عند التوليديين قد حُسم في أمر تحديده، كما في تحديد خصائص نماذج تمثيله على المنوال المبين أعلاه، فإن أغيارهم نازعوهم لا في موضوع النظرية اللسانية ونماذج تمثيله فحسب، ولكن في أسس اللسانيات ذاتها وتوجهاتها. ولعل ديل هايمز - الذي ينسب إليه ابتداع مصطلح القدرة التواصلية - أبرز من يمثل هذا الاتجاه.

تكمن أطروحة هايمز (١٩٨٢: ١٢) في ضرورة توسيع مجال اللسانيات ليشمل مظاهر تداولية وخطابية ونصية. ولكن ذلك لا يمكن أن يتم - في نظره - بصورة معقولة طالما ظل موضوع التحليل هو اللغة خارج سياقها، وطالما ظل هدف التحليل هو تحديد ما هو ممكن نسقيًّا (نحويًّا) في لغة من اللغات، وطالما ظل التحليل مُنصَبًّا على وظيفة واحدة من الوظائف الأساسية المدروج على تعيينها بالوظيفة الإحالية أو المعرفية، وطالما ظل النحو هو الإطار المرجعي الذي تدرس داخله اللغة.

وبعبارة، يقتضي توسيع مجال اللسانيات تجديد النظر على أسس نقدية في موضوع النظرية اللسانية وأسسها وأهدافها[١].

وفيما يلي بيان ذلك[٢].

---

(١) لتمكين القارئ الكريم من الاطلاع - بصورة عامة - على أوجه الاختلاف القائمة بين مشروعي تشومسكي وهايمز، نقدم الجدول الآتي، وهو من وضع أوراشيوني (١٩٩٠: ٤٩ و٥٠).

تشومسكي	هايمز
- موضوع التحليل اللساني يقف عند حدود الجملة.	- يجب أن يتجاوز التحليل اللساني الجملة إلى الخطاب.
- موضوع البحث اللساني هو قدرة المتكلم - المستمع المثالي.	- موضوع البحث اللساني هو قدرة
- القدرة واحدة لدى جميع أعضاء الجماعة اللغوية، إنها ذات طابع كلي.	- متكلم مستمع واقعي له وجود في قلب الحياة الاجتماعية.
- القدرة تمكن من إنتاج الجمل النحوية المجردة وتأويلها.	- القدرة تتغير من فرد إلى آخر، ومن جماعة لغوية إلى أخرى.
- الإنجاز لا يعكس طبيعة القدرة المجردة إلّا بصورة ناقصة جدا.	- القدرة تمكن من إنتاج وتأويل ملفوظات في سياقات محددة.
- اللغة أساسا نسق للتعبير عن الفكر أو هي مرآة للعقل.	- كل وقائع الإنجاز يجب ردها إلى القدرة التحتية التي تجليها.
	- اللغة ممارسة اجتماعية.

(٢) مصدرنا الأساس في هذا البيان كتاب هايمز الوحيد عن هذا الموضوع، وهو عبارة عن مقالات مترجمة إلى الفرنسية بإذن منه: مقال نشر سنة (١٩٧٣) تحت عنوان "Towards Linguistic Competence" ومقال آخر نشر سنة (١٩٧٤) بعنوان "Ways of speaking" ومقال في صورة تعليق (Post Face) كتبه سنة (١٩٨٤) يتابع فيه مسار تطور أفكاره ويحدد إطار تبلورها. يرجع تاريخ صدور هذا الكتاب إلى سنة (١٩٨٤) لذلك سنشير إليه في فهرس المراجع بِ (هايمز ١٩٨٤).

٥-١- عن ثنائية القدرة والإنجاز:

من المؤكد أن الكيفية التي استعمل بها تشومسكي مصطلح القدرة جعلت منه مصطلحًا مهيمنًا. ولأن هذا المصطلح ارتبط - أول ما ارتبط - بالنحو فقط، فإن عناية معظم الباحثين لم تتجه إلى شيء آخر غير القدرة النحوية وكان ذلك أمرًا مُرادا. فقد عمد تشومسكي - في مرحلة أولى - إلى إقصاء التفكير في افتراض قدرة غير نحوية لتحقيق هدفين اثنين:

أ - ترسيخ فكرة إقامة فرق حقيقي بين نسق تحتي هو النحو وبين سلوك فعلي هو الإنجاز.

ب - وتأكيد أن القدرة النحوية هي وحدها الكفيلة بأن تشكل الأساس الضروري لدراسة استعمال اللغة أو إقامة نموذج الإنجاز (هايمز ١٩٩٣: ٨٠). وقد سلك من أجل ذلك طريقتين اثنتين على الأقل: تتمثل الأولى في استعمال مصطلح الإنجاز استعمالًا ملتبسًا. وتتمثل الثانية في الإيهام بأن اعتماد المثللة والتجريد لا ينجم عنه افتراض قدرة نحوية.

أما مفهوم الإنجاز فاستعمله تشومسكي (١٩٦٥: ١٣ و١٤) تارة للدلالة على أنه سلوك يمكن ملاحظته، حيث عُدت وقائع الإنجاز منطلق تحديد نسق القواعد التحتية، وحيث حدد الإنجاز بأنه الاستعمال الفعلي للغة في ظروف واقعية؛ ومفاد ذلك أن الإنجاز فعلي والقدرة تحتية. واستعمله (تشومسكي ١٩٦٥: ٣٠) تارة أخرى للدلالة على أنه عبارة عن قواعد تحتية تكمن خلف الوقائع، حيث عد بناء نموذج الإنجاز أمرًا مرغوبًا فيه (على غرار نموذج القدرة) يُتوقع منه تقديم تفسير لتلك الوقائع، وحيث تم الإقرار (تشومسكي ١٩٦٥: ١٧٤ و١٧٥) بإمكان وجود "قواعد إنجاز" وُصفت بأنها "قواعد أسلوبية" بإمكانها أن تفسر ما لا تستطيع النظرية النحوية تفسيره.

يتبين من هذه الاستعمالات أن للإنجاز دلالتين على الأقل يمكن اختزالهما في التقابلين الآتيين:

أ - قدرة تحتية/ إنجاز فعلي.

ب - قدرة نحوية تحتية/ قواعد إنجاز تحتية.

ويقود هذا الالتباس إلى التساؤل عن المقصود بالإنجاز حقًّا. أهو معطيات السلوك الكلامي؟ أم كل ما يثوي خلف الكلام باستثناء النحو؟ أم كلاهما؟

كما يثار التساؤل عن مضمون قواعد الإنجاز الأسلوبية وعن مضمون الإقرار بأن استعمال اللغة تحكمه قواعد.

لقد تجنب تشومسكي - في مرحلة أولى - الحديث عن تخصيص قواعد الإنجاز الأسلوبية أو قواعد استعمال اللغة بمصطلح قدرة تحتية من نوع آخر، وذلك بهدف ترسيخ فكرة مفادها أن

استعمال اللغة ليس تحقيقًا ناقصًا لنسق تحتي. وبعد أن كُسب هذا الرهان، لم يجد تشومسكي بأسًا من بحث العلاقة بين قواعد النحو وقواعد الاستعمال، ومن الاعتراف بوجود "قدرة تداولية" إلى جانب القدرة النحوية (هايمز ١٩٧٣: ٧٨ و٧٩).

وأما اعتماد المثلة والتجريد فلا يفسر في شيء اعتبار القدرة اللغوية موضوعًا أساسيًّا جديرًا بالدراسة، واعتبار كل ما يتعلق باستعمالها شأنًا هامشيًّا. ذلك لأن الاقتصار على دراسة القدرة اللغوية (القدرة النحوية) ليس أمرًا ناجمًا عن التزام التجريد والمثلة، بل هو اختيار شخصي وحسب. إذ يمكن - ولا مانع من ذلك - اعتماد التجريد والمثلة في دراسة قدرة أشمل تكون القدرة النحوية مجرد مكون من مكوناتها، وليس مكونًا أساسًا جديرًا - دون غيره - بأن يشكل موضوع النظرية اللسانية. ولكن تشومسكي تدرع بهما لإقصاء كل الأفكار المعارضة بتقديمها على أنها تنكر أهمية التجريد والمثلة في تقدم المعرفة العلمية ولا تعمل وفق مقتضياتهما، ولسد الطريق أمام تصورات مغايرة لموضوع النظرية اللسانية ومنهج معالجته (هايمز ١٩٨٢: ١٣٢ و١٣٣).

والخلاصة أن تشومسكي لم يُقَدم نظرية عن حقيقة القدرة والإنجاز، وإنما قدم عنهما فرضيات مصوغة بلغة مجازية: إنه يتحدث عن القدرة ويقصد النحو (بمعناه الضيق)، ويتحدث عن الإنجاز ويقصد تجلياته النفسية، بل حين يتحدث عن الاستعمال الخلاق للغة أو مناسبة القول للمقام يقصر تحليله على مستوى التركيب ويتحاشى تحليل السياق الاجتماعي (هايمز ١٩٧٣: ١٨). كل ذلك يصور المتكلم حرًّا في أن يقول ما تمكنه اللغة من قوله غير مقيد بالمقام التواصلي، ولا معتمد على شيء في اختيار هذا القول دون غيره .... حتى إن الظن ليذهب إلى اعتبار أن القدرة النحوية توازي - في منظور تشومسكي - عدم القدرة التواصلية (هايمز ١٩٨٢: ١٣٩).

٥-٢- عن اللغة والاستعمال:

لقد تنقلت اللسانيات عبر مراحل تطورها من العناية بالدراسة الصوتية والصرفية إلى العناية بالتركيب ثم بالدلالة. وفي كل مرحلة كانت تنكشف مظاهر جديدة تساهم إلى جانب المظاهر الأخرى في بنينة اللغة. وكان على اللسانيات أن تتابع تطورها في اتجاه بحث العلاقة بين بنية اللغة وبين مختلف استعمالاتها لا سيما أن جهودًا سابقة - كجهود أعلام مدرسة براغ وكذا فورت وبايك وغيرهم - كانت مهدت وساهمت في بحث هذا الموضوع (هايمز ١٩٧٣: ١٩). ومع أن النظرية التوليدية - التي انحرفت عن هذا الاتجاه في البحث - هيمنت بقوة على ميدان اللسانيات إلّا أنه سرعان ما أصبح يتضح لعدد متزايد من اللسانيين - كما يقر بذلك كيفون (١٩٧٩) - أن دراسة الجمل بمعزل عن سياقها الطبيعي وعن متكلميها اختيار منهجي استنفذت الحاجة منه، ولم يعد من اللائق العمل به، ذلك لأن عزل الجمل عن سياقها يثير شكوكًا بخصوص واقعيتها من جهة،

ويتجاهل دور السياق التواصلي في تحديد بنية هذه الجمل من جهة أخرى (هايمز ١٩٧٣: ١٣ و١٩). فاللغة التي تصل إلى يد اللساني، وينصرف إليها بالوصف والتفسير ليست لغة بريئة من الاستعمال؛ إذ إن كل جملة موسومة بخصائص أسلوبية واجتماعية.

وعليه، فإن المعطيات المعتمدة - سواء أكانت ملفوظات أم أحكامًا على هذه الملفوظات - لا يمكن أن تتخلص من التأثر بسياق ورودها. وإذا أردنا حقًّا - يقول هايمز (١٩٧٤: ١١١ و١١٢) - بناء نظرية لغوية عامة، فيجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن اللغة وُضِعَت كي تُستعمَل، وهي منظمة بطريقة تيسر تأدية هذا الغرض، ولا يمكن عزلها عن الأهداف التي تستعمل من أجلها.

وإذا كان من المُسَلَّم به أن هناك قواعد تركيبية تراقب بعض المظاهر الصوتية، وأن هناك قواعد دلالية تراقب - إلى حد - بعض المظاهر التركيبية، فإن هناك أيضًا قواعد الاستعمال التي تراقب البنية اللغوية في مجملها؛ إذ لا يمكن - على سبيل المثال - أن ندرك العلاقة القائمة بين وسائل التواصل المختلفة إلّا انطلاقًا من مستوى ليس هو الصِّواتة أو التركيب أو الدلالة، إنه مستوى أفعال الكلام الذي يشمل الوسائل غير اللفظية مثل حركات الجسد .

ومن الدلائل التي تدعم هذا الموقف ما أثبتته بعض الأبحاث المعنية باكتساب اللغة من أن الطفل لا يكتسب معرفة تمكنه من التمييز بين جمل نحوية وبين جمل غير نحوية وحسب، بل معرفة تمكنه أيضًا من التمييز - داخل صنف الجمل النحوية نفسها - بين جمل واردة سياقيًّا وبين جمل غير واردة. إنه يكتسب قدرة يتمكن بواسطتها من تحديد متى يتكلم، ومع من، وبماذا، وفي أي وقت، وأين، وبأية طريقة. . . . وليس ثمة شك في أن اكتساب قدرة من هذا النمط يتطلب تجربة اجتماعية غنية. فقد لوحظ أن أطفال الشيلي يعرفون أن تكرار السؤال يعني الشتم؛ وأن أطفال المكسيك يعرفون أنه من غير المناسب اجتماعيًّا توجيه السؤال بطريقة مباشرة؛ وأن أطفال البرازيل يعرفون أن إجابة مباشرة عن أول سؤال في الحوار يعني عدم الرغبة في الكلام، وأن إجابة عامة تعني إمكان استمرار الحوار على أن تَرِدَ الإجابة المباشرة عن السؤال في المرحلة الموالية.

ويدل كل ذلك على أن الطفل حين يكتسب معرفة جمل لغته يكتسب في الوقت ذاته معرفة كيفيات استعمالها، وتكفيه تجربة كلامية محدودة لتطوير نظرية لغوية عامة يستعملها - كما يستعمل أشكالًا أخرى من المعرفة الثقافية - في ممارسة الحياة الاجتماعية وتأويلها (هايمز ١٩٧٣: ٧٤-٧٧).

وبناءً عليه، لم يعد من الوارد أن نعادل بين القدرة وبين النحو (بمعناه الضيق)، أو أن نفهم النظرية اللسانية على أنها نظرية نحوية فقط. وبصفة أدق، لم يعد مقبولًا أن يظل مجال النظرية اللسانية محصورًا في القدرة النحوية وأن يظل ما عَداها على الهامش.

٦- القدرة التواصلية موضوع النظرية الوظيفية:

يقوم الافتراض البديل على أن المعرفة اللغوية تزاوج بين المعرفة بقواعد النحو والمعرفة بقواعد الاستعمال، وأنهما يُكَوِّنان معًا نسقًا واحدًا، ويتطوران معًا بالطريقة ذاتها. فكيف تم تعيين هذه المعرفة؟

٦-١- بحثًا عن مصطلح ملائم:

يُعد مصطلح "القدرة التواصلية" أصدق عبارة فنية تعبر عن هذا التصور البديل. ويبين هايمز (١٩٨٢ : ١٢٠) أن الأصل في ظهوره يرجع إلى التقاء تيارين متمايزين هما النحو التوليدي التحويلي وإثنوغرافيا التواصل لاشتراكهما معًا في البحث عن نوع الطاقات التي يتوفر عليها مستعملو اللغات الطبيعية وطبيعتها.

وإذا كان معظم اللسانيين يحيلون على كتاب منسوب لهايمز (١٩٧١) بصفته مصدر هذا المصطلح، فإن هايمز نفسه بَيَّن أن الطريقة التي تم بها استعمال هذا المصطلح وتداوله بين اللسانيين ليست مرتبطة بالمصدر المحال عليه[1]، وأنه لا ضرورة تدعو إلى نَسْبه إلى لساني محدد. ولعل صعوبة الحسم في نسبة هذا المصطلح إلى لساني محدد تعود إلى ما طبع الأبحاث الكثيرة التي تصدت لهذا الموضوع من تردد وارتباك في استحداث مصطلح ملائم. فقد اقتصرت في البداية على استعمال مصطلح الطاقات والمهارات اللغوية كما فعل كاتز وفودور (١٩٦٢) عند تأكيدهما أنه «يتوجب على نظرية لغوية [تقام] للغة خاصة أن تستهدف إبراز الطاقات والمهارات [التي يتوفر عليها] متكلم فطري يتكلم بطلاقة، والتي تساهم في الإنجاز اللغوي». وحذا حذوهما هايمز (١٩٦٣أ) الذي اتخذ مضمون هذا النص منطلقًا لتقديم تصور موسع عن القدرة اللغوية. وذهب آخرون إلى استعمال مصطلحات أخرى كما فعل كاتز وبوسطل (١٩٦٣) حين ميز بين معرفة اللغة وإتقان اللغة، وكما فعل كورمان (١٩٧١) حين ميز بين المعرفة اللغوية وبين البراعة اللغوية. وبظهور مصطلح "القدرة" على يد تشومسكي (١٩٦٥)، بدا لعدد من الباحثين الذين لم يقصروا أبحاثهم على المعرفة النحوية إضافة صفة التواصل إلى مصطلح "القدرة" في مقالة طويلة قدمت

---

(١) بيان ذلك - كما يقول هايمز (١٩٨٢ : ١٢٢) - أن مقاله "عن القدرة التواصلية" نشر سنة (١٩٧٢) ضمن مقالات أخرى أشرف على جمعها برايد وهولمز في كتاب عنوانه "Sociolinguistics". وكانا قدما هذا المقال على أنه جزء من كتاب لهايمز نشر سنة (١٩٧١) وتم توثيقه في فهرس المراجع. وأخذ الباحثون، من أمثال لينز (١٩٧٧)، ونيومير(١٩٨٠) ذلك مأخذ الجد، وأصبحوا يحيلون عليه.
إلّا أن الكتاب المشار إليه (هايمز ١٩٧١) ظل مجرد مشروع لم يكتب له أن يرى النور.

صياغتها الأولى سنة (١٩٦٦)، ونشرت سنة (١٩٧١) ثم (١٩٧٢)[١]. كما استعمل المصطلح ذاته كل من جاكوبوفيتس (١٩٧٠) وكامبل وولز (١٩٧٠)، وصافينيون (١٩٧٢)، وذلك بصورة متوازية ومستقلة عن استعمال هايمز. وسارع باحثون آخرون إلى ابتداع مصطلحات أخرى كمصطلح "القدرة التفاعلية" (ميهان ١٩٧٢)، و"القدرة الحوارية" (كينين ١٩٧٤)، و"القدرة اللغوية الاجتماعية" (كنال وصورين ١٩٧٩)، و"القدرة التداولية" (تشومسكي ١٩٨٠ب) وغيرها. إلّا أن هذه المصطلحات - المفاهيم لا تندرج في إطار مشروع علمي يستهدف بناء نموذج شامل لطاقات المتكلمين[٢]، وإنما انحصر دورها في تعيين مَجالٍ عُدَّ ضروريًا إلى جانب القدرة النحوية (هايمز ١٩٨٢: ١٢١-١٢٧). ولعله بسبب ذلك لم تحقق ما حققه مصطلح "القدرة التواصلية" من انتشار واسع[٣]. فقد تم تبنيه في مجال اللسانيات التطبيقية، واللسانيات الاجتماعية، وبيداغوجية التعليم، واللسانيات النفسية، والأنثروبولوجيا، وفي الدراسات المعنية بالتواصل عامة، اللفظي منه وغير اللفظي. واتسع مجال استعماله حتى أصبح مصطلحًا عالميًا. إلّا أن الانتشار الواسع الذي عرفه هذا المصطلح لم يصحبه تصور محدد موحد لمضمونه.

٦-٢- مفهوم "القدرة التواصلية":

يدل رصد الاستعمالات المختلفة لمصطلح القدرة التواصلية على أنه مصطلح اختُلف في تحديد مدلوله اختلافًا. فمن الباحثين - أمثال شليزنجر (١٩٧١) وطرودجيل (١٩٧٨) - من يستعمله للدلالة على معرفة لغوية تنضاف إلى المعرفة النحوية، وتتعلق باستعمال اللغة وفهمها. ومنهم من يستعمله - كفريد ريكسون (١٩٨٧) - للدلالة على معرفة بنيات اللغة ومعرفة مبادئ استعمالها مستثنيًا من هذه المعرفة ما يتعلق بعملية التأويل التي يستدعيها التفاعل الحواري. أما هابرماس (١٩٧٠ب) - الذي يقدم أعماله على أنها تشكل أساس نظرية اكتساب القدرة التواصلية - فيستعمل المصطلح للدلالة على نسق من القواعد يقوم بتوليد عدد من المقامات الكلامية المثالية، متأثرًا بالصياغة التي قدمها تشومسكي للقدرة النحوية. إلّا أن أغلب الباحثين - أمثال لينز (١٩٧٧)،

---

(١) كتبت الصياغة الأولى في صورة عرض قدمه هايمز في ندوة انعقدت سنة (١٩٦٦) بجامعة (Yeshiva). وبعد مراجعة هذا العرض وتعديله تم نشره في (واكس وآخرون ١٩٧١) ثم في (برايد وهولز ١٩٧٢).

(٢) بدا لعدد من الباحثين أن تخصيص مظهر لغوي خارج نطاق النحو لا يتطلب أكثر من استحداث مصطلح ظنا منهم أن ذلك كاف لتخصيص نسق عقلي أو تعيين مجال معرفي. فابتدع المهتمون بفن القول والآداب مصطلحات عدة كالقدرة الشعرية، والقدرة الأدبية، والقدرة الأسطورية، والقدرة البلاغية، والقدرة السردية، والقدرة النصية، وغيرها. للاطلاع على نقد هذا النهج في العمل العلمي. انظر في شروط افتراض قدرة ما: (البوشيخي ١٩٩٥).

(٣) تجدر الإشارة إلى أن مصطلح القدرة التداولية ينافس مصطلح القدرة التواصلية في الانتشار، وأن معظم الباحثين يستعملانهما للدلالة على المفهوم ذاته.

وصبولسكي (١٩٧٨)، وويدوسون (١٩٧٨) - يذهبون إلى أن مفهوم القدرة التواصلية مفهوم عام يشمل كل الطاقات اللغوية، وأن القدرة النحوية ليست إلّا مكونًا من مكوناتها وجزءًا غير مستقل عنها (هايمز ١٩٨٢: ١٧٦-١٨٨).

وإذا غضضنا الطرف عن الاختلافات المتعلقة بما تعنيه معرفة استعمال اللغة بالتحديد، يمكن أن نميز بين تصورين اثنين لمضمون هذا المصطلح:

أ - تصور يفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة نحوية مضاف إليها قدرة من نوع آخر، كالقدرة التداولية مثلًا.

ب - وتصور يفهم القدرة التواصلية أنها عبارة عن قدرة واحدة من شقين: شق يتعلق باللغة، وشق يتعلق باستعمالها.

وإذا كان تشومسكي - الذي يعد رائد التصور الأول - لم يفصل القول في مضمون القدرة التداولية ولم يضع مشروعًا لدراستها، فإن هايمز - الذي يعد رائد التصور الثاني - فصل القول في مفهوم القدرة التواصلية، واجتهد في وضع مشروع لدراستها. ففي تصوره (هايمز ١٩٧٣: ٨٣-٩٤) تتضمن القدرة التواصلية كل قواعد التواصل، وبفضلها يتمكن المتكلم من الحكم على جملة من جمل اللغة أو قطعة من قطعها انطلاقًا من الاعتبارات الأربعة الآتية:

- هل هذه الجملة أو القطعة مما يسمح النسق بتوليده أم لا، وإلى أي مدى؟
- هل هذه الجملة أو القطعة ممكنة التحقق بالنظر إلى وسائل الإنجاز المتاحة، وإلى أي مدى؟
- هل هذه الجملة أو القطعة مناسبة بالنسبة إلى سياق ورودها وبالنسبة إلى الجماعة اللغوية التي تستعملها وتقومها، وإلى أي مدى؟
- هل هذه الجملة أو القطعة تم إنتاجها فعليًا أم لا، وإلى أي مدى؟

يتعلق الاعتبار الأول بإنتاجية اللغة، والمصطلح الذي يتداوله اللسانيون للتعبير عنها هو النحو. إلّا أن هايمز يفضل - تجنبًا للالتباس الذي يحدثه هذا المصطلح - استعمال عبارة "ممكن نسقيا" للحكم على نحوية الملفوظ.

ويتعلق الاعتبار الثاني بعوامل لسانية - نفسية من قبيل قصور الذاكرة وقوة أو ضعف الإدراك، وفرص الكلام التي تتيحها للفرد ممارسات ومعتقدات الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها.

أما موضوع الاعتبار الثالث فهو العلاقة القائمة بين الجمل وسياق ورودها. ذلك لأن النحو الذي يسمح بتوليد ما لا نهاية له من الجمل الجديدة في حاجة إلى معيار آخر يقيد ورود هذه الجمل بسياقات معينة تشمل المظاهر الكلامية وغير الكلامية.

وأما الاعتبار الرابع فيتعلق بوعي المتكلم بما يعنيه تواتر بعض الاستعمالات اللغوية، أو ندرة بعضها الآخر، أو غير ذلك من الظواهر التي تدل على أن من بين طاقات المتكلم طاقة تمكنه من تحليل احتمالات ورود أنواع الجمل اللغوية.

وبناءً على ذلك يتسع مفهوم القدرة التواصلية - في تصور هايمز (١٩٧٣: ٨٩) - ليشمل - إلى جانب المعرفة النحوية - معرفة تتعلق بكل مظاهر النسق التواصلي، سواء تجلت هذه المعرفة في الطريقة التي يُؤول بها مستعمل اللغة سلوكه وسلوك الآخرين من حوله ويُقَوّمه، أم تجلت في الإحالة على الطاقات التي يمارس بواسطتها مستعملو اللغة التواصل فيما بينهم.

٦-٣- مكونات القدرة التواصلية:

على الرغم من أن هايمز (١٩٨٢: ١٨٣ و١٨٤) أورد عددًا من محاولات الباحثين الرامية إلى تحديد أنماط القدرة المختلفة التي تؤالف القدرة النحوية وتشكل معها القدرة التواصلية إلّا أنه لم يقدم - من جهته - افتراضًا واضحًا بهذا الخصوص، كما لم يتبنَّ أيًّا من الافتراضات المقدمة. ومن هذه الافتراضات المقَدمة على سبيل المثال التمييز الذي اقترحه كانال وصوين (١٩٧٩) بين ثلاث قدرات:

أ - قدرة نحوية،

ب - وقدرة لغوية اجتماعية تتضمن قواعد الاستعمال ذات الطابع الاجتماعي - الثقافي، وكذا قواعد الخطاب التي تضمن تماسكه وتناسقه.

ج - وقدرة استراتيجية تتضمن استراتيجيات التواصل اللفظية وغير اللفظية.

ومنها التمييز الذي اقترحه أبو بين (١٩٨٠) خمس قدرات:

أ - قدرة لغوية،

ب - وقدرة اجتماعية - ثقافية،

ج - وقدرة منطقية تعنى بتماسك الخطاب وتناسقه،

د - وقدرة إقناعية تتضمن استراتيجيات الخطاب،

هـ - وقدرة رمزية تعنى بالمظاهر غير اللغوية الواردة في عملية التواصل.

ومنها التمييز الذي اقترحه بارمر وآخرون (١٩٨١) بين ثلاث قدرات:

أ - قدرة لغوية،

ب - وقدرة لغوية - اجتماعية تعنى بتماسك الخطاب، وكذا المراجع الثقافية،

ج - وقدرة تداولية تعنى بتحديد العلاقة بين صورة الملفوظ والقصد الدلالي من استعماله.

إلى جانب هذه المحاولات، نذكر تمييز أبيديتو وروزنبرغ (١٩٨٧) بين أربع قدرات أو مهارات داخل القدرة التواصلية هي:

أ - القدرة اللغوية،

ب - والقدرة المعرفية،

ج - ومهارات الاستدلال التي يعزى إليها فهم الأفعال الإنجازية،

د - وأسس المعرفة التي يتم استعمالها في التواصل اللغوي كما في غيره.

وقد بينا أن عدم نمو أي من هذه القدرات يؤدي إلى مس القدرة التواصلية لمستعمل اللغة بالتخلف[١].

وما يُلاحظ - عامة - على هذه المحاولات وغيرها مثلها أنها لا تتفق - من جهة - على عدد محدد لمكونات القدرة التواصلية أو نوعها، وأنها - من جهة أخرى - أقامت تصنيفات وتقسيمات داخل القدرة التواصلية في غياب أي أساس نظري أو نموذج تمثيلي. إلّا أنها - لا شك - مهدت الطريق لذلك.

٧- نماذج تمثيل القدرة التواصلية:

لعله من الطبيعي أن يتجه النظر إلى الأنحاء الوظيفية بمجرد إثارة موضوع تمثيل القدرة التواصلية[٢]، ومرد ذلك إلى انتماء هذه الأنحاء إلى أنموذج وظيفي يرشح القدرة التواصلية موضوعًا للنظرية اللسانية متعارضًا بذلك مع الأنموذج غير الوظيفي المعروف بالصوري[٣]. ولتعميق الفهم، يقتضي النظر عرض الأنموذجين، لتتضح بعد ذلك نقاط الاختلاف التي تعكس بجلاء تغاير

(١) نشير في هذا الصدد إلى أنه واكب لسانيات القدرة التواصلية عدد من الأبحاث اللسانية النفسية والتطبيقية التي عنيت بتحديد مراحل اكتساب قدرة تواصلية في اللغة الأم وفي اللغة الأجنبية. وأدى ذلك إلى إعادة النظر في طرق روز هذه القدرة وأساليبها وتقنياتها، للمزيد من التفاصيل، انظر (بولطن ١٩٨٧).

(٢) من الجدير بالذكر أن هناك عددا من الأعمال تحدثت عن "نحو تواصلي" مثلما نجد في (كتين ١٩٨٨)، و(ليتش وصفارتفيك ١٩٨٨). وتصدت أعمال أخرى لتحليل التفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة (أو التواصل اللغوي) من زوايا متعددة، كما نجد في (فرشخون ١٩٨٧) و(أوراشيوني ١٩٩٠)... إلّا أن هذه الأعمال وغيرها مثلها - رغم أهميتها الوصفية - لا تندرج في إطار نظري محدد، ولا تتوق إلى بناء نماذج نحوية للقدرة التواصلية طبقا لشروط النمذجة والصياغة الصورية.

(٣) بين الدكتور المتوكل (١٩٨٩: ٩) أن التمييز بين "أنحاء صورية" و"أنحاء وظيفية" غير وارد، إذ إن الأنحاء جميعها صورية بالضرورة، وأن التمييز المطابق لواقع التنظير في الدرس اللغوي هو التمييز الذي يقابل "أنحاء وظيفية" و"أنحاء غير وظيفية". وللاطلاع بتوسع على مبادئ الأنموذج الوظيفي والنظريات المدرجة في إطاره، انظر من بين أبحاث عديدة أخرى (جاكوبوفيتس ١٩٧٠) و(ديك ١٩٧٨) و(فان-فالين وفولي ١٩٨٤) و(هاليداي ١٩٨٥) و(فرشخون ١٩٨٧) و(أوراشيوني ١٩٩٠) و(فيون ١٩٩٠).
كما يمكن الرجوع إلى (طه ١٩٨٧) و(المتوكل ١٩٨٩ و١٩٩٣أ و١٩٩٣ب) و(البوشيخي ١٩٩٠).

المشروعين وما يترتب عن ذلك من نتائج بخصوص بناء النماذج النحوية ومعايير المفاضلة بينها.

٧-١- الأنموذج الصُّوري أو مشروع تشومسكي العلمي:

٧-١-١- أهداف دراسة اللغة:

تندرج دراسة اللغة، في تصور تشومسكي، في إطار الأعمال الرامية إلى فهم الطبيعة العامة للعقل البشري. وذلك بدراسة الطاقات المعرفية البشرية والبنيات الذهنية التي تعمل وسائل لممارستها. فالدراسة المجردة للطاقات الثقافية البشرية ولوظائفها هي دراسة للعقل (تشومسكي ١٩٨٠ب: ٢٢٧)، وأحسن سبيل لبلورة هذه الافتراضات هو بناء نماذج نوعية في ميادين خاصة.

فقد تساءل تشومسكي عن الميادين التي يطور فيها الإنسان بنيات ثقافية معقدة على أساس معطيات محدودة. وانشغل من بين تلك الميادين بميدان اللغة البشرية، بما أنها "مرآة للعقل" حسب التعبير التقليدي (تشومسكي ١٩٧٥ب: ١٢). فدراسة الأنساق المكتسبة من أهم السبل المؤدية إلى فهم الطبيعة البشرية، و"استراتيجية البحث المعقولة والوحيدة، كما يمكن أن أتصورها حتى الآن، هي دراسة الأنساق الخاصة وتفاعلها" (تشومسكي ١٩٧٥ب: ٨٩). واللغة هي أهم هذه الأنساق، إذ تكتسي دراستها أهمية ثقافية قصوى، لكونها ميدانًا معقدًا قابلًا للدراسة، وخاصية مميزة للجنس البشري، ولكونها أخيرًا ترتبط بكل مظاهر الحياة الانسانية[١].

وحدد تشومسكي أهداف البحث (أ) في اكتشاف مبادئ كلية تحكم بنية اللغة واستعمالها، و(ب) في فهم الصفات النوعية للعقل البشري. ولبلوغ هذه الأهداف، افترض أن كل فرد يعرف لغته، وأن هذه المعرفة مشتركة بين بني البشر، وأنها ممثلة في عقولهم، وأن هذا التمثيل كامن في صورة المعرفة النحوية التي يمكن تحليلها من خلال بنية من القواعد والمبادئ والتمثيلات. فَ"النحو المسند إلى المتكلم هو تمثيل (أي نموذج) لمعرفته اللغوية" (تشومسكي ١٩٧٥ب: ٢٠٠). وبناءً عليه، يُعد كل تقدم في فهم لمعرفة النحوية تقدمًا في فهم العقل، وتُعد كل نظرية نحوية جزءًا من نظرية شاملة للعقل البشري. والهدف البعيد، إذا صحت الافتراضات الخاصة بالطاقة المعرفية، هو" إقامة نظرية للطبيعة البشرية في مظاهرها النفسية" (تشومسكي ١٩٧٥ب: ١٥٥).

٧-١-٢- مهام اللساني ومنهج البحث:

تكمن مهام اللساني في بناء أنحاء خاصة للغات الطبيعية، وفي اكتشاف نسق النحو الكلي، وفئة اللغات الممكن اكتسابها. واللساني، في تصور تشومسكي (١٩٧٥ب)، يدرس اللغة كما لو

(١) لم تَقُم هذه المبررات في ذهن تشومسكي بادئ الأمر؛ فسبب اختياره لميدان اللغة شخصي، ومرتبط بحدود فهمه الخاص. انظر (تشومسكي ١٩٨٠ب).

كان يدرس موضوعًا فيزيائيًا، معتبرًا أن الكائنات البشرية "موضوعات الطبيعة"، وأن استعمالهم اللغة مظهر من مظاهرها. ومنهج العلوم الطبيعية هو الكفيل بتحقيق الأهداف المرسومة. ومن ثم عُدت اللغة "عضوًا ذهنيًا" يمكن دراستها كما تدرس أعضاء الجسم. وأقيم التمييز "بين البحث المجرد للمبادئ التي يعمل بها (أي جهاز عضوي) وبين دراسة التحقيق الفيزيائي للعمليات والمكونات المفترضة في البحث المجرد" (تشومسكي١٩٨٠ب:٢٢٦). وعلى هذا الأساس، ميز تشومسكي بين القدرة النحوية وبين القدرة التداولية؛[١] مفترضًا وجود "نسق مستقل للنحو الصوري محددٌ نظريًا بالملكة اللغوية ومكونها النحو الكلي" (تشومسكي ١٩٧٥ب:٥٧).

٧-١-٣- مجال البحث اللساني وحدوده:

انطلاقًا من هذا التصور، اعتُبرت اللغة مجموعة من الجمل ينبغي وصفها في استقلال عن سياق ورودها أو عن دورها في التواصل. وانصب الاهتمام على وصف قدرة المتكلم المستمع المثالي على إنتاج الجمل وتأويلها والحكم عليها بناء على حدسه اللغوي. إذ الحدس اللغوي هو الرصيد الحقيقي الذي يستقي منه اللساني معطياته. وتمت صياغة فرضية استقلال التركيب القاضية بوجود التركيب في استقلال عن الدلالة أو عن أي شيء آخر. وهو الافتراض الذي يندرج في إطار محاولة "فرض بنية المنطق الرياضي على دراسة اللغة الإنسانية والفكر البشري عموما" (ليكوف ١٩٨٦:٢٢٥). فتشومسكي كما يقول كروس (١٩٧٦)، أقام كل أعماله على فرضية مُفادها "أن أنحاء اللغات الطبيعية ينبغي أن تكون أنساقًا صورية شبيهة بأنساق المنطق الرياضي، بمعنى أن تكون قواعد النحو قواعد لإعادة الكتابة[٢]".

كل ذلك يؤكد أن مشروع تشومسكي يندرج في إطار "برنامج عقلاني يُراهن، منذ ليبنز، على إيجاد مجموعة من القواعد الصورية التي ينبغي أن يخضع لها عالم البنيات الممكنة" (بالمريني ١٩٧٩).

٧-٢- الأنموذج الوظيفي أو مشروع ديك العلمي:

٧-٢-١- الأهداف:

تندرج الأنحاء الوظيفية - عامة - في إطار المسعى الرامي إلى إقامة نظرية تداولية شاملة. ففي هذا التصور يُعد الحديث بلغة ما صورة من صور السلوك الاجتماعي الذي تحكمه معايير

---

(١) ذكر تشومسكي (١٩٨٠ب:٥٩) أن هناك من الافتراضات التجريبية ما يجسد الفرق التصوري بين القدرة النحوية وبين القدرة التداولية؛ إذ يلاحظ أن المرء قد يفقد قدرته التداولية مع بقاء قدرته النحوية كاملة. وهو ما تعكس جزءا منه على الأقل، بعض التقارير الطبية.

(٢) انظر المقال الذي قدم به كروس ترجمة كتاب هاريس (١٩٧٦).

ومواضعات ذات طابع اجتماعي - ثقافي. وسلوك المتكلم اللغوي يدل على أن لديه معرفة بالقواعد التركيبية والدلالية والصوتية التي تحكم لغته من جهة، ومعرفة بالمعايير والمواضعات التي يخضع لها الاستعمال اللغوي داخل الحقل الاجتماعي من جهة أخرى (فولي وفان فالين ١٩٨٤). لذلك يُعد إقامة نظرية لغوية تهتم ببنية اللغة وطرق استعمالها إسهامًا في بناء نظرية عامة للسلوك البشري (سورل ١٩٦٩).

داخل هذا الإطار، رسم ديك (ديك ١٩٧٨) الخطوط العامة لبرنامج بحث لساني شامل، نورد فيما يلي أهم معالمه:

٧-٢-٢- مفهوم اللغة ووظيفتها:

تُعد اللغة، في هذا التصور، أداة للتفاعل الاجتماعي. وتتمثل وظيفتها الأولى في إقامة التواصل بين الكائنات البشرية، فهي "ظاهرة تداولية"، أو "أداة رمزية"، تُستعمل لغايات تواصلية (ديك ١٩٧٩)[١].

وبخلاف ما يعتقده تشومسكي (١٩٨٠ب) من أن اللغة هي مجموعة من الجمل يُتوسل بها للتعبير عن الفكر في استقلال عن رقابة المثيرات، أو تلبية الرغبات، أو تحقيق بعض الأهداف، برهن ديك (ديك ١٩٨٦) على أن الوظيفة الأولى للغة هي التواصل، مستندًا إلى تصور يقوم على اعتبار أن الإنتاجات الثقافية هي مجموعة من الحلول الممكنة التي تروم الإجابة عن إشكالات ثقافية عامة. وتخضع هذه الحلول لمتطلبات وظيفية أساسية، يمكن حصرها على الأقل في:

أ - الأهداف أو الغايات المراد إدراكها،

ب - والوسائل المستعملة لتحقيقها،

ج - والظروف التي يتم فيها إنجاز هذه الأهداف.

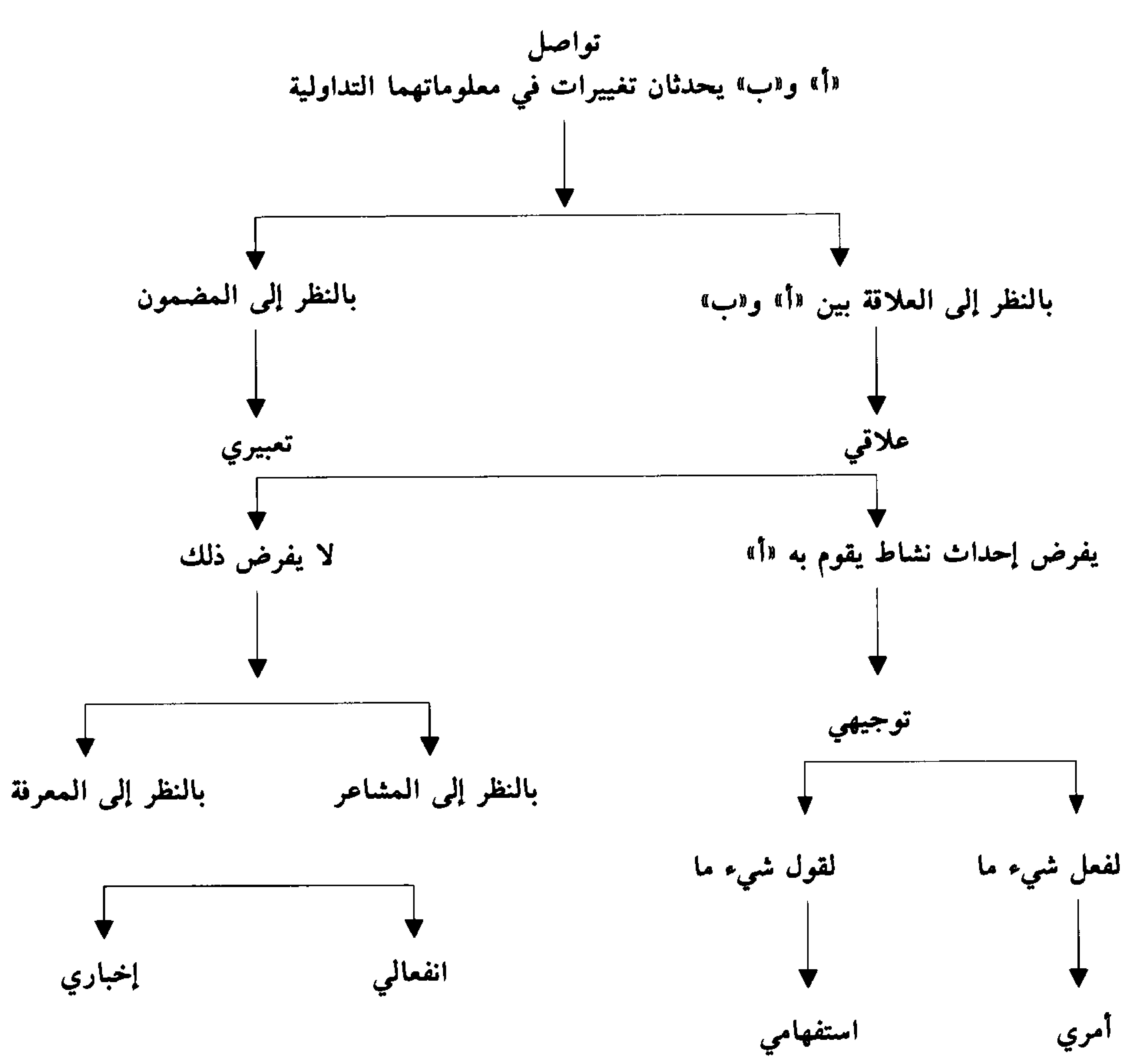
واللغة باعتبارها إنتاجًا ثقافيًا هي إجابة عن إشكال يتعلق بالطريقة التي تُمكِّن الكائنات البشرية من التواصل فيما بينها. فعلى الرغم من وجود ما لا نهاية له من الوقائع، فإن لكل لغة إمكان التعبير عن هذه الوقائع لتحقيق التواصل. فإقامة التواصل إذن هي الوظيفة المركزية لكل اللغات الطبيعية. ويعزز هذا الاعتقاد اشتراك كل العشائر الاجتماعية في استعمال نفس الأداة (اللغة) لتحقيق التواصل، باعتباره نشاطًا اجتماعيًا يُحدث الأفراد بمقتضاه تغييرات في معلوماتهم التداولية[٢].

(١) ورد ذلك في الورقة التي قدمها ديك في الندوة المشار إليها سابقا المنعقدة بجامعة وسكانس.

(٢) المعلومات التداولية هي جسم من المعرفة والمعتقدات والمشاعر. ويمكن تقسيمها إلى:
- معلومات عامة تتعلق بالعالم أو العوالم الممكنة،
- ومعلومات تتعلق بتجارب الأفراد ومدركاتهم،
- ومعلومات سياقية تستمد من العبارات اللغوية.

وإذا كان التواصل هو الهدف الأول من استعمال اللغة، فإن الوسيلة الأولى التي يتم بها تحقيقه هي الجهاز السمعي - الصوتي. أما الظروف التي يتم فيها استعمال اللغة، فتنقسم إلى ظروف فيزيائية وأخرى اجتماعية ثقافية وأخرى لغوية[١]. ويمكن التمييز بين عدد مظاهر التواصل على النحو الآتي:

(٧) -

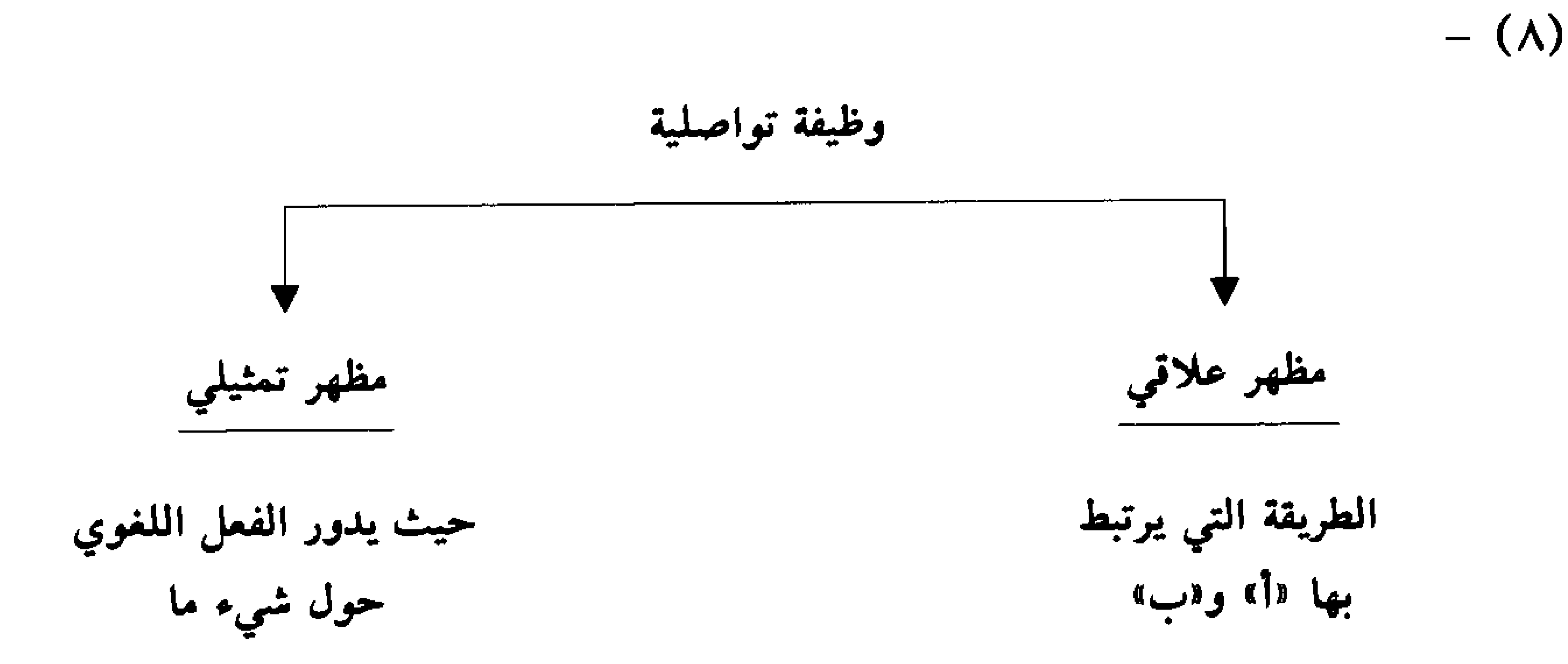


يُبرز المظهر العلاقي طبيعة العلاقة التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، أما المظهر التوجيهي فيعكس النشاط الذي يقوم به المتكلم إزاء مخاطبه، إما بتوجيه أمر إليه، أو باستفهامه عن شيء من الأشياء. ويقوم المظهر الإخباري بإبراز معارف المتكلم التي يسوقها إلى مخاطبه على سبيل الإخبار، في حين يعكس المظهر التعبيري والانفعالي قدرة المتكلم على التعبير عن مشاعره، وعلى

(١) لمزيد من التفصيل انظر (ديك ١٩٨٦).

إثارة مشاعر مخاطبه. ويمكن اختزال هذه المظاهر جميعها في مظهرين اثنين، كما يبينه الرسم الآتي:

(٨) -



وتُعد مظاهر التواصل هذه صورًا من صور النشاط الاجتماعي الذي تتميز المخلوقات البشرية بممارسته بواسطة اللغة.

٧-٢-٣- مجال البحث اللساني ومنهج العمل:

يرتبط تحديد مفهوم اللغة بميدان البحث اللساني؛ فبما أن مفهوم اللغة في النظريات الوظيفية يتسع ليشمل دورها في التواصل، فإن ميدان البحث اللساني أصبح يشمل لا القدرة النحوية فقط، بل القدرة التداولية أيضًا. ويجد هذا الموقف سنده لدى عدد من فلاسفة اللغة عُرفوا "بمنظري التواصل" أمثال سورل وكرايس وشتراوسن. وكلهم يجمعون على أن التواصل هو الوظيفة الأولى للغة، وعلى عدم ورود الفصل في دراستها بين البنية والوظيفية. فكما أن وظيفة القلب هي ضخ الدم فإن وظيفة اللغة هي التواصل. وفي كلتا الحالتين، يقول سورل، بالإمكان دراسة البنية في استقلال عن الوظيفة. ولكنّ فِعل ذلك سيكون منحرفًا وبلا أساس، طالما أنه من البديهي وجود تفاعل بين البنية والوظيفة[١].

وعلى هذه القاعدة الفلسفية، تقوم كل الأنحاء الوظيفية، وتعمل بمقتضى مبدإ عام يعتبر البنية اللغوية انعكاسًا للكيفية التي يتم بها استعمال الكلام في التفاعل الاجتماعي. ويعتقد ديك (ديك ١٩٨٦) أن فهم بنية اللغة فهما عميقًا يتوقف على ربطها بمختلف الأهداف التداولية التي تُستعمل من أجلها، وأن موضوع اللسانيات الوظيفية[٢] هو القدرة التواصلية، تلك القدرة التي تُمكِّن المتكلم من التفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة.

(١) انظر هذا القول ومناقشة تشومسكي له في (تشومسكي ١٩٧٥ب:٥٥).
(٢) في موضوع اللسانيات الوظيفية ومبادئها، انظر (المتوكل ١٩٨٩).

وبناءً عليه، فإن دراسة النسق اللغوي ينبغي أن يتم داخل إطار الاستعمال اللغوي، على الرغم من الإقرار بتمايز النسق عن الاستعمال[1].

٧-٢-٤- مهام اللساني:

تكمن مهام اللساني، حسب هذا التصور، في بناء نسقين من القواعد كلاهما يكتسي طبيعة اجتماعية:

أ - نسق القواعد التداولية التي تحكم التفاعل الكلامي باعتباره نشاطًا تعاونيًّا مُبَنْيَنا.

ب - ونسق القواعد الدلالية والتركيبية والصوتية التي تحكم العبارات اللغوية المستعملة بصفتها أدوات لذلك النشاط.

وهو مُطالب أيضًا بأن لا يقف عند وضع القواعد فقط، بل عليه أن يفسرها من خلال وظيفتها، وذلك بالنظر إلى الطرق التي تستعمل بها العبارات اللغوية، وأهداف تلك الاستعمالات (ديك ١٩٧٨).

أما معطيات اللساني فهي الملفوظات الملاحظة في النصوص الشفوية أو المكتوبة، إذ تزوده "بأفضل صورة للكيفية التي يستعمل بها الناس فعليًّا لغاتهم في ظروف الحياة اليومية" (ديك ١٩٧٩).

ولاستكمال البحث في القدرة التواصلية، ينبغي على اللساني أن يكتشف نسق النحو الكلي الذي يتضمن نمطين من الكليات: كليات صورية (غير وظيفية) وكليات وظيفية. كما عليه أن يربط بينهما مفسرًا هذه الكليات من خلال:

أ - أهداف التواصل،

ب - والتكوين النفسي والبيولوجي لمستعملي اللغات الطبيعية،

ج - والمقامات التي يتم فيها استعمال اللغة.

ويُشترط في أنحاء اللغات الخاصة أن توافق المبادئ والتعميمات الوظيفية التي يُقرها النحو الكلي بصفته نظرية تستهدف تحديد مفهوم "النسق اللغوي التواصلي الممكن" (فولي وفان فالين ١٩٨٤). كما أن اللساني مطالب بتفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي لدى الطفل، إذ يفترض الوظيفيون أن "الطفل- مُدَعَّما بدخل واسع ومُبنين من المعطيات اللغوية الموجودة في المقامات الطبيعية - يكتشف النسق التحتي للغة ولاستعمال اللغة" (ديك ١٩٧٨).

---

(١) لا يعني ذلك رفض التمييز بين القدرة والإنجاز، ولكنه رفض لعزل القدرة عن الإنجاز في الدراسة. انظر (ديك ١٩٨٣: ٥).

٧-٣- معايير الكفاية في النظرية اللسانية:

٧-٣-١- معايير الكفاية في النظرية التوليدية:

منذ الأعمال الأولى، انشغل تشومسكي بوضع قيود على النظرية اللسانية، تمت صياغتها بوضوح في (تشومسكي ١٩٦٤)، حيث أقام ثلاث مستويات للكفاية: الكفاية المُلاحظية والكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية. وفي (تشومسكي ١٩٦٥)، تم التركيز على الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية.

٧-٣-١-١- الكفاية الوصفية:

لا تكتسب النظرية اللسانية قيمتها العلمية إلّا في حدود استجابتها لمعيارَي الكفاية الوصفية والكفاية التفسيرية. فالمعيار الأول يوجب على النظرية اللسانية تحديد مفاهيم "الجملة الممكنة" و"الوصف البنيوي" و"النحو التوليدي"، بمعنى أن تكون قادرة على:

١- توليد فئة الجمل الممكنة،

٢- وتوليد فئة الأوصاف البنيوية الممكنة،

٣- وتوليد فئة الأنحاء البنيوية الممكنة، بحيث تتضمن نحوًا كافيًا وصفيًّا لكل لغة من اللغات الطبيعية،

٤- وتعيين طريقة خاصة لتحديد الوصف البنيوي للجملة[1].

وكفاية النحو الوصفية رهينة بمدى تمكنه من وصف قدرة المتكلم المثالي وصفًا صحيحًا. فالأوصاف البنيوية التي يُسندها النحو إلى الجمل، والفروق التي يقيمها بين الجمل السليمة التكوين والجمل المنحرفة، ينبغي أن تطابق حدوس المتكلم اللغوية بغض النظر عن وعيه أو عدم وعيه بالمعرفة اللغوية التي يمتلكها. فكفاية النحو الوصفية إذن تقوم على أسس خارجية تتعلق بما إذا كان يتنبأ بالطريقة التي يفهم بها المتكلم جملًا يتم اختيارها بصفة اعتباطية، وعما إذا كان يرصد ما يؤسس نجاحه (تشومسكي ١٩٦٥). ويمكن اختزال هذا النمط من الكفاية في بناء إطار للأوصاف اللغوية، ويتحدد مقياس صحته بمدى مطابقته حدوس المتكلم (شاشتر ١٩٨٥).

٧-٣-١-٢- الكفاية التفسيرية:

ترتبط استجابة النظرية اللسانية لقيد الكفاية التفسيرية بمدى نجاحها في انتقاء نحو كاف وصفيًّا على أساس المعطيات اللغوية الأولى.

---

(١) لمزيد من التفصيل، انظر (تشومسكي ١٩٦٥).

فالنظرية اللسانية قد تمنح مجموعة من الأنحاء تنسجم كلها مع المعطيات اللغوية الأولى. وهي في هذه الحالة تحتاج إلى ما يُمكِّنها من اختيار النحو الأفضل. من أجل ذلك تم اقتراح وسيلتين:

أ - مقياس تقويم الأنحاء.

ب - قيود صورية تفرض عليها.

إلّا أنه ينبغي، لبلوغ الكفاية التفسيرية، وضع قيود دقيقة على مقياس تقويم الأنحاء أو تقييد القيود الصورية المفروضة عليها حتى يصبح من الصعب "اكتشاف فرضية ذات قيمة عالية، تكون متطابقة مع المعطيات اللغوية الأولى" (تشومسكي ١٩٦٥ :٦٨).

بعبارة أوضح، إن الانتقال من وصف حدوس المتكلم اللغوية إلى تفسير هذه الحدوس ينبغي أن يتم، على أساس "فرضية تجريبية تتعلق بالاستعداد الفطري الذي يقود الطفل إلى إقامة نظرية لمعالجة المعلومات التي يمتلكها" (تشومسكي ١٩٦٥ :٤٤). وهذا يعني أن إشكال الكفاية التفسيرية يمكن اختزاله في" بناء نظرية اكتساب اللغة ورصد الطاقات الفطرية النوعية التي تجعل هذا الاكتساب ممكنا" (تشومسكي ١٩٦٥ :٤٤). كما يعني أن البرهنة على صحة النحو تتم باللجوء إلى دلائل داخلية مستمدة من علاقته بالنظرية اللسانية التي ينتمي إليها (شاشتر ١٩٨٥).

٧-٣-٢- معايير الكفاية في النظرية الوظيفية:

تقوم معايير الكفاية في نظرية النحو الوظيفي بالربط بين البرنامج العلمي العام وبين الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها. فهي، بهذا الاعتبار، وسائل لتطوير النظرية اللسانية. وبقدر ما تقترب الأنحاء الوظيفية المقترحة من بلوغ أنماط الكفاية المحددة في النظرية اللسانية، تقترب من تحقيق الأهداف المرسومة. فمعايير الكفاية بهذا المعنى هي الكفيلة بتحديد أي الأنحاء أكفى، أي بتحديد أي الأنحاء أقرب إلى بلوغ الأهداف المتوخاة.

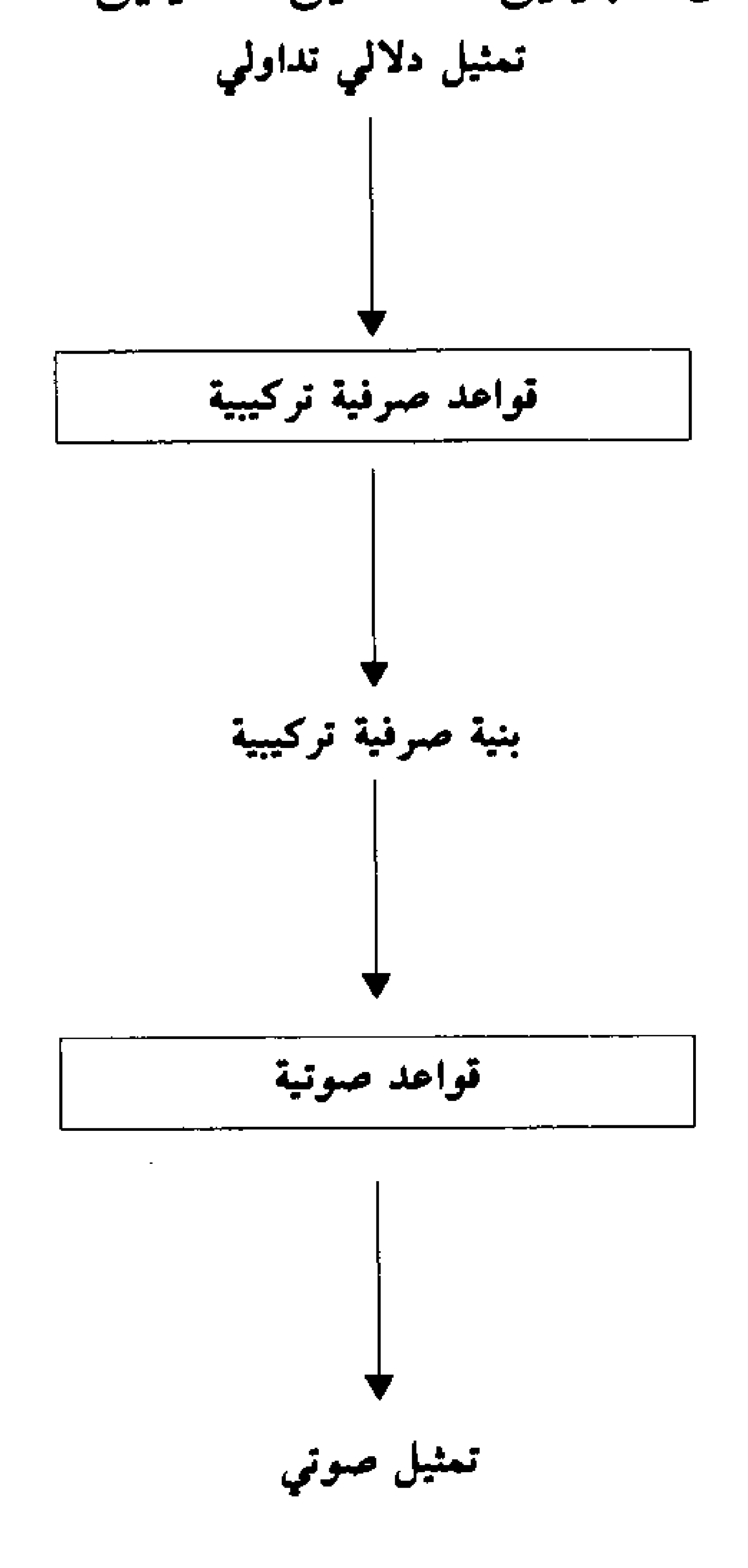
لهذا الغرض، وضع ديك نمطين من معايير الكفاية، الأول هو معيار الكفاية الوصفية، وقد أبقى عليه كما ورد في (تشومسكي ١٩٦٥). والنمط الثاني هو معيار الكفاية التفسيرية الذي تمت صياغته كالآتي:

٧-٣-٢-١- الكفاية التفسيرية:

تقوم الكفاية التفسيرية -في نظرية النحو الوظيفي- بالمفاضلة بين الأنحاء. وتتفرع إلى ثلاثة معايير، نقتصر على إيراد تعريف لكل واحد منها، وهي:

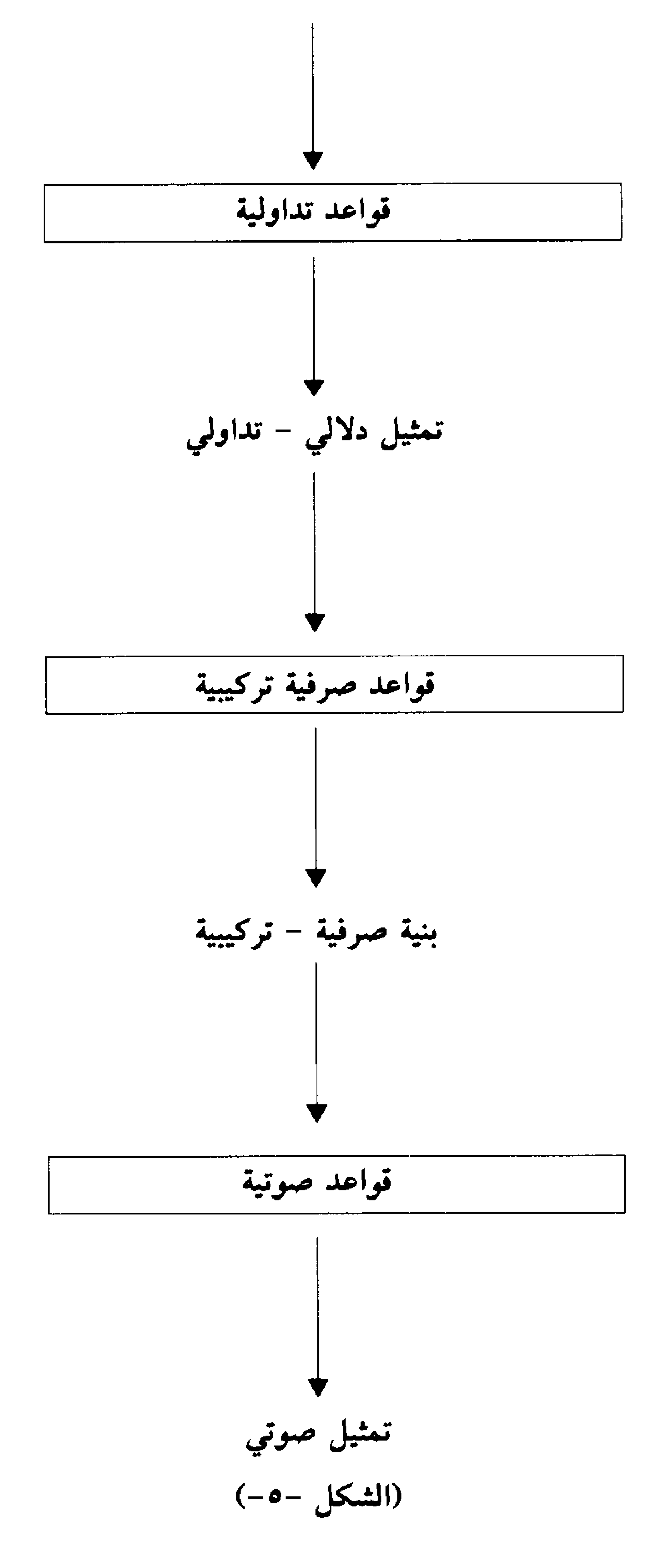
٧-٣-٢-١-١- الكفاية التداولية:

تتجلى أهمية الكفاية التداولية في دفع النظرية في اتجاه مساعدتنا على فهم الكيفية التي يمكن أن تُستعمل بها العبارات اللغوية في التفاعل التواصلي، أي الكيفية التي تجعل من الممكن استعمال العبارات اللغوية بخصائصها البنيوية مع وقائع تواصلية معينة (ديك ١٩٨٧ج). ويتطلب ذلك أن تكون الأنحاء الوظيفية مزودة بجهاز من المفاهيم يستطيع رصد الخصائص التداولية للظواهر اللغوية؛ كما يفرض أن يكون المكون التداولي في بنية النحو مكونًا أوليًّا انسجامًا مع الافتراض الأساس القاضي باعتبار بنيات اللغات الطبيعية تتحدد بمختلف الأهداف التواصلية التي تستعمل من أجلها؛ إذ على كل نحو وظيفي أن يراعي - في تحديد العلاقة بين مكوناته - أسبقية التمثيل لخصائص اللغة التداولية على خصائصها الدلالية والتركيبية انسجامًا مع الافتراض الذي يَعُدُّ التركيب تابعًا للدلالة، و يَعُدُّ كلًّا من التركيب والدلالة تابعين للتداول[1]. وعلى هذا الأساس يتم صوغ الأنحاء الوظيفية وفقًا لإحدى البنيتين العامتين الآتيتين:



(الشكل -٤-)

(١) لتعميق النظر في هذا الموضوع ، انظر (المتوكل ١٩٨٩ و١٩٨٩ و١٩٩٣أ، و١٩٩٣ب) و(البوشيخي ١٩٩٠).



(الشكل -٥-)

ما يجمع بين هاتين البنيتين تأخر التمثيل للمستوى التركيبي عن التمثيل للمستويين الدلالي والتداولي. ويخالف بينهما أن البنية التحتية في الشكل (٤) تتضمن تمثيلًا دلاليًا وتداوليًا، كما يأخذ بذلك نموذج للنحو الوظيفي (ديك ١٩٨٩). أما في الشكل (٥)، فتقتصر البنية التحتية على التمثيل الدلالي الذي يُنقل بدوره إلى تمثيل دلالي - تداولي كما هو الحال في نحو الوجهة الوظيفية (دانيش

١٩٧٠)، ونحو الأدوار والإحالة (فان فالين وفولي ١٩٧٠)، والنحو الوظيفي في صيغته الأولى (ديك ١٩٧٨).

٧-٣-٢-١-٢- الكفاية النفسية:

على الرغم من أن العمل اللساني يختلف عن "وصف البنيات والمبادئ والاستراتيجيات النفسية التي تحدد الطريقة التي يتم بها إدراك العبارات اللغوية وتأويلها ومعالجتها وتخزينها وتذكرها وإنتاجها" (ديك ١٩٧٨ : ٧)، فإنه مطالب، في بناء النحو، بأن لا يتعارض مع الفرضيات النفسية القوية القائمة حول معالجة اللغة. وإلاَّ كان ذلك مدعاة لإعادة النظر في النحو، وفي إمكان صياغته صياغة تتصل بنتائج الأبحاث اللسانية - النفسية. فمعيار الكفاية النفسية يفرض على النحو أن ينسجم مع ما يُعرف عن الطاقات النفسية للمخلوقات البشرية، أي عن الإواليات النفسية التي تتطلبها معالجة اللغات الطبيعية. بعبارة أوضح، فالنحو لا يرقى إلى الكفاية النفسية، كما يقول ديك (ديك ١٩٨٣ : ٦)، إلّا إذا كان مؤلفًا من نموذج إنتاج يوضح الكيفية التي يتم بها بناء العبارات اللغوية، ونموذج فهم يوضح الكيفية التي تتم بها معالجة العبارات اللغوية، ومن العناصر والمبادئ التي يتم استعمالها في كل من نموذج الإنتاج ونموذج الفهم.

فإذا افترضنا وجود نحوين وظيفيين، لكل منهما بنية خاصة، ويقدم كل منهما أوصافه للغة معطاة، فإن النحو الأكفى - بالنظر إلى معيار الكفاية النفسية - هو النحو الذي يثبت أن بنيته تتكون من نموذج فهم ونموذج إنتاج ومجموعة من المبادئ الحاضرة في كل نموذجي الفهم والإنتاج.

ويُعد النحو الذي يتعارض مع نتائج الأبحاث اللسانية النفسية، نظرية كانت أم تجريبية، نحوًا قاصرًا عن بلوغ الكفاية النفسية.

٧-٣-٢-١-٣- الكفاية النمطية:

يمكن تركيز الكفاية النمطية في قدرة النظرية اللسانية على تزويدنا بأنحاء كافية لمختلف أنماط اللغات الطبيعية. ويلاحظ ديك (١٩٧٨) أن هذا المطلب كامن في كل مفهوم للنظرية اللسانية.

النحو الكافي نمطيًّا هو النحو الذي يمتلك القدرة على وصف جميع أنماط اللغات الطبيعية، وهو ما يستلزم مراعاة ظواهر لغوية متعددة تنتمي إلى أنماط متنوعة من اللغات. إذ لا يكفي، لبناء نحو كاف نمطيًّا، اعتماد معطيات عدد من اللغات تنتمي إلى نفس النمط. ففي هذه الحالة قد يواجه النحو بمعطيات تنتمي إلى نمط آخر من اللغات لا يستطيع معالجتها مما يحول دون بلوغه الكفاية النمطية، ومن جهة أخرى، فإن طابع المرونة مطلوب في صياغة المبادئ والقواعد العامة حتى يكون بالإمكان تطبيقها على معطيات متنوعة. ومع اتساع مجال تطبيق الأنحاء على لغات متعددة، تغتني

هذه الأنحاء بمفاهيم جديدة، ولربما بتعديلات تقتضيها الدواعي التجريبية.

وفي تصور ديك (ديك ١٩٨٧أ)، فإنه "ينبغي أن تصاغ النظرية من خلال قواعد ومبادئ يمكن تطبيقها على كل نمط من أنماط اللغات الطبيعية"، كأن يفترض أن العبارات اللغوية لكل لغة من اللغات يمكن تحليلها من خلال حمول تحتية وبنيات مجردة تتضمن المعلومات المتطلبة سواء بالنسبة للتأويل الدلالي أو التكوين الصوري للعبارة.

وتتجلى أهمية هذا المطلب في الدفع بالنموذج إلى الإسهام في توضيح المبادئ الأساس لملكة الإنسان اللغوية، ورصد قدرته، من حيث المبدأ، على تعلم استعمال أي لغة طبيعية كانت.

٧-٣-٢-١-٤- قيود أخرى:

من الطرق التي يمكن أن تسلكها الأنحاء الوظيفية لإثبات كفايتها أيضًا إظهار الإمكانات التي ترشحها للاندماج في نماذج إجرائية لمستعملي اللغات الطبيعية (ديك ١٩٨٧ب)، وذلك بأن يَثبت إمكان برمجتها في الحاسوب باعتبارها نسقًا يحاكي المخلوق البشري في ممارسة النشاط اللغوي. وقد عُرف هذا المعيار بمعيار الكفاية الحاسوبية[١].

٧-٤- نتائج واقتضاءات:

يتضح مما سلف أن تعدد النماذج اللسانية يرتبط في أحد جوانبه بالأطر النظرية التي تنتمي إليها هذه النماذج، وأن اختلاف الأطر النظرية يعود بدوره إلى نوع الأنموذج الذي تَصْدُر عنه وإلى البرامج العلمية التي تقوم بتحديد الأهداف البعيدة والأهداف المرحلية واستراتيجية العمل والوسائل والإمكانات المعتمدة....

ومن الطبيعي أن تختلف النماذج باختلاف أطرها النظرية، بما أن هذه الأطر النظرية هي التي تحدد موضوع البحث. فموضوع اللسانيات التوليدية هو القدرة النحوية لمتكلم مستمع مثالي، وهدف كل نموذج داخل هذا الإطار أن يحاكي هذه القدرة ويمثل لها بمراعاة افتراضات النظرية وقيودها ومعايير الكفاية التي تضعها. وموضوع اللسانيات الوظيفية هو قدرة المتكلم التواصلية. وهدف كل نموذج داخل هذا الإطار أن يحاكي هذه القدرة بمراعاة افتراضات النظرية الوظيفية وقيودها ومعايير الكفاية التي تضعها.

ويترتب على ذلك نتيجتان مهمتان:

أ - إن مقاربة موضوع التواصل اللغوي مقاربة لسانية لا يمكن أن يقوم في إطار أنموذج صوري،

---

(١) نأمل أن تُتاح لنا فرصة أخرى للحديث عن التطبيقات الحاسوبية للنظريات والنماذج الوظيفية.

ب - وإن أنسب إطار لمثل هذه المقاربة هو الأنموذج الوظيفي.

٧-٥- نموذج مستعملي اللغات الطبيعية:

صرح هايمز (١٩٨٢: ١٧٧) أن الهدف من ابتداع مفهوم القدرة التواصلية هو إقامة إطار عام لدراسة الطاقات الثاوية خلف استعمال اللغة، وتوقع (هايمز ١٩٨٢: ١٩٠) أن تقود دراسة اللغة من زاوية وظيفية إلى اختيار الاتجاه التواصلي، لأنه اختيار شمولي تتجلى فيه القدرات والبنيات وهي تتعالق بينها تعالق تظافر وتعاون.

وعلى الرغم من انشغال الأنحاء الوظيفية بموضوع القدرة التواصلية إلّا أنها ظلت تمثل لمكون من مكوناتها فحسب، هو المكون اللغوي؛ إلى أن وضع ديك (١٩٨٩) المشروع الرامي إلى بناء نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية يتضمن كل مكونات القدرة التواصلية ويبين كيفية عملها. فقد افترض (ديك ١٩٨٩: ٣ و٤) أن القدرة التواصلية تتكون من عدد محدود من الطاقات. وهذه الطاقات خمس على الأقل؛ وهي:

أ - الطاقة اللغوية المسؤولة عن إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها،

ب - والطاقة المعرفية المسؤولة عن تخزين المعلومات وتنظيمها،

ج - والطاقة المنطقية المسؤولة عن استنتاج معلومات جديدة من معلومات معطاة،

د - والطاقة الإدراكية المسؤولة عن إدراك المحيط واكتساب المدركات واستعمالها،

هـ - والطاقة الاجتماعية المسؤولة عن مراعاة الأوضاع الاجتماعية لكل من المتكلم والمخاطب أثناء قيام التواصل اللغوي بينهما.

وقبل تفصيل القول في نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، من الجدير ذكره أن من أهم الافتراضات المتبناة في بنائه افتراض القالبية. ونظرًا لأهمية هذا الافتراض في بناء الأنحاء عامة، فإنه من الأولى تقديم بيانه أولًا.

٨- خاتمة:

حاولنا في هذا الفصل رصد التحول الذي طبع اللسانيات الحديثة من العناية باللغة إلى العناية بالنحو، ثم التباين القائم بين اللسانيين في تحديد موضوع النظرية اللسانية الحديثة وفي بناء النماذج التمثيلية.

بعد أن ذكرنا بأهم الافتراضات المتبناة في البرنامج التوليدي بخصوص قدرة المتكلم النحوية وعلاقتها بغيرها من الأنساق العقلية وكيفية التمثيل لها، عرضنا أهم الانتقادات الموجهة إلى هذا البرنامج. وسلطنا الضوء على مسار تحول عناية عدد متزايد من اللسانيين من القدرة النحوية إلى

قدرة أشمل. وكانت المناسبة مواتية لتتبع مراحل تطور مفهوم "القدرة" في الفكر اللغوي العربي القديم ومفهوم "القدرة التواصلية"، خاصة في الفكر اللساني الحديث، وكذا المشاريع الرامية إلى بناء نماذج تمثل لها إن جزئيًّا كالأنحاء الوظيفية، أو كليًّا كنموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

وكنا بذلك نرسم الإطار العام للبحث في ما يُمَكِّن المخلوقات البشرية من التواصل بينها مستدلين على أن أنسب إطار هو الأنموذج الوظيفي.

الفصل الثاني

القالَبية وبناء نموذج

مستعملي اللغات الطبيعية

٠ - مدخل:

شهدت اللسانيات تحولات موسومة بالجدة والعمق والطموح الذي لا ينتهي: فمن اعتماد أسلوب البحث الكاليلي ومنهج العلوم الطبيعية في دراسة اللغة، إلى توخي الواقعية النفسية في بناء الأنحاء الصورية، إلى تبني المقاربة القالبية والسعي إلى بناء أنساق حاسوبية تحاكي الأنساق البشرية في بعض المظاهر.

لتسليط الضوء على جزء من هذه التحولات نبين في هذا الفصل دور القالبية في بناء الأنحاء عامة، وبناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية خاصة؛ حيث سنقوم بتحديد مفهوم القالبية وأصوله المعرفية، وسنُقدم إطار القالبية العام، كما سنعرض للأفكار المناهضة للقالبية وللردود عليها خاتمًا بذلك المبحث الأول .

وفي المبحث الثاني سنبين الكيفية التي تم بها استثمار القالبية في بناء الأنحاء سواء منها الأنحاء المؤسسة تركيبيًا كالنحو التوليدي بصيغه المختلفة، أو تلك المؤسسة تداوليًا كالنحو الوظيفي بصيغتيه. وفي المبحث الثالث سنعنى ببيان أن بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية قائم أيضًا على أساس افتراض القالبية.

١- إطار القالبية العام:

١-١- مفهوم القالبية:

القالبية فرضية[1] مفادها أن دراسة أي نسق من الأنساق تقتضي التعامل معه على أساس أنه مكون من عدة أنساق فرعية يتميز كل منها بالخصائص الآتية:

أ - إفرادية البنية

ب - إفرادية المبادئ

ج - إفرادية التطور

د - خاصية الاستقلال

هـ - خاصية التفاعل

---

(١) يعود الفضل في صياغة فرضية القالبية صياغة علمية واضحة إلى تشومسكي وبعده فودور، انظر (تشومسكي ١٩٧٥ب و١٩٨٠ب) و(فودور ١٩٨٣ و١٩٨٥).

تفيد الخاصية (أ) أن لكل نسق بنيته الخاصة، وأن هذه البنية - كما تشير إلى ذلك الخاصية (ب) - تحكمها مبادئ خاصة تقوم بتنظيم طريقة عملها. أما الخاصية (ج) فتفيد أن النسق يتطور وفق منهج خاص. وبعبارة، فإن كل نسق يختص ببنيته وبمبادئه وبنموه، حيث لا يمكن تصور نسقين (س) و(ص) لهما بنية متماثلة وتحكمهما مبادئ موحدة، ويتطوران بالطريقة نفسها. ومعنى هذا أن كل نسق يتمتع باستقلاله الخاص. إلّا أن هذا الاستقلال لا يمنعه من التفاعل مع أنساق تساهم هي الأخرى في أداء وظيفته المحددة كما تدل على ذلك الخاصيتان (د) و(هـ) بالتوالي. بناءً على ذلك، يعد "قالبا" كل نسق أو نسق فرعي توفر على الخصائص المذكورة أعلاه.

١-٢- أصول القالبية المعرفية:

تعود أصول القالبية المعرفية إلى علم النفس الكلاسيكي، حيث عني هذا العلم بالبحث في الملكات البشرية. وتم في إطاره تصنيفها إلى ملكات أساسية كالذاكرة والإدراك والإرادة والخيال... وملكات نوعية كاللغة والموسيقى والحساب...

ومنذ القرن الثامن عشر أصبح النقاش مفتوحًا حول ما إذا كان الإنسان يتوفر على ملكات عامة تؤهله لاكتساب كل أنماط المعارف أم أن كل نمط منها يتطلب وجود ملكة خاصة مستقلة عن غيرها. بعبارة أخرى هل يتم اكتساب اللغة والموسيقى والحساب بواسطة ملكات عامة أم بواسطة ملكات خاصة، أي ملكة لاكتساب اللغة وملكة لاكتساب الموسيقى وأخرى لاكتساب الحساب....

تَبَنِّي الملكة العامة يؤدي إلى القول أن ليس هناك حدود للعقل البشري؛ إذ بواسطة هذه الملكة يستطيع اختراق كل المجالات المعرفية الآتية والمستقبلية، في حين يؤدي تبني الملكات الخاصة إلى موقف مضاد مفاده أن للعقل البشري حدودًا تجعله قادرًا على اكتساب أنماط من المعارف لأنه يتوفر على ملكات خاصة باكتسابها وغير مؤهل لبلوغ أنماط أخرى من المعرفة بما أنه لا يتوفر على ملكات خاصة بها. على هذا الأساس، عُدَّ أفلاطون والسلوكيون عامة من أنصار الرأي الأول، وعُد العقلانيون عامة من أنصار الرأي الثاني. وعُرفت الملكات العامة بأنها "ملكات أفقية" في حين دُعِيَت الملكات الخاصة "ملكات عمودية". وبناء عليه، لا يعد مفهوم "قالب" مفهومًا جديدًا في حقل علوم اللغة، إذ تم استعماله في علم النفس المعرفي وقُدِّمَت في إطاره عدة افتراضات قالبية. كما أن القوالب المعرفية يمكن اعتبارها صياغة جديدة لمفهوم قديم هو الملكات العمودية[1].

---

(١) انظر مقالة ميتسو رونا في (رونا وآخرون ١٩٨٦).

١-٣- إطار القالبية العام:

تنخرط اللسانيات من بين علوم أخرى[١]، في حقل علوم المعرفة المعاصرة بموجب انشغالها - جزئيًا - بالإشكال المتعلق بتحديد بنية العقل البشري وطريقة عمله. هذا الإشكال يتفرع إلى الأسئلة المركزية الآتية:

- ما هي الملكات المعرفية التي يتكون منها العقل البشري؟
- هل يتكون من ملكات متميزة لكل منها بنيته ومبادئه الخاصة، أم أنه يتكون من ملكات معرفية متعددة لها بنية واحدة وتحكمها مبادئ موحدة؟
- ثم ما هي طبيعة العلاقة القائمة بين هذه الملكات وما هي طريقة عملها؟
- وبعبارة، كيف نتمكن من بناء نظرية علمية للعقل؟

تقوم المقاربة القالبية لهذا الإشكال - حسب تشومسكي (١٩٨٠ب) - على أساس الافتراضات الآتية:

أ - العقل البشري مزود ببنية فطرية في تمام الغنى.

ب - العقل البشري مكون من أنساق متعددة مستقل بعضها عن بعض.

ج - لكل نسق من الأنساق العقلية خصائصه النوعية ومبادئه الخاصة.

د - كل الأنساق تتفاعل فيما بينها بطريقة محددة بيولوجيًا.

هـ - كل نسق يتطور بطريقة خاصة وفي ظل ظروف تجريبية واجتماعية مناسبة.

تتماسك هذه الافتراضات فيما بينها تماسكًا يساهم في دعم بناء نظرية للعقل البشري تقوم على افتراض أن العقل قالبي البنية. يقتضي بناء هذه النظرية تعيين الأنساق المعرفية - أو الأعضاء الذهنية التي تعد وسائل ممارسة طاقاتنا المتنوعة - واكتشاف خصائص هذه الأنساق وطرق تفاعلها. ويمكن أن يتحقق هذا الهدف ببناء نحو (أي نظرية) لكل نسق ممثل ذهنيًا. وبذلك نستطيع أن نسند للعقل البشري بنية داخلية هي عبارة عن مجموعة من القواعد والمبادئ والتمثيلات. ويعود تحديد صنف الأنساق المعرفية التي تتطور داخل العقل إلى ما يتضمنه العقل نفسه من خصائص بيولوجية خاصة منها تلك المحددة وراثيًا والموقوفة على النوع البشري؛ فحيثما أمكن للمخلوقات أن تبني معرفة غنية ومعقدة، دونما تفاوت نوعي فيما بينها، انطلاقًا من معطيات محدودة وناقصة

---

(١) منها علم النفس واللسانيات النفسية والأنثروبولوجيا وعلوم الدماغ، وكلها تعنى بدراسة الأنساق المعرفية الطبيعية مركزة على التقابل الحاصل بين الإنسان والحيوان. ينضاف إلى تلك العلوم علم الذكاء الاصطناعي وعلم الآلة وعلوم الحاسوب، وهي علوم تنشغل بدراسة الأنساق المعرفية الاصطناعية مركزة على التقابل القائم بين الإنسان والآلة، إلى جانب الفلسفة والمنطق والرياضيات والفيزياء التي تزود العلوم الأخرى بالمفاهيم والتصورات والنماذج الرياضية. للتفصيل انظر (أندلر ١٩٨٧).

وفي مدة وجيزة، فثمة نواة فطرية هي المسؤولة عن إنتاج هذه المعرفة شرط تفاعلها مع تجربة ملائمة. وهي المسؤولة أيضًا عن تحديد أنساق المعارف التي يمكن اكتسابها؛ إذ لو انعدمت الضغوط البيولوجية على مجال المعرفة البشرية لتراكمت المعارف بصورة تفوق الخيال، ولفقدت بفعل ذلك كل قيمة.

ففي حال اللغة، لو لم تكن هناك ضغوط بيولوجية لما أمكن تحديد ماهية اللغة ولا التحكم في تنوعها. ولافتقدت بذلك قيمتها ووظيفتها[١]. فبفضل الخصائص البيولوجية المحددة وراثيًّا والخاصة بالنوع البشري، المشار إليها بالنحو الكلي، نستطيع التمييز بين ما هو لغة وما ليس كذلك تبعًا لمدى خضوعها لمبادئ النحو الكلي. وبهذا النحو الكلي تتحدد فئة اللغات الممكن اكتسابها. إلّا أن الملكة اللغوية - التي يشكل النحو الكلي حالتها الأولى - لا تتحكم بمفردها في عملية اكتساب اللغة، بل تتفاعل لتحقيق ذلك مع ملكات أخرى كنسق القدرة التداولية والنسق التصوري ونسق الحس المشترك وأنساق أخرى. وحصول التفاعل بين هذه الأنساق المختلفة لا ينتج عنه خضوعها للمبادئ ذاتها ولا تقاسمها الخصائص نفسها. فالمبادئ التي تحكم الملكة اللغوية مثلًا مغايرة للمبادئ التي يخضع لها النسق التصوري. ويصدق الأمر نفسه على مبادئ الأنساق الأخرى وخصائصها. كما يتميز كل نسق من غيره بطريقة نموه وتطوره، علمًا بأن كل الأنساق العقلية تتفاعل مع المحيط الاجتماعي والفيزيائي لضمان نضجها.

فيما يخص فودور (١٩٨٣)، فإنه يقدم افتراضًا آخر مفاده أن العقل البشري لا يتكون من أنساق قالبية فحسب، بل يتكون أيضًا من أنساق غير قالبية. يُعَدُّ النسق اللغوي - حسب هذا الافتراض - نسقًا قالبيًّا، في حين يُعَدُّ نسق المعالجة المركزي نسقًا غير قالبي، ويتضمن كل ما يتصل بالمعتقدات التي يقيمها الناس عن العالم. أما الأنساق القالبية فيمكن مقاربتها علميًّا، في حين تتمنع الأنساق غير القالبية على الفهم محافظة بذلك على انغلاقها[٢]. وعلى الرغم من الموقف المزدوج الذي يتبناه فودور، فإنه قدم دلائل قوية لصالح افتراض القالبية خاصة بعدما نقله إلى ميدان اللسانيات النفسية[٣].

---

(١) لو تصورنا أن كل احتمالات التأليف في لغة معطاة ممكنة، سواء بين الفونيمات أو بين الكلمات أو بين الجمل، فإن اللغة بذلك تفقد ماهيتها وقيمتها، إذ بفضل الضغوط البيولوجية التي تحد من كل الاحتمالات تكتسب اللغة خصائصها الجوهرية التي تجعل منها لغة طبيعية.

(٢) يذكر كارتسون (١٩٨٨) أن استغلاق الأنساق غير القالبية على الفهم يعود - حسب فودور (١٩٨٥) - إلى أمرين رئيسيين: أولهما أن وظيفة هذه الأنساق هي تثبيت المعتقدات، وعملية التثبيت هذه لا تجري وفق استدلال واضح. وثانيهما أنه لا يمكن حصر عدد المعتقدات التي تقوم بتثبيت معتقدات أخرى.

(٣) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن افتراض القالبية في ميدان اللسانيات النفسية، انظر فودور (١٩٨٣ و١٩٨٥) و(تنينهوس ١٩٨٨) و(كارستون ١٩٨٨) والمراجع الواردة هناك. =

ما سلف يبين أن أنسب إطار لدراسة العقل هو علوم المعرفة المعاصرة حيث يمكن استثمار كل النتائج التي تم تحقيقها في فروع المعرفة لصالح بناء نظرية علمية للعقل، ويرسخ تصور اللسانيات فرعًا من علم النفس المعرفي بما أنها تعنى بدراسة الملكة اللغوية وتحديد موقعها بين الملكات العقلية الأخرى وعلاقتها بها، ويدعم المقاربة القالبية لدراسة العقل البشري.

١-٤- عن مناهضة القالبية:

تتجلى هذه المناهضة في التقليل من أهمية المقاربة القالبية والزعم بأنها «تختزل إمكان النظر إلى اللغة باعتبارها مظهرًا من مظاهر رصيد سلوكي كامل». وأنها تعمل على «خلق غموض في الروابط القائمة بين اللغة ومظاهر المعرفة الأخرى»(١)، كما تتجلى في رفض افتراضات القالبية وتقديم افتراضات بديلة. فحسب بياجي (بياجي ١٩٧٩) مثلًا، لا يمكن قبول فطرية العقل أو قيامه على "نواة فطرية ثابتة" لسببين اثنين:

أولهما أن العقل - كما يكشف ذلك موقف لورنز - إذا كان فطريًا، إما أن يكون عامًّا مشتركًا بين جميع المخلوقات الحية، وإما أن يكون نوعيًا أي خاصًا بالمخلوقات البشرية. وفي هذه الحال، نعدم تفسيرًا بيولوجيًّا يبين لنا «عبر أي تحولات وتحت أي انتقادات طبيعية كان للعقل أن يقوم»، و «لماذا تجعل صدفة التحولات الكائن البشري أهلًا لتعلم لغة منطوقة» دون باقي الكائنات الحية.

وثانيهما أن "النواة الفطرية الثابتة" تحتفظ بكل مزاياها دون أن تكون فطرية. وفي هذه الحال، ستكون نتيجة "ضرورية" لبناءات الذكاء الحسي - الحركي، علمًا أن هذا الذكاء يكون سابقًا عن تعلم اللغة، ويُعزى وجوده إلى آلية الضبط الذاتي التي تحكم العمليات العضوية والسلوكية على حد سواء(٢).

و تُعَدُّ فرضية الضبط الذاتي - التي يدافع عنها بياجي - بديلًا عن فرضية فطرية العقل وقالبيته: لأنها تنفي - من جهة - أن يكون العقل فطريًا، كما تنفي -من جهة أخرى- أن تختص كل ملكة من الملكات المعرفية التي يتشكل منها العقل بمبادئها وخصائصها وطريقة تطورها.

يؤكد تشومسكي (١٩٨٠) في سياق الدفاع عن المقاربة القالبية أنه لا يعقل قبول القالبية حينما

= وللاطلاع على الأبحاث المنجزة في هذا الميدان التي تدعم نتائجها ورود فرضية القالبية، انظر (فريزر ١٩٨٨) و(فلاين ١٩٨٨) و(فرومكين ١٩٨٨) و(كروطيس ١٩٨٨) و(كين ١٩٨٨) و(كيميبصون ١٩٨٨) و(روبر ١٩٨٨).

(١) تنسب هذه الزعوم إلى أتباع بياجي. انظر(تشومسكي ١٩٨٠ب: ٤٥).

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر (بالمريني ١٩٧٩) حيث يعرض كل من بياجي وتشومسكي افتراضاتهما ويناقشانها بمشاركة زمرة من ألمع الباحثين والعلماء من تخصصات متعددة.

يتعلق الأمر بدراسة الجسد والأعضاء الفيزيائية، ويُتَنَكَّر لها عندما يتعلق الأمر بدراسة العقل أو "الأعضاء الذهنية". إذ لا يُعتَرض في الفسيولوجيا على القول إن النسق البصري والسمعي نسقان محددان وراثيان، ومبنيان بطريقة مختلفة، ويتوفر كل منهما على خصائص خاصة وعلى مبادئ خاصة، دون أن يمنعهما ذلك من التفاعل بينهما، كما يتطور كل مِنْهُما بطريقته الخاصة، ولا أحد يزعم بأن مقاربة من هذا القبيل "تختزل إمكان النظر إلى البصر بصفته مظهرًا من مظاهر رصيد سلوكي كامل" وأنها تعمل على "خلق غموض في العلاقة القائمة بين البصر والسمع". وبمجرد الشروع في دراسة الملكات الذهنية يُطعَن في سلامة الافتراضات القالبية وتُقدِّم افتراضات مضادة[١]. إن الدليل المستخلص من فقر المثير[٢] يؤيد وجود بنية فطرية كما أن التنوع الظاهر في المبادئ المنظمة للطاقات المعرفية والبنيات الكامنة خلفها يؤكد غنى هذه البنية الفطرية وتنوعها. وبحكم العلاقة التصورية بين الفطرية والقالبية، فإن تبني افتراض بنية فطرية غنية يؤدي إلى افتراض القالبية. كما أن تبني افتراض بنية فطرية محدودة وإنكارها تمامًا يؤدي إلى إنكار القالبية. وعلى أيٍّ فإن الاختيار بين هذه المقاربة أو تلك ينبغي أن يتم على أساس أوفر الحظوظ التي تمنحها إحدى المقاربتين لبناء نظرية ذات قيمة وصفية وتفسيرية. إلّا أن الوقائع المتراكمة يبدو أنها تسير في اتجاه دعم القالبية، إذ المسائل المتعلقة ببنية العقل الأولى وبالقالبية هي مسائل تجريبية وليست معتقدات جاهزة.

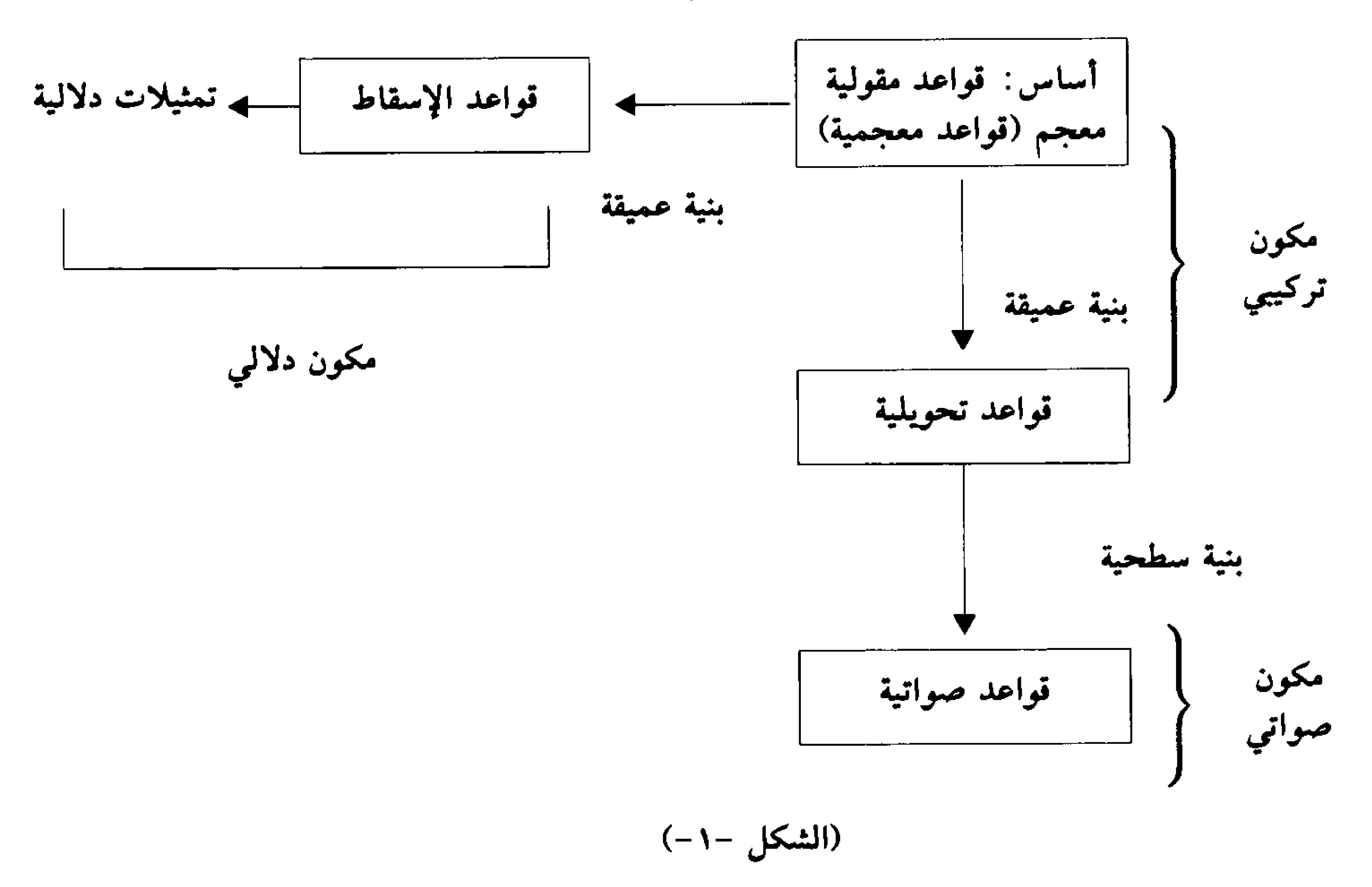
٢- القالبية وبناء الأنحاء:

٢-١- القالبية وبناء النحو التوليدي:

يقتضي تصور النحو نظرية للملكة اللغوية أن يكون هذا النحو قالبي البنية، أي نسقًا يتكون من مكونات متنوعة، مستقل بعضها عن بعض ومتفاعلة فيما بينها، وتخضع كل منها لمبادئ خاصة تنظم طريقة عملها، ذلك لأن تبني فرضية قالبية العقل ينجم عنه تبني فرضية فرعية أخرى مضمونها أن كل ملكة من الملكات العقلية هي قالبية البنية. وبما أن دور النحو هنا هو التمثيل للملكة اللغوية فإن ما تجدر مراعاته بالأساس في بناء هذا النحو هو طابعه القالبي. بروجعنا إلى النحو التوليدي نلاحظ طابعه القالبي منذ صياغته الأولى سواء تعلق الأمر بالنظرية المعيار الموسعة أو نظرية الربط العاملي

(١) يشير تشومسكي في هذا الصدد إلى سكينر وبياجي وأتباع كل منهما. انظر(تشومسكي ١٩٨٠ب: ٤٠).
(٢) يكمن جوهر هذا الدليل في أن المتكلم يعرف لغته لا لأن المحيط لقنه إياها أو أن تجربته اللسانية مكنته من تعلمها، ولكنه يعرف لغته لأنه مزود ببنية ذهنية محددة بيولوجيا وقابلة للتطور، فالمثير (أي المحيط أو التجربة اللسانية) أفقر من أن تنتج عنه معرفة بمثل هذا التعقيد. انظر (تشومسكي ١٩٨٠ب).

أو غيرها[١]، إلّا أن مفهوم "قالب" كان حاضرًا في النظريتين الأولى والثانية بصورة ضمنية يمكن أن تستشف من بنية النحو ذاتها[٢]. فهناك عدة مكونات مُختلفة (مكون تركيبي ومكون صواتي ومكون دلالي) يتمتع كل منهما باستقلاله الخاص، ولكل منها مبادئه وقواعده الخاصة، وتتفاعل فيما بينها لتوليد الجملة كما يوضحه الرسم الآتي:



(الشكل -١-)

حيث يتكفل المكون التركيبي بتوليد البنية العميقة. هذه البنية تُعَدُّ دخلًا لقواعد المكون الدلالي ودخلًا لقواعد المكون الصواتي.

أما نظرية الربط العاملي فقد أصبح مفهوم "قالب" حاضرًا بطريقة صريحة، وأسند هذا المصطلح إلى النظريات الفرعية والمبادئ العامة. إذ بالإضافة إلى مكونات النحو الفرعية الآتية:

(١) - المعجم

- التركيب

أ - مكون مقولي

ب - مكون تحويلي

---

(١) انظر على التوالي (تشومسكي ١٩٨٥ و١٩٧٢ و١٩٨١ و١٩٨٢) وللاطلاع على معالجة بعض قضايا اللغة العربية في هذا الاطار، انظر من بين أبحاث أخرى) الفاسي الفهري ١٩٨٥ و١٩٨٦ و١٩٩٠).

(٢) انظر (رونا ١٩٨٦).

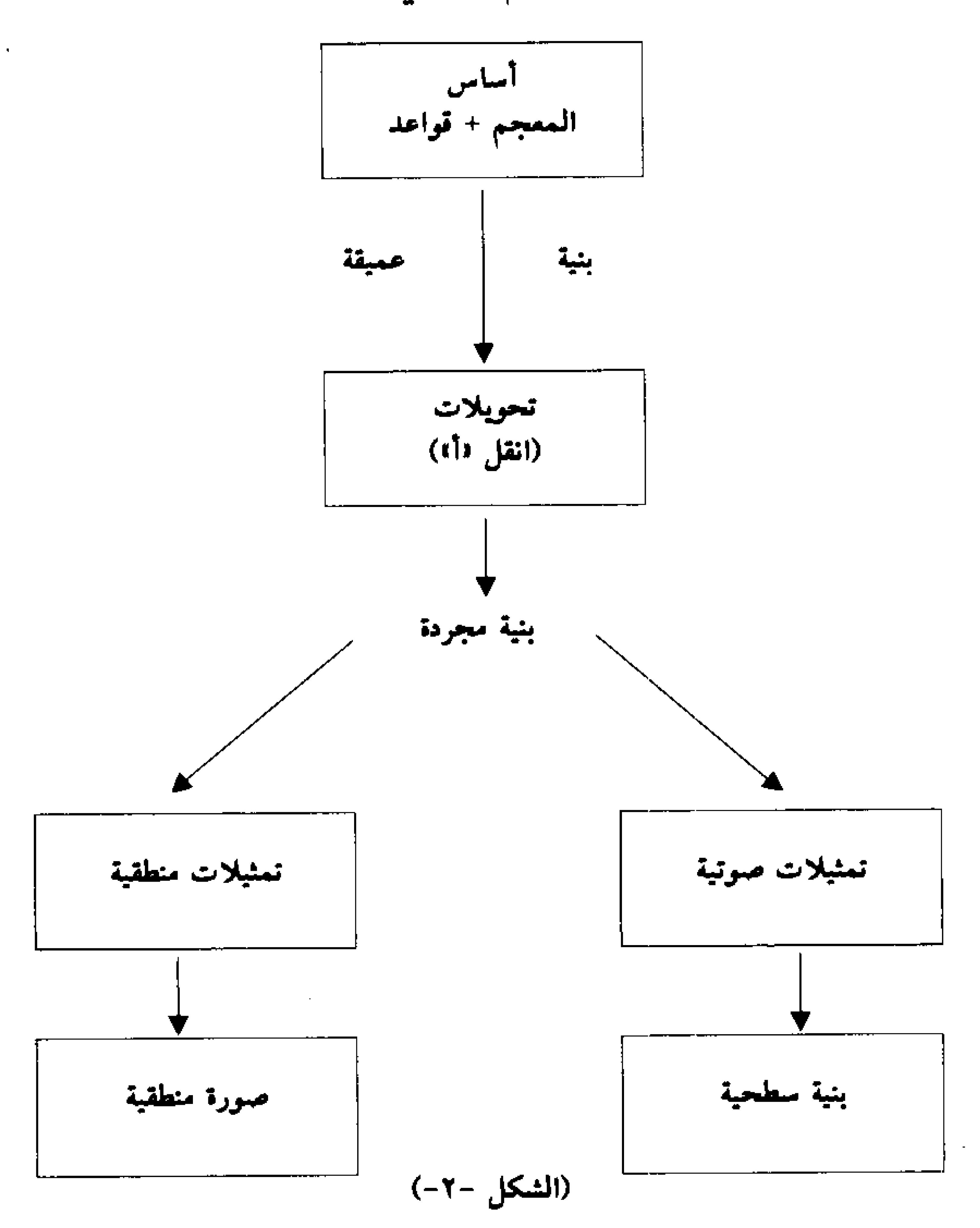
- مكون الصورة الصوتية
- مكون الصورة المنطقية

توجد عدد من النظريات الفرعية (أو أنساق المبادئ) التي تتفاعل مع مكونات النحو السابقة بطريقة محددة، وهي:

(٢) - نظرية العقد الفاصلة

- نظرية العاملية
- النظرية المحورية
- نظرية الربط الإحالي
- نظرية الإعراب
- نظرية المراقبة

علمًا بأن مكونات النحو ذاتها تتفاعل فيما بينها، حيث تقوم قواعد الأساس بتوليد بنيات عميقة، وبواسطة قاعدة انقل "أ" المنتمية إلى المكون التحويلي يتم نقل البنية العميقة إلى "بنية مجردة" تُسنَد إليها تمثيلات صوتية بواسطة قواعد المكون الصواتي، وتمثيلات منطقية بواسطة قواعد مكون الصورة المنطقية، كما يبينه الرسم الآتي:



(الشكل -٢-)

كما أن النظريات الفرعية المذكورة أعلاه تتفاعل فيما بينها، فثمة -مثلا- علاقة تفاعل بين نظرية الحالات الإعرابية ونظرية العاملية، وبين نظرية الحالات الإعرابية والنظرية المحورية. . . .[١]

بهذه الصورة إذن تم استثمار القالبية في بناء النحو التوليدي بصياغاته المختلفة، خاصة بعدما تبين فشل الأنحاء التي تستعمل نمطًا واحدًا من القواعد، وبعدما تأكد أن تعقيد الوقائع اللغوية يمكن تفسيرها باللجوء إلى إقامة تفاعل بين القوالب (مكونات النحو).

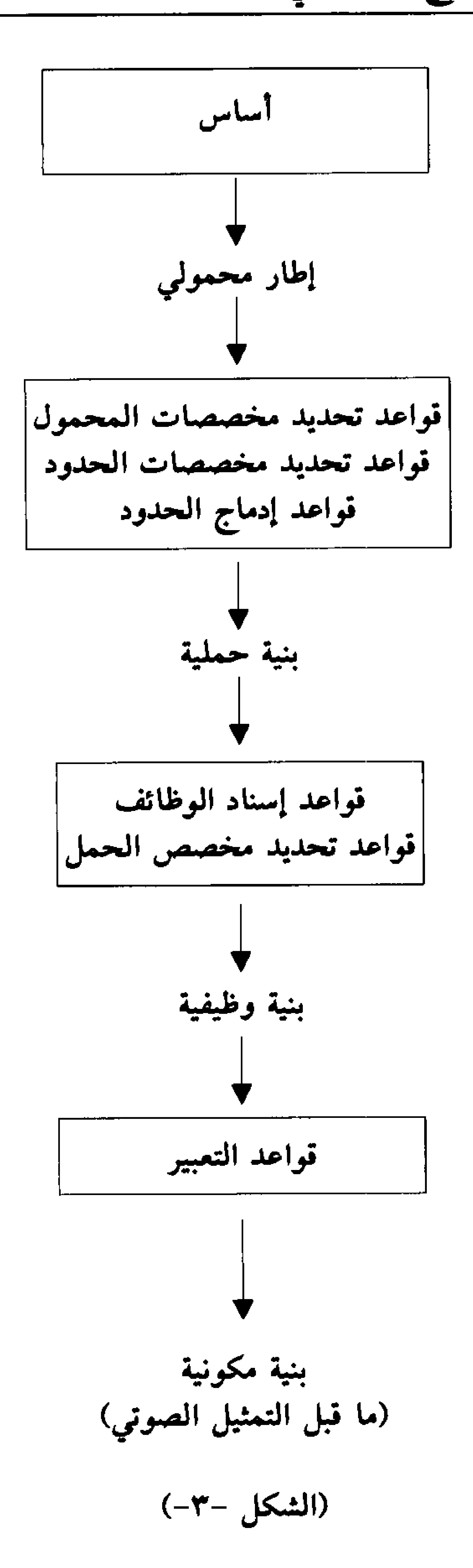
٢-٢- القالبية وبناء النحو الوظيفي:

ليس من العسير إدراك قالبية النحو الوظيفي[٢] منذ صياغته الأولى. ففي هذا النحو تتفاعل عدة مكونات بطريقة محددة لتوليد العبارة اللغوية، كما يبينه الرسم الآتي:

---

(١) لا تسنح الفرصة هنا لبسط الحديث عن التفاعل القائم بين مكونات النحو الفرعية وبين أنساق المبادئ، للتفصيل انظر (تشومسكي ١٩٨١ و١٩٨٢ و١٩٨٦).

(٢) يعود تركيزنا هنا على النحو الوظيفي نظرا لأن هذا النحو هو المعتبر - من بين الأنحاء - في بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، حسب ما أعلم.
وقد بينت سويرسكا (١٩٩١) أن النحو الوظيفي هو النحو الذي يتميز من غيره من الأنحاء الوظيفية، كنحو الأدوار والإحالة (فان فالين وفولي ١٩٨٤)، والنحو النسقي (هاليداي ١٩٨٥)، بالوضوح والتماسك والشمول.
كما أنه يقوى على منافسة الأنحاء غير الوظيفية التي تمت مقارنته بها، كنحو الأحوال (فليمور ١٩٦٨ و١٩٧٧) والنحو المعجمي الوظيفي (بريزنن ١٩٨٢) والنحو العلاقي (برلموت ١٩٨٣) والنحو المركبي المعمم (كازدار وآخرون ١٩٨٥) ونظرية الحواجز (تشومسكي ١٩٨٦) وغيرها.



(الشكل -٣-)

حيث يقوم الأساس بمُكوِّنيه المعجم وقواعد تكوين المحمولات والحدود برسم إطار حملي يعد دخلًا لقواعد المكون الدلالي المنطقي الذي يضم قواعد تحديد مخصصات المحمول وقواعد تحديد مخصصات الحدود وقواعد إدماج الحدود. خرج هذا المكون بنية دلالية - منطقية (بنية حملية) تُعَدُّ بدورها دخلًا لقواعد المكون التداولي الذي يتضمن قواعد إسناد الوظائف التركيبية والتداولية وقواعد تحديد القوة الإنجازية الحرفية أو المستلزمة حواريًّا. خرج هذا المكون بنية

وظيفية تُشَكِّلُ دخلًا لقواعد المكون التركيبي حيث تقوم قواعد التعبير بنقلها إلى بنية مُكَوّنِيَة. وبإجراء القواعد الصوتية على هذه البنية الأخيرة نحصل على عبارة لغوية تامة التحقيق.

ومن الواضح أن كل مكون من هذه المكونات يتمتع باستقلاله الخاص، ويخضع لمبادئه الخاصة التي تنظم طريقة عمله، ويتفاعل مع المكونات الأخرى. فتطبيق قواعد التعبير مثلًا ينبني على المعلومات الواردة في البنية الوظيفية، إذ تُسْنَدُ الحالات الإعرابية إلى المكونات وتأخذ مواقعها بالنظر إلى وظائفها التركيبية أو الدلالية أو التداولية، كما يُسْنَدُ إليها النبر أو التنغيم تبعًا لوظائفها تلك ولقوة الحمل الإنجازية.

وبالإضافة إلى التفاعل بين مكونات النحو الفرعية، يقوم تفاعل آخر بين هذه المكونات وبين أنساق المبادئ أو النظريات الفرعية كما هو الشأن في نظرية الإعراب التي تحدد الإعراب وأنماطه وطرق إسناده ألخ، ونظرية المَوْقِعة التي تحدد العناصر داخل المركبات، ومواقع المكونات داخل الجملة، وتضع المبادئ الضابطة لعملية الموقعة ألخ، ونظرية الأدوار الدلالية التي تنمط الوقائع، وتحدد الأدوار الدلالية وترتبها في سلمية حسب أولويات ورودها ألخ[1]. وفي نموذج (١٩٨٩) قوى التفاعل بين القوالب الفرعية، حيث يعنى قالب ببناء البنية التحتية التي يتم التمييز في مستواها بين أربع طبقات؛ هي:

١- طبقة العبارة

٢- وطبقة القضية

٣- وطبقة الحمل

٤- وطبقة الحدود والمحمولات

يُنتقل من أدنى هذه الطبقات إلى أعلاها عبر إجراء عملية توسيع يتم بمقتضاها إضافة مخصصات ولواحق في كل طبقة على حدة. فيتم توسيع الحمل النووي بإضافة مخصص المحمول أو لواحق الطبقة (١) ليصبح حملًا مركزيًا، ويصبح الحمل المركزي حملًا موسعًا بإضافة مخصصات الحمل أو لواحق الطبقة (٢). ويصبح الحمل الموسع بنية قضوية بإضافة لواحق أو مخصصات الطبقة (٣). وتصبح البنية القضوية بنية عبارة بإضافة مخصصات القوة الإنجازية أو لواحق الطبقة (٤). أما المخصصات فترصد التعديلات المضافة بوسائل نحوية، وأما اللواحق

---

(١) للاطلاع بتفصيل على بنية النحو الوظيفي في صيغته الأولى يمكن الرجوع إلى (ديك ١٩٧٨) و(المتوكل ١٩٨٩).

ولمعرفة المزيد عن بناء نحو اللغة العربية الوظيفي، انظر (المتوكل ١٩٨٥ و١٩٨٦ و١٩٨٧ و١٩٨٨أ و١٩٨٨ب ١٩٨٨ج و١٩٩٣أ و١٩٩٣ب و١٩٩٥) كما يمكن الرجوع إلى (البوشيخي ١٩٩٠) لمعرفة مدى بلوغ هذا النحو الكفاية النمطية والكفاية التداولية والكفاية النفسية.

فَتَرْصُد التعديلات المضافة بوسائل معجمية. إذا مثلنا بالمحمول "منح" الذي يزودنا المعجم بإطاره الحملي الآتي:

(١) - [م.ن.ح {فعل} ف

(س١ : |< + إنسان >)) منف

(س٢ : < + إنسان > (س)) مستق

(س٣ : < - إنسان > (س)) متق]

حيث تدل (ف) على مقولة المحمول التركيبية، وتدل (س١) و(س٢) و(س٣) على أن لهذا المحمول الفعلي ثلاثة محلات تخصص للحدود الموضوعات التي تحمل الوظائف الدلالية المنفذ والمستقبل والمتقبل بالتوالي؛ أما أو فتشير إلى قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته - فإن البنية الناتجة عن هذا الإطار الحملي بعد تطبيق قواعد تحديد مخصصات الحدود (الافراد أو التثنية أو الجمع، أو التعريف أو التنكير)، وقواعد إدماج الحدود في محلاتها المناسبة، تدعى حملًا نوويًّا نمثل له بصورة مبسطة كما يلي:

(٢) - [منح جابر شعيبا المال]

حيث يُعَيِّن هذا الحمل النووي واقعة "منح جابر شعيبا المال" وبالإمكان توسيع الحمل ليصبح حملًا مركزيًّا بإضافة أحد مخصصات المحمول وأحد لواحق الطبقة (١).

تتجلى وظيفة هذه الطبقة من المخصصات واللواحق في تحديد البنية الداخلية للواقعة مزيدًا من التحديد، وذلك بتحديد الزمن الداخلي للواقعة بإضافة مخصص تام - مثلًا - للمحمول الفعل، وبتخصيص الواقعة بإحدى اللواحق كالمستفيد أو الأدوات أو المصاحب أو الحال، كما هو الشأن في المثال الآتي:

(٣) - [منح جابر شعيبا المال [سرا]]

حا

ويتسنى توسيع الحمل المركزي ليصبح حملًا موسعًا بطريقتين: بوسيلة نحوية تتمثل في إضافة مخصصات الحمل كمخصص الزمن (المضي مثلا)، وبوسيلة معجمية تتمثل في إضافة لواحق الطبقة (٢) كالزمان أو المكان أو العلة، كما هو الشأن في المثال الآتي:

(٤) - [[[منح جابر شعيبا المال [سرا] مخافة الفضيحة]]]

حا　　　　　　عل

وتتجلى وظيفة مخصصات ولواحق (٢) في تحديد فضاء الواقعة الزمني أو المكاني أو

المعرفي. وفي هذه الطبقة يتم إسناد الوظائف التركيبية: الفاعل إلى المنظور الأول للوجهة التي قدمت من خلالها الواقعة والمفعول إلى المنظور الثاني. في المثال (٥) يحمل الحد الموضوع جابر الوظيفة الفاعل (فا) و(شعيبا) الوظيفة المفعول (مف)، كما يلي:

(٥) - [[[منح جابر شعيبا المال] سرا] مخافة الفضيحة]]

فا مف حا عل

وبإضافة مخصصات أو لواحق الطبقة (٣) التي تسمح للمتكلم أن يعبر عن تقويمه للمضمون القضوي أو تحديد موقعه منه، نحصل على بنية قضوية. من أمثلة لواحق هذه الطبقة تحديد مصدر الخبر، كما هو الشأن في المثال الآتي:

(٦) - [[[[حسب الجريدة] منح جابر شعيبا المال] سرا] مخافة الفضيحة]]]]

فا مف حا عل

ونحصل على بنية العبارة بوسيلتين نحوية ومعجمية. تتمثل الوسيلة النحوية في إضافة مخصص إنجازي يحدد قوة العبارة الإنجازية، كالإخبار أو الاستفهام أو الأمر، وتتمثل الوسيلة المعجمية في إضافة أحد اللواحق الإنجازية التي يقصد بها المتكلم إبلاغ مخاطبه بموقفه من القضية كما يوضحه المثال الآتي:

(٧) - [[[[بصراحة] منح جابر شعيبا المال] سرا] مخافة الفضيحة]]]]

فا مف حا عل

وفي هذه الطبقة (الطبقة (٤)) يتم إسناد الوظائف التداولية. وهي الوظائف التي تحدد الوضع الإخباري للمكونات في علاقتها بالمقام التواصلي الذي أنتجت فيه. فإذا اعتبرنا البنية (٨) وردت في سياق الجواب عن السؤال الآتي:

(٨) - قل لي بصراحة، لمن منح جابر المال سرًّا مخافة الفضيحة؟

فإن المكون (جابر) سيحمل الوظيفة التداولية المحور بصفته المعلومة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، في حين ستسند الوظيفة التداولية البؤرة إلى (شعيبا) بصفته يحمل "المعلومة الجديدة" التي قدمها المتكلم إلى المخاطب. وتصبح البنية (٩) كالآتي:

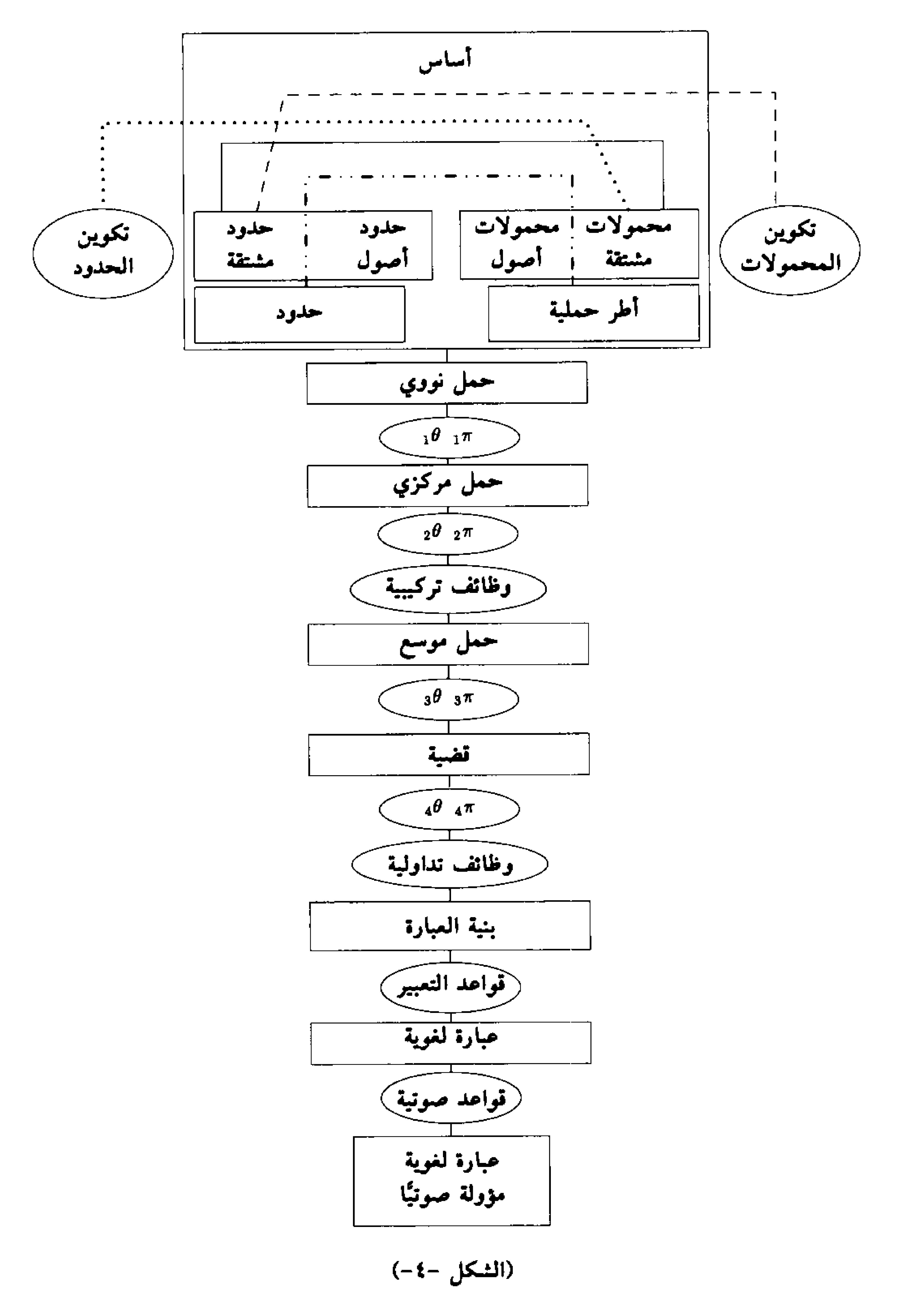
(٩) - [[[[بصراحة] منح جابر شعيبا المال] سرا] مخافة الفضيحة]]]]

فا مح مف بؤ حا عل

وتصبح البنية التحتية دخلًا لإجراء عمل قالب ثان يضم قواعد التعبير التي تضطلع بتحديد صورة المكونات وترتيبها، وبإسناد النبر والتنغيم إلى بعضها. ينتج عن ذلك بناء بنية مكونية تعد

دخلًا لعمل قالب ثالث يضم القواعد الصوتية التي تحقق البنية المكونية في صورة عبارة لغوية تامة[١].

وتوضح بنية النحو العامة الآتية تفاعل هذه القوالب الفرعية الثلاثة في عملية توليد العبارة اللغوية، مع الإشارة إلى أن الرموز (ج١) و(ج٢) و(ج٣) و(ج٤) تشير إلى مخصصات الطبقات (١) و(٢) و(٣) و(٤) بالتوالي، وأن الرموز (١θ) و(٢θ) و (٣θ) و(٤θ) تشير إلى لواحق الطبقات ذاتها بالتوالي:



(الشكل -٤-)

(١) انظر (ديك ١٩٨٩).

كل ذلك يبرز قالبية بنية النحو الوظيفي. وسنتابع في الفصل الموالي بيان كيفية تفاعل قوالبه الفرعية بشيء من التفصيل.

٣- القالبية وبناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية:

يندرج بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية في إطار مشروع[١] يرمي خاصة إلى بلوغ الأهداف الآتية:

أ - بيان الطريقة التي يعمل بها مستعملو اللغات الطبيعية، والتي تمكنهم من إقامة التواصل بينهم،

ب - واستثمار إمكانات النحو الوظيفي في بناء نموذج يحاكي مستعمل اللغة الطبيعية،

ج - وإدراج الطاقات اللغوية في نموذج شامل يمثل أيضًا للطاقات المعرفية،

د - وتطوير النحو الوظيفي بصياغة قواعده ومبادئه صياغة صورية، ورَوْزُ فاعليتها من خلال إنجازها حاسوبيًّا،

هـ - وتطوير الوسائل الحاسوبية التي يمكن استعمالها في بناء نموذج حاسوبي يحاكي مستعمل اللغة الطبيعية.

بلوغ الهدفين (أ) و(ج) رهين ببناء نموذج لا يُمَثل فقط للطاقة اللغوية التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توليد العبارات اللغوية وتحليلها، وإنما يمثل أيضًا للطاقات المتنوعة التي يتطلبها إقامة التواصل بين المخلوقات البشرية، والتي يفترض فيها أنها تشكل قدرتهم التواصلية. ومن الطاقات الأساسية التي يفترض ديك (ديك ١٩٨٩أ) توافرها في مستعمل اللغة الطبيعية المؤهل لإقامة تواصل مع غيره:

أ - الطاقة اللغوية،

ب - والطاقة المعرفية،

ج - والطاقة المنطقية،

د - والطاقة الإدراكية،

هـ - والطاقة الاجتماعية،

مما يقتضيه تبني افتراض القالبية أن يُمثل لكل طاقة في صورة قالب مستقل ببنيته وبمبادئه، وأن تتفاعل الطاقات المختلفة فيما بينها تفاعلًا محددًا. على هذا الأساس، يتكون نموذج مستعملي اللغات الطبيعية من خمسة قوالب، هي: القالب النحوي، والقالب المعرفي، والقالب المنطقي،

---

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا المشروع، انظر (كونولي وديك ١٩٨٩).

والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي. وتقوم بين هذه القوالب علاقات محددة، حيث ينتج كل قالب خرجًا يصبح بدوره دخل قالب آخر.

أما بلوغ الهدفين (هـ) و(د) فمرتبط من جانب ببرمجة النحو الوظيفي في الحاسوب، ومن جانب آخر بالتمثيل حاسوبيًّا للعمليات الجارية داخل كل قالب من القوالب المتعددة التي تعد ضرورية لإقامة التواصل، والتي تتفاعل فيما بينها بطريقة محددة.

تكمن الفكرة الموجهة لهذين الهدفين في اعتبار بناء الأنساق الحاسوبية أحد المسالك العلمية التي تؤدي إلى معرفة خصائص الأنساق البشرية وطبيعتها في جانب استعمالها اللغة الطبيعية. ذلك لأن مجهودات العلماء أدت إلى فهم متقدم للبنية الداخلية للأنساق الحاسوبية وطريقة عملها، في حين ما يزال فهم البنية الداخلية للأنساق البشرية وطريقة عملها فهمًا جزئيًّا. ومن المؤمل أن يساعد بناء نموذج حاسوبي يحاكي مستعمل اللغة الطبيعية على فهم الطريقة التي تعمل بها الأنساق البشرية كما قد يساعد على فهم بنيتها الداخلية البالغة التعقيد[1]. ومن أهم المبادئ المنهجية التي صاغها ديك (ديك ١٩٨٩أ) بخصوص بناء هذا النموذج الحاسوبي:

أ - **القالبية**: ومفادها أن النموذج الحاسوبي لمستعمل اللغة الطبيعية يتكون من عدة قوالب رئيسية وعدد من القوالب الفرعية، لكل منها مهامه التي عليه إنجازها، كما أن كل تغيير محلي يمس أحد القوالب يؤثر في بنية باقي القوالب وعملها، وأنها جميعها تخضع لإواليات مراقبة قوية تقوم بالإشراف على تفاعلها.

ب - **التكامل**: ومعناه أن كل قالب يأخذ قيمته بالنظر إلى علاقته بباقي القوالب شريطة أن يتم تعيين هذه القوالب بطريقة يراعى فيها سهولة التواصل فيما بينها، فأثناء إقامة نسق مُوَلِّد ينبغي مراعاة أن النموذج يتضمن نسقًا محللًا من المرغوب فيه أن يخضع للمبادئ والقواعد التي تحكم عمل النسق المولد.

جـ - **وحدة التمثيلات**: إذ يفترض في هذا النموذج أن "تتحدث كل قوالبه اللغة المجردة ذاتها" بأن تستعمل نفس التمثيلات اللغوية سواء تعلق الأمر بتمثيل البنية التحتية للعبارات اللغوية أم بتمثيل المعلومات وتخزينها.

د - **عدم التبعية للغة خاصة**، حيث ينبغي أن يراعى في إقامة هذا النموذج ضمان درجة عالية من الاستقلال عن أية لغة طبيعية خاصة حتى يتسنى له أن يعكس الخصائص العميقة

---

(١) يذهب ديك (١٩٨٦ج) إلى أنه من السابق لأوانه الاعتراض على إنجاز هذا المشروع بالقول إنه يخرج عن الإمكان بناء نسق حاسوبي يماثل النسق البشري من حيث جودته وقدرته على معالجة اللغات الطبيعية، ففي حال نجاح هذا المشروع يتأكد إمكان إنجازه، وفي حال فشله تظهر المصاعب الكامنة وراء استحالة تحقيقه، وفي كلتا الحالتين تحصل الفائدة.

لمستعملي اللغات الطبيعية.

هـ - **الطبيعية**، ومؤداها أن هذا النموذج يتوخى محاكاة الإنجاز اللغوي الطبيعي الذي يقوم به مستعملو اللغات في ظروف تواصلية عادية، كما يتوخى محاكاة قدراتهم التحتية بأن يرصد الطاقات التي تؤهلهم لمعالجة العبارات اللغوية معالجة كافية.

٤- خاتمة:

قمنا في هذا الفصل بتحديد مفهوم القالبية وتحديد أصولها المعرفية مبينين أن هذا المفهوم تسرب من علم النفس الكلاسيكي إلى حقل علوم اللغة. كما تمكنا من رسم إطار القالبية العام مبرزين أن البحث في الملكة اللغوية هو جزء من البحث في العقل البشري وفي طريقة عمله، وأن بناء الأنحاء المختلفة مرتبط بهذا الإطار العام. وخلصنا إلى أن تبني القالبية في دراسة العقل البشري معناه تبنيها في دراسة الملكة اللغوية، وفي بناء النماذج النحوية التي تمثل لها، وفي بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، كاشفين بذلك قوة المقاربة القالبية، ونفوذها إلى أغلب المشاريع العلمية.

الفصل الثالث

كونات نموذج مستعمل اللغات الطبيعية

٠- مدخل:

يُفترض في مستعملي اللغات الطبيعية أن يكونوا مزودين بطاقات مخصوصة تؤهلهم للتواصل فيما بينهم لغويًّا، كما يفترض أن مجموع هذه الطاقات تشكل قدرتهم التواصلية. ومن أجل فهم طبيعة هذه القدرة وتحديد مكوناتها لجأ ديك إلى وضع مشروع يروم بناء نموذج (عُرف بنموذج مستعملي اللغات الطبيعية) يمثل لها ويحاكيها.

من أهم ما يستدعيه بناء هذا النموذج البحث في:

أ - عدد الطاقات التي تكون القدرة التواصلية،

ب - مكونات هذه الطاقات الممثل لها في صورة قوالب،

ج - طبيعة الدور الذي يقوم به كل قالب من القوالب، وفي طريقة عمله،

د - التفاعل القائم بين هذه القوالب، وفي نظام هذا التفاعل،

هـ - كيفية تمثيل المعلومات داخل كل قالب من القوالب.

يستهدف هذا الفصل البحث في كل هذه القضايا بالشروع في بسط الأعمال المقدمة في هذا الإطار، والنظر في الافتراضات القائمة، ثم القيام بتمحيص هذه الافتراضات وعرضها على المعطيات التجريبية، ثم تقديم الوارد من الاقتراحات وبيان وجه الحاجة إليها.

١- الطاقة اللغوية:

سلف القول إن إقامة التواصل اللغوي بين المخلوقات البشرية لا يتوقف على المعرفة اللغوية فحسب، بل يتطلب على الأقل خمس طاقات. وفيما يلي تعريف بهذه الطاقات - كما حددها ديك في عدد من أعماله (ديك ١٩٨٦ج، و١٩٨٧أ، و١٩٨٨ي، ١٩٨٩ج، و١٩٩٠أ) - وبمكوناتها وبوظيفة كل منها.

الطاقة اللغوية هي الطاقة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن ينتج ويؤول العبارات اللغوية إنتاجًا وتأويلًا صحيحين نحويًّا، مهما اتسمت به هذه العبارات من تعقيد بنيوي، وأيًّا كانت الأوضاع التواصلية التي يتم فيها إنتاجها.

لرصد البنية الثاوية خلف هذه الطاقة ومكوناتها، اقترح ديك (١٩٧٨ و١٩٨٩أ) نموذج النحو الوظيفي مفترضًا أنه يمثل لهذه الطاقة، وأنه قادر على الاندماج في نموذج مستعملي اللغات الطبيعية. استجابة للمطلب الأول، على النحو الوظيفي أن يكون مؤلفًا من نموذج إنتاج ونموذج

تأويل وعدد من المبادئ التي تُستعمل في كل من نموذجي الإنتاج والتأويل. حيث يُبَيِّنُ الأول الطريقة التي يتبعها المتكلم لإنتاج الكلام انطلاقًا من المعاني المراد إبلاغها (البنية التحتية) حتى تحققها الصوتي (البنية السطحية). ويبين الثاني الطريقة التي يتبعها المستمع لتأويل الكلام انطلاقًا من الأصوات التي يستقبلها إلى غاية الحصول على المعاني المراد إبلاغها.

ولتلبية المطلب الثاني، على النحو الوظيفي أن يشكل قالبًا طبيعيًا يستقل ببنيته ومبادئه وطريقة عمله، ويتفاعل مع القوالب الأخرى التي تؤلف نموذج مستعملي اللغات الطبيعية. وبما أننا عرضنا - في الفصل السابق - بنية النحو الوظيفي، وطبيعتة القالبية، فسنقتصر هنا - تجنبًا للتكرار - على بيان كيفية تفاعل قوالبه الفرعية لبناء العبارة اللغوية.

البنية التحتية في هذا النحو بنية متعددة الطبقات، صورتها العامة كالآتي:

(١) - [Π٤ ق ي: [Π٣ س ي: [Π٢ و ي: [Π١Q س. . . . . . .س ن (١)] [(θ١)] [(θ٢)] [(θ٣)] [θ٤]

حيث يتم التمييز بين حمل مركزي وحمل موسع وقضية وبنية عبارة، كالآتي:

(٢) - [Π١ [حمل نووي] θ١]

(٣) - [Π٢ و ي:[حمل مركزي] θ٢]

(٤) - [Π٣ س ي: [حمل موسع] θ٣]

(٥) - [Π٤ ق ي: [قضية] θ٤]

وحيث تتميز كل طبقة من هذه الطبقات الأربع بمخصصاتها (Π١، Π٢، Π٣، θ٤) ولواحقها (θ١، θ٢، θ٣، θ٤).

تُعَدُّ الحمول التحتية لغة التمثيل المعتمدة في هذا النحو. وتتألف من عناصر معجمية تنتمي إلى اللغة موضوع التحليل، وعدد من المخصصات النحوية والوظائف وبعض العناصر المساعدة.

تُشَكِّل المخصصات النحوية (كمخصصات المحمول والحدود والحمل) والوظائف الدلالية والتداولية مجموعة كلية مقيدة أو محدودة، تختار منها كل لغة طبيعية ما يوافقها. كما تُعَدُّ العناصر المساعدة (كالمتغيرات س١ . . . س ن، والأقواس والرموز الأخرى) والعلاقات القائمة بين عناصر الحمل التحتي ذات طبيعة كلية. سلامة صياغة الحمل التحتي لعبارة ما يحددها النحو الوظيفي للغة التي تنتمي إليها تلك العبارة، ومجموع الأنحاء الوظيفية الممكنة تحددها نظرية النحو الوظيفي. ونبين بالمثال الآتي كيفية التمثيل للجملة العربية بلغة الحمول التحتية:

(٦) - فعلًا، نشر هذا الباحث ديوانًا شعريًا رائعًا.

(٧) - [خب ق ي: [س ي:[ثب مض و ي:

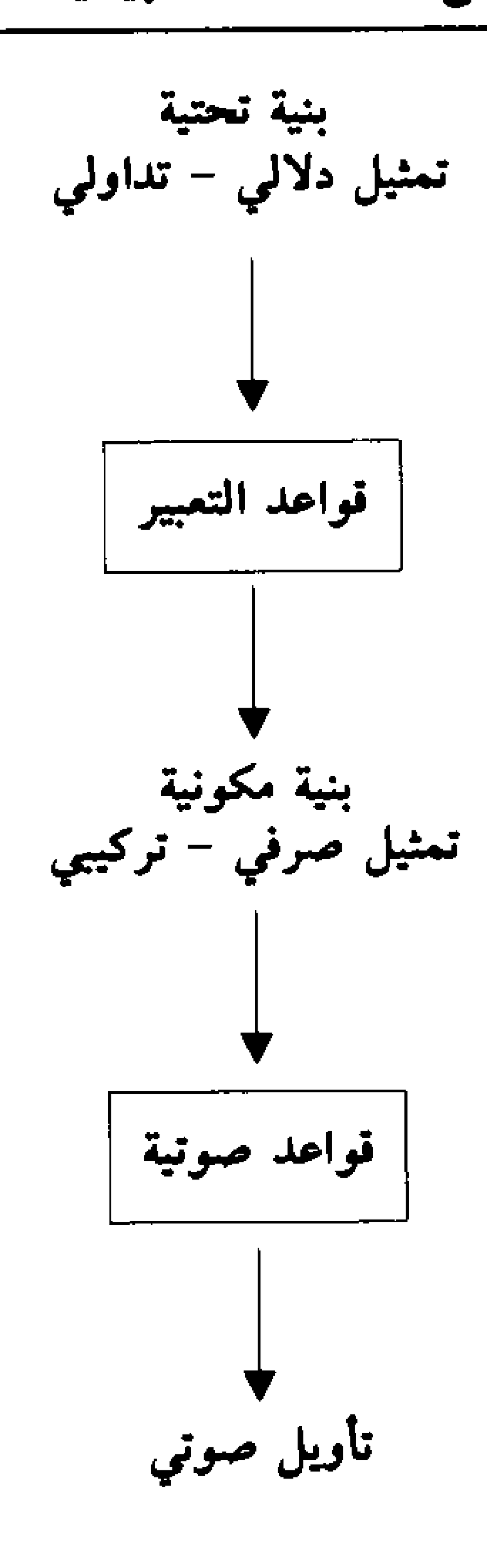
[تا ن. ش. ر{فعل} ف (شا ق ع ١ ذ س١: باحث) منف فا مح

(ن١ث س٢: مقال (جيد) ص) متق مف بؤجد]]] (ص١: فعلا)]

يُمثَّل في طبقة الحمل المركزي للمحمول الفعل (ف): جذره (ن، ش، ر) وقالبه الصرفي (فَعَل)، ولمخصصه الجهي تام (تا)، وموضوعيه (س١) و(س٢): الأول (باحث) مخصص بالإشارة للقريب (شا ق) وبالتعريف (ع) والإفراد (١) والتذكير (ذ)، وظيفته الدلالية منفذ (منف) لأنه يُنَفِّذ الواقعة التي يدل عليها المحمول، ووظيفته التركيبية فاعل (فا) لأنه يشكل المنظور الأساسي للوجهة التي قُدمت من خلالها الواقعة، ووظيفته التداولية محور (مح) لأنه يشكل المعلومة المشتركة بين المتكلم والمخاطب. والثاني (مقال جيد) مخصص بالتنكير (ن) والإفراد (١) والتأنيث (ث)، وظيفته الدلالية متقبل (متق) لأنه يتقبل واقعة النشر، ووظيفته التركيبية مفعول (مف) لأنه يشكل المنظور الثانوي الذي قُدمت من خلاله الواقعة، ووظيفته التداولية بؤرة جديد (بؤ. جد) لأنه يشكل المعلومة الجديدة بالنسبة إلى المخاطب.

ويُمثل في طبقة الحمل الموسع للحمل المركزي برُمَّته مضافًا إليه مخصص الصيغة الإثبات (ثب)، ومخصص الزمن المضي (مض). ويمثل في طبقة القضية للحمل الموسع برمته مضافًا إليه اللاحق القضوي (فعلا). ويمثل في الطبقة الإنجازية لبنية القضية برمتها مضافًا إليها مخصص القوة الإنجازية الحرفية الإخبار (خب).

يمثل في مستوى البنية التحتية للمعلومات الدلالية والتداولية، وبفضل قواعد التعبير يتم التمثيل للمعلومات الصرفية والتركيبية، كما يبينه الرسم الآتي:



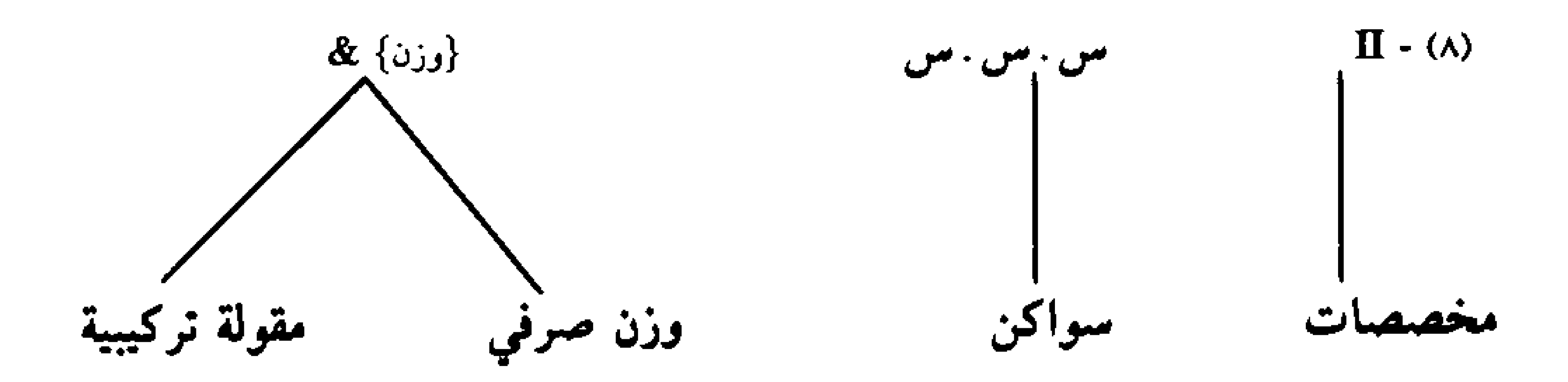
(الشكل -١-)

تتفرع قواعد التعبير إلى (أ) - قواعد صرفية تضطلع بتحقيق المحمولات والحدود تحقيقًا صرفيًا، و(ب) - قواعد موقعة تضطلع بترتيب المكونات طبقًا للبنية الموقعية المفترضة في لغة ما؛ وكذا بترتيب العناصر داخل المكون الواحد، و(ج) - قواعد إسناد النبر والتنغيم التي يتم بمقتضاها إسناد النبر إلى بعض المكونات؛ وإسناد التنغيم المناسب إلى الجملة ككل.

ومن المعلوم أن إجراء هذه القواعد يستند إلى المعلومات الواردة في البنية التحتية. ومعناه أن جوهر ما تقوم به قواعد التعبير هو تحقيق مَا تم التمثيل له دلاليًا وتداوليًا تحقيقاً صرفيًا وتركيبيًا. وبيان ذلك كالآتي:

أ - **القواعد الصرفية**: وهي عبارة عن قواعد صياغة المحمولات وقواعد صياغة المركبات.

فيما يخص المحمولات، تحدد بنيتها العامة في النحو الوظيفي كالآتي:



حيث تأخذ السواكن وزنًا صرفيًا قد تكون مقولته التركيبية فعلًا أو صفة أو اسمًا. وتتفاعل المخصصات (مخصصًا الجهة والزمن خاصة) في تحديد صورة المحمول. فيتحقق إما في صورة "الماضي" (Accompli) وإما في صورة "المضارع" (Inaccompli). وفي كلتا الحالتين يمكن أن يرد بسيطًا أو مركبًا، أي مضاف إليه فعل مساعد. إذا كان مخصص الجهة "تام" ومخصص الزمن "مضي" فإن المحمول يتحقق في صورة الماضي، أما إذا كان مخصص الجهة "غير تام" فإنه يتحقق في صورة المضارع أيًا ما كان مخصص الزمن: مضي أو حاضر أو مستقبل. على هذا الأساس، يتحقق المحمول الوارد في المثال السابق (٧) في صورة الماضي طبقًا للقاعدة الآتية[١].

(٩) - دخل: [تا[مض [ن . ش . ر{فعل} ف]]]

- خرج: نَشَر

ويحتاج المحمول - بعد ذلك - إلى أن يتطابق مع فاعله. ويتم ذلك بواسطة تطبيق قاعدة المطابقة المصاغة بالنسبة للغة العربية كما يلي:

(١٠) - دخل: [{ماض - محمول ف{ }س١ فا}. . . .]

خرج: [ماض - محمول ف (ـَ)(ـَ ت){}س١ فا } . . .]

حيث يتطابق المحمول الفعل مع فاعله عن طريق إضافة اللاحقة (ـَ) في حال التذكير: و(ـَ ت) في حال التأنيث، شرط أن يكون المحمول في صورة الماضي.

وبناءً عليه، تتحقق صورة المحمول النهائية كما يلي:

(١١) - دخل: [{ماض - نَشَر ف{}س ١ذ س فا}]

خرج: نَشَرَ

حيث ورد المحمول الفعل في صورة الماضي، وواكبه حد موضوع (س) مفرد (١) مذكر (ذ) مسند إلى الغائب (ش٣) وظيفته التركيبية فاعل (فا).

أما فيما يخص الحدود التي تنقل إلى مركبات، فتحدد بنيتها العامة كالآتي:

(١٢) - [W س١ :1Q (س١)،2Q(س٢)، . . . Q ن (س ن)]

---

(١) يرجع الفضل في صياغة قواعد اللغة العربية في إطار النحو الوظيفي إلى الدكتور أحمد المتوكل، وقد اعتمدنا هذه القواعد كما وردت في عدد من أعماله (المتوكل ١٩٨٥ و١٩٨٦ و١٩٨٧ و١٩٨٨ و١٩٨٩ و١٩٩٣ و١٩٩٥).
ونشير في هذا الصدد إلى أن ما أوردناه من معلومات عن النحو الوظيفي مقيد بأهداف البحث ومنهجه. للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على(ديك ١٩٧٨ و١٩٨٩)، وعلى أعمال الدكتور المتوكل المشار إليها أعلاه وعلى (البوشيخي ١٩٩٠).

حيث يدل الرمز (W) على مخصصات الحد، ويدل (س ن) على متغير الحد، بينما يدل (Qن(س ن)) على حمل مفتوح يُعد مقيِّدا يقيد مجموع ما يحيل عليه الحد.

ويتحقق الانتقال من الحد إلى المركب بواسطة تطبيق القواعد الآتية:

- قاعدة انتقاء الرأس،

مفاد هذه القاعدة أن يُنْتَقى رأس للمركب المقيِّد الوحيد إذا كان الحد لا يتضمن إلّا مقيدًا وحيدًا، والمقيد الأول إذا كان الحد يتضمن أكثر من مقيد.

بموجب هذه القاعدة، يُعَدُّ "باحث" - في المثال (٧) - رأسًا للمركب باعتباره مقيدًا وحيدًا. بينما يُعَدُّ "ديوان" رأسًا للمركب "ديوان شعري رائع" باعتباره مقيدًا أولًا.

- **قواعد نقل المخصصات إلى محددات:**

وظيفة هذه القواعد أن تنقل مخصصات الحدود الممثل لها في البنية التحتية إلى محددات محققة. فَيُنْقَل مخصص التعريف (ع) الوارد في المثال (٧) إلى محدد يأخذ صورة (ال) طبقًا للقاعدة الآتية:

(١٣) - دخل: (ع س ي & (س ي))

خرج: (س ي: ال - & (س ي))

ويُنْقَل مخصص الإشارة للقريب (شا ق)إلى محدد يأخذ صورة (هذا) طبقًا للقاعدة الآتية:

(١٤) - دخل: (شا ق س ي: & (س ي))

خرج: (س ي: هذا - & (س ي))

ويُنْقَل مخصص التنكير (ن) إلى محدد دال على التنوين (ـٌ ، ـً ، ـٍ) طبقًا للقاعدة الآتية:

(١٥) - دخل: (ن س ي (س ي))

خرج: (س ي: ـٌ / ـً / ـٍ (س ي))

وبناءً عليه، يتحقق مخصص التعريف بالنسبة للمركب "باحث" في صورة (ال)، ويتحقق مخصص الإشارة للقريب في صورة (هذا)، ويتحقق مخصص التنكير بالنسبة للمركب "ديوان شعري رائع" في صورة تنوين (ـٌ).

- **قواعد ترتيب العناصر داخل المركبات:**

يقصد بعناصر المركب المحددات والرأس والفضلات. وقد كانت في مستوى البنية التحتية عبارة عن مخصصات ومقيدات لا يقوم بينها إلّا ترتيب جزئي ومؤقت. لذلك تحتاج في مستوى البنية المكونية إلى أن ترتب ترتيبًا نهائيًا. في اللغات ذات المجال البعدي، حيث يَسْبِقُ الرأس

الفضلات - كما هو الشأن في اللغة العربية، تُرتَّب العناصر طبقًا للقاعدة الآتية:

(١٦) - دخل: {محدد، رأس، فضلة}

خرج: {محدد رأس فضلة}

بموجب هذه القاعدة يسبق المحدد "ال" الرأس "باحث" ويسبق الرأس "ديوان" الفضلتين "شعري" و"رائع".

كما يسبق محدد الإشارة "هذا" محدد التعريف "ال" طبقًا للقاعدة الآتية:

(١٧) - أ - دخل: [أداة إشارة، أداة تعريف]

ب - خرج: [أداة إشارة أداة تعريف]

وتسبق الفضلة "شعري" الفضلة "رائع" طبقًا للمبدأ القاضي بتقديم المقيد الأقل حصرًا على المقيد الأكثر حصرًا. إذ إن المقيد "شعري" يقيد "ديوان" تقييدًا أقل من التقييد الذي يقوم به المقيد "رائع". فترتيب العناصر لا يتم فقط بين المحدد والرأس والفضلة، وإنما يقوم أيضًا بين المحددات فيما بينها، وبين الفضلات فيما بينها إذا تعددت. وبهذا الترتيب يُمنع إنتاج جمل لاحنة من قبيل:

(١٨) - * فعلًا، نشر الهذا باحث ديوانًا شعريًّا رائعًا.

(١٩) - * فعلًا، نشر هذا الباحث ديوانًا رائعًا شعريًّا.

حيث يرجع لحن الجملة الأولى إلى اختلال الترتيب بين محدد التعريف ومحدد الإشارة. ويرجع لحن الجملة الثانية إلى اختلال الترتيب بين الفضلات.

- **قواعد إسناد الحالات الإعرابية:**

تُسنَد الحالات الإعرابية - في النحو الوظيفي - تبعًا لوظائف المكونات الدلالية والتركيبية والتداولية. إلّا أن هذه الوظائف تتفاوت أهميتها طبقًا للسلمية الآتية:

(٢٠) - سلمية إسناد الحالات الإعرابية:

وظائف تركيبية > وظائف دلالية > وظائف تداولية

حيث يأخذ المكون حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التركيبية أولًا في حالة ورودها، وإلّا فبمقتضى وظيفته الدلالية، وإلّا فبمقتضى وظيفته التداولية، وثمة حالات - كحالة الفضلات - حيث تأخذ المكونات حالاتها الإعرابية لا بمقتضى وظائفها وإنما بمقتضى سياقها البنيوي. في المثال السابق (٧)، يأخذ المكون "الباحث" حالته الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل، ويأخذ المكون" ديوان" الحالة الإعرابية النصب بمقتضى وظيفته التركيبية المفعول. أما

الفضلتان "شعري" و"رائع" فيأخذان حالتهما الإعرابية النصب بمقتضى تبعيتهما لرأس المركب الذي ينتمي إليه، وهو" ديوان". إذ تسند الحالة الإعرابية النصب إلى الرأس أولًا. ومنه تنقل إلى الفضلات طبقًا للقاعدة الآتية:

(٢١) -

- دخل: [محدد رأس فضلة] $\frac{O}{\Omega}$

- خرج: [محدد رأس فضلة] $\frac{O}{\Omega}$

حيث يدل الرمز (O) على وظيفة المكون التي تسند إليه الإعراب، ويدل الرمز (Ω) على الحالة الإعرابية.

ويأخذ المكون اللاحق "فعلا" حالته الإعرابية لا بمقتضى وظيفته - إذ لا وظيفة له - وإنما بمقتضى سياقه البنيوي.

الحالة الإعرابية التي تم إسنادها إلى المكونات حالات إعرابية مجردة يجب تحقيقها في صورة علامات إعرابية. ويتم ذلك في اللغة العربية - بوجه عام - كما يلي:

- تحقيق الحالة الإعرابية الرفع في صورة ضمة،
- وتحقيق الحالة الإعرابية النصب في صورة فتحة،
- وتحقيق الحالة الإعرابية الجر في صورة كسرة،

بموجب ذلك، يأخذ المكون "الباحث" علامة الضم، ويأخذ المركب "ديوانًا شعريًا رائعًا" علامة النصب. كما يأخذ العلامة ذاتها المكون اللاحق "فعلا".

ب - **قواعد الموقعة**: يُفترض في النحو الوظيفي أن لكل لغة بنية موقعية تتحدد داخلها مواقع المكونات بحسب خصائصها الوظيفية. فيما يخص اللغة العربية يُفترض أن بنيتها الموقعية كالآتي:

(٢٢) - م٤، م٢ [م١م^{Ø} ف (مآ) فا(مف)(ص)]، م٣

تشير (م٤) و(م٢) و(م٣) إلى مواقع المكونات الخارجية، أي تلك التي تقع خارج الحمل، وهي - بالتوالي - المكون المنادى، والمكون المبتدأ، والمكون الذيل. ويشير (م١) إلى الأدوات الصدور، ويشير (مآ) إلى موقع المكون البؤرة (بؤرة مقابلة)، وإلى المكون المحور الذي يمكن أيضًا أن يحتل في بعض الحالات الموقع (مآ). وتدل (ف) و(فا) و(مف) على المواقع التي يحتلها بالتوالي كل من الفعل والمكون الفاعل والمكون المفعول. وأما الموقع (ص) فتحتله المكونات

اللواحق التي لا تملك وظيفة تأخذ بموجبها موقعًا مخصوصًا. في المثال السابق، يحتل المكون اللاحق "فعلا" (م١)، ثم يتلوه الفعل "نشر"، ثم يتلوه المكون "الباحث"، ثم يتلوه المكون المفعول "ديوانًا شعريًا رائعًا"، ويتم ذلك طبقًا للقواعد الآتية:

(٢٣) - لاحق قضوي ← م١/ (ص)

(٢٤) - فعل ← ف

(٢٥) - فاعل ← مف

(٢٦) - مفعول ← مف

(يقرأ السهم ←: يتموقع في).

يُلاحظ أن اللاحق القضوي "فعلا" يمكن أن يحتل صدر الجملة (م١)، كما يمكن أن يحتل الموقع (ص). في هذه الحالة الأخيرة تصبح الجملة كالآتي:

(٢٧) - نشر هذا الباحث ديوانًا شعريًا رائعًا فعلًا.

ج - **قواعد إسناد النبر والتنغيم**: تجدر الإشارة إلى أن هذا النمط من القواعد لم يحظ بدراسة مفصلة ووافية. ومع ذلك، يُفترض أن إسناد النبر إلى المكونات يتم بالنظر إلى وضعها الوظيفي، واقتُرح بالنسبة للغة العربية إسناد النبر والتنغيم طبقًا للقاعدتين الآتيتين:

(٢٨) -{مح #} [&] = &

بؤ

حيث: مح #محور معطى؛ & = حد أو محمول.

(٢٩) - Π ٤ [ق ي] = ق ي ق ي

تفيد القاعدة الأولى أن النبر يسند إلى المكون المحور شرط أن يكون محورًا معطى أو إلى المكون المبأر أيًا ما كان نمط البؤرة.

وتفيد القاعدة الثانية أن التنغيم يُسند تبعًا لمخصص القوة الإنجازية (Π ٤). فيكون صاعدًا إذا كان المخصص الإنجازي دالًا على الاستفهام، ويكون نازلًا في الحالات الأخرى.

على هذا الأساس، يُسند النبر إلى المكون المبأر في المثال السابق، وهو "ديوانًا شعريًا رائعًا". ويسند التنغيم النازل إلى الجملة بِرُمَّتِها نظرا لأن مخصصها الإنجازي دال على الإخبار.

بإجراء قواعد التعبير تصبح العبارة اللغوية محققة صرفيًا وتركيبيًا، كما تصبح مهيأة لإجراء القواعد الصوتية التي تحققها صوتيًا.

بهذه الطريقة إذن تتفاعل قواعد بناء البنية التحتية وقواعد التعبير وقواعد التأويل الصوتي لتوليد العبارة اللغوية، أما تحليلها فيقتضي الانطلاق من البنية المحققة صوتيًا، ثم الانتقال منها إلى البنية المكونية حتى مرحلة تحديد البنية التحتية المتعددة الطبقات.

ويُفَادُ مما تقدم أن القالب النحوي يتضمن المعلومات التداولية باعتبارها مكونًا من مكوناته، وليست مكونًا مستقلًا عنه، وأن للمعلومات التداولية الأسبقية في التمثيل على المعلومات التركيبية خاصة.

وتعكس هاتان الخاصيتان وفاء النحو الوظيفي لمبدأ عدم الفصل بين "قدرة نحوية" وبين "قدرة تداولية"، واعتبارهما معًا قدرة واحدة هي "القدرة التداولية"، ولمبدإ التفسير الوظيفي القاضي بِعَدّ بنية العبارة اللغوية انعكاسًا لمقاصدها التواصلية، وبضرورة اعتبار هذه المقاصد في فهم تلك البنية. وليس ثمة من شك في أن النجاح الذي يمكن أن يُحَقَّق في بناء نموذج مستعملي اللغة الطبيعية رهين بمدى قوة الافتراضات المصوغة بخصوص القالب النحوي نظرًا لما تكتسبه من أهمية في إقامة التواصل اللغوي حتى إنه يستحيل إنجاز تواصل لغوي إذا ما تعطلت الطاقة اللغوية التي تشرف على إقامته.

٢- الطاقة المعرفية:

الطاقة المعرفية هي الطاقة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من بناء قاعدة معرفية منظمة، واستعمالها عن طريق صياغة معارفه في صور لغوية مناسبة، وإغنائها عن طريق استخلاص المعلومات من العبارات اللغوية التي يستقبلها.

من أجل بيان مكونات هذه القاعدة المعرفية، أورد ديك (١٩٨٦ج) أنماط المعلومات التي تتطلبها معالجة العبارات اللغوية كما يلي:

<table dir="rtl">
<tr><th colspan="6">معرفة واسعة</th></tr>
<tr><td colspan="3">لغوية</td><td colspan="3">غير لغوية</td></tr>
<tr><td>معجمية</td><td>نحوية</td><td>تداولية</td><td>إحالية</td><td>عَرَضِية</td><td>عامة</td></tr>
<tr><td colspan="6">معرفة ضيقة</td></tr>
<tr><td colspan="3">مقامية</td><td colspan="3">نصية</td></tr>
<tr><td colspan="3"></td><td>إحالية</td><td>عَرَضِية</td><td>عامة</td></tr>
</table>

(الشكل -٢-)

تتفرع المعرفة الواسعة إلى معرفة لغوية تتعلق باللغة ذاتها، ومعرفة غير لغوية تتعلق بالعالم

الواقع والعوالم الممكنة. تتضمن المعرفة اللغوية معرفة معجمية ومعرفة نحوية ومعرفة تداولية، في حين تتضمن المعرفة غير اللغوية معرفة إحالية ومعرفة عرضية ومعرفة عامة.

وتتفرع المعرفة الضيقة إلى معرفة مقامية ومعرفة نصية. تنقسم المعرفة النصية بدورها إلى معرفة إحالية ومعرفة عرضية ومعرفة عامة.

يمكن بيان ورود هذه الأنماط من المعلومات بالمثال الآتي:

(٣٠) - أ - ماذا يحدث بالكلية هذا الصباح؟

ب - الطلبة يعبرون عن مطالبهم.

حيث يُفترض أن المتكلم والمخاطب يمتلكان كل مقومات المعرفة الواسعة. أما المعرفة اللغوية فتتجلى في معرفتهما بالوحدات المعجمية وبخصائصها الدلالية والتركيبية والصوتية، كما تتجلى في معرفتهما بالمبادئ والقواعد النحوية التي تحكم بنية اللغة التي يتحدثان بها والتي تمكن المتكلم من صياغة معارفه في صور لغوية مناسبة، وتمكن المخاطب من تحليل كلام المتكلم واستخلاص معلومات منه، وذلك بنقل البنيات التحتية إلى عبارات متحققة وبنقل العبارات اللغوية إلى بنياتها التحتية. كما تتجلى في معرفتهما المبادئ والقواعد التي تحكم استعمال العبارات اللغوية استعمالًا يناسب أهدافها التواصلية. وأما المعرفة غير اللغوية فتظهر في معرفة كل من المتكلم والمخاطب ما تحيل عليه الوحدات اللغوية في العالم الخارجي، وفي معرفتهما الأحداث والوقائع التي تشارك في بنائها الذات التي تحيل عليها الوحدات اللغوية، كما في معرفتهما المبادئ والقواعد التي تحكم العالم الواقع والعوالم الممكنة. إلّا أن المعرفة الواسعة - اللغوية منها وغير اللغوية - يختزنها مستعمل اللغة الطبيعية في قاعدته المعرفية بصورة سابقة عن إقامة أي تواصل لغوي، في حين تعد المعرفة الضيقة المعرفة التي يستخلصها مستعمل اللغة الطبيعية من الحدث التواصلي ذاته، ومن الحالة التي يتم فيها تحقيقه.

تتكون المعرفة المقامية - في المثال السابق - من المعلومات التي يمكن إدراكها لحظة إقامة التواصل (ملاحظة اضطراب في سير الكلية الطبيعي). وتتكون المعرفة النصية من معرفة المخاطب بالذوات التي تحيل عليها الوحدات اللغوية الواردة في النص (الكلية، الطلبة، مطالب. . .) ومن معرفته بالوقائع (انقطاع سير الدروس، تجمع الطلبة بساحات الكلية، رفع شعارات. . .) والمبادئ والقواعد المشار إليها في النص ذاته (يقوم الطلبة بتنظيم تجمعات وخوض إضرابات لأهداف مختلفة، منها التعبير عن مطالب محددة). بفضل هذه الأنماط من المعلومات - التي من المرجح أن يختص كل قالب فرعي بتخزين نمط منها - يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إقامة تواصل لغوي مع غيره، ولكنه سيكون عاجزًا تمامًا عن تحقيق ذلك لو أنه كان يفتقد قاعدة معرفية منظمة يختزن فيها

أنماط المعرفة تلك. بناءً على هذا، تُعد الطاقة المعرفية من أهم الطاقات، إذ لا يتصور أن يتمكن إنسان دُمرت طاقته المعرفية من إقامة تواصل لغوي مع غيره بصورة طبيعية لأنه سيكون بحاجة دائمة إلى معلومات لغوية وغير لغوية بما أنه يفتقد قاعدة يختزن فيها معارفه. ويزيد من أهمية الطاقة المعرفية أنها لا تعد مسؤولة فقط عن تخزين المعلومات التي تستخلصها من العبارات اللغوية، وإنما تغتني أيضًا بالمعلومات الجديدة التي يمكن استنتاجها من المعلومات القديمة المتوافرة لديها في القاعدة المعرفية، وذلك بواسطة طاقة أخرى هي الطاقة المنطقية.

٣- الطاقة المنطقية:

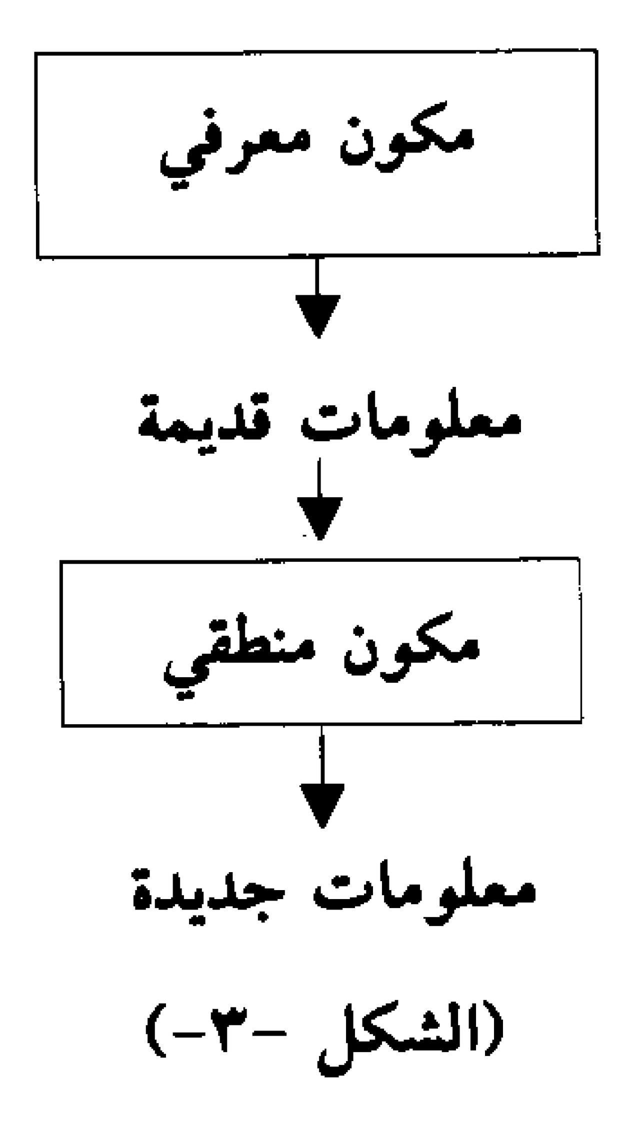
تُعَدُّ الطاقة المنطقية الطاقة المسؤولة عن استخلاص معلومات جديدة من معلومات قديمة عن طريق إجراء قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي، كأن يستخلص مستعمل اللغة الطبيعية من المعلومات التي تتضمنها الجملة (٣١) المعلومات الواردة في الجملتين (٣٢) و(٣٣):

(٣١) - يقع جبل طارق شمال المغرب وجنوب إسبانيا

(٣٢) - تقع إسبانيا شمال المغرب

(٣٣) - يقع المغرب جنوب إسبانيا

يمكن أن نتصور - حسب ديك (١٩٨٨(ي)) - حصول ذلك بالطريقة الآتية:



(الشكل -٣-)

حيث لا يتوفر المكون المعرفي إلّا على المعلومات الواردة في (٣١)، ولكنه يستطيع - بتفاعل مع المكون المنطقي - أن يولد معلومات جديدة انطلاقًا من معلومات قديمة تعد جوابًا واردًا عن السؤالين الآتيين:

(٣٤) - أين تقع إسبانيا بالنسبة للمغرب؟

(٣٥) - أين يقع المغرب بالنسبة لإسبانيا؟

يُدعى هذا النمط من المنطق "منطقًا وظيفيًّا" يختص بتركيب ودلالة. يقوم التركيب بتحديد أنماط العبارات المنطقية، وتقوم الدلالة بتحديد كيفية تأويل هذه العبارات. وتتفرع إلى قواعد تعنى بتأويل العبارات التي يَعُدُّها التركيب سليمة التكوين، وقواعد تعنى بتحديد العبارات التي تشكل قوالب استدلال صحيحة. تدعى الأولى قواعد تأويل وتدعى الثانية قواعد استدلال. إلّا أن قواعد التأويل تحتاج إلى أنطولوجيا تستطيع بواسطتها إجراء عملية التأويل. تتكون هذه الأنطلوجيا من تمثيلات أو"صور ذهنية"[١] تتميز بالخصائص الآتية:

أ - **التنوع الداخلي**: تتألف الصور الذهنية من تمثيلات إدراكية وتمثيلات تصورية.

ب - **النسبية**: يحمل كل واحد من مستعملي اللغة الطبيعية صورًا ذهنية تخالف جزئيًّا أو كليًّا الصور الذهنية التي يحملها غيره منهم.

ج - **الحركية**: تعد الصور الذهنية بنيات حركية يتم خلقها وتعديلها وتدميرها.
فالصورة الذهنية التي أحملها عن موضوع معين الآن لا تعادل بالضرورة الصورة الذهنية التي أحملها عن الموضوع ذاته غدًا.

د - **المحدودية**: ينظر إلى الصورة الذهنية على أنها محدودة ونهائية، إذ لا يعتقد أن أحدًا من مستعملي اللغات الطبيعية يحمل صورة ذهنية كاملة عن موضوع معين.

هـ - **التكامل**: يمكن لصور ذهنية مختلفة أن تعد كلها واردة في عملية التأويل.

و - **الترابط**: تترابط الصور الذهنية فيما بينها بطريقة سُلَّمية.

إذ إن الصورة التي أحملها عن شخص معين يعمل في جهاز الأمن مثلًا مرتبطة بالصورة التي أحملها عن هذا الجهاز. كما أن الصورة التي أحملها عن هذا الجهاز مرتبطة بالصورة الذهنية التي أحملها عن أجهزة الأمن عامة .

كما يجب على هذه الأنطلوجيا أن تفي بشرطين:

- أولهما أن تتجاوز حدود العالم الواقع إلى العالم أو العوالم الممكنة.
- وثانيهما أن تخضع إلى قيد إبستمولوجي يَحُد هذه الأنطولوجيا في ما هو موجود أو ممثل في قاعدتنا المعرفية، إذ لا يمكن لمستعملي اللغات الطبيعية أن يتحدثوا عن وحدات غير ممثلة في قاعدتهم المعرفية، سواء أكانت منتمية إلى العالم الواقع أم إلى أحد العوالم الممكنة[٢].

---

(١) يستعمل ديك مصطلح "الصور الذهنية" مقابل "نماذج ذهنية" باصطلاح دجونسون ليرد (١٩٨٣)، و"نماذج خطابية" باصطلاح فان دايك وكينتش (١٩٨٣).

(٢) للمزيد من الإيضاح والتفصيل، انظر (ديك ١٩٨٨ي و١٩٩٠ب).

٣-١- أنماط المنطق الوظيفي:

يتفرع المنطق الوظيفي - حسب ديك - إلى نظريات فرعية تستمد تعددها من تعدد البنية التحتية (البنية الحملية - المنطقية). هذه النظريات الفرعية هي:

(أ) - المنطق الإنجازي
(ب) - والمنطق الحملي
(ج) - والمنطق المحمولي
(د) - والمنطق المعجمي
(هـ) - والمنطق الحدي

وقد مكن التمييز في نموذج (١٩٨٩) بين مستوى الحمل ومستوى القضية من إضافة المستوى القضوي الذي اكتفى ديك (ديك ١٩٨٩ج) بالقول إنه يضطلع برصد الخصائص المنطقية للقضايا الواردة في العبارات اللغوية والعلاقات المنظمة القائمة بينها. وعليه، أصبح المنطق الوظيفي يتكون من قوالب ستة، هي:

(أ) - قالب المنطق الإنجازي
(ب) - وقالب المنطق القضوي
(ج) - وقالب المنطق الحملي
(د) - وقالب المنطق المحمولي
(هـ) - وقالب المنطق الحدي
(و) - وقالب المنطق المعجمي

وفي ما يلي تعريف بهذه القوالب الفرعية.

٣-١-١- المنطق الإنجازي:

يقوم المنطق الإنجازي بتحديد الخصائص المنطقية التي تميز مخصصات الحمل الإنجازي كالاستفهام والإخبار والأمر وغيرها من المخصصات. لنفترض أن متكلمًا أبلغ مخاطبه بفحوى الجملة الآتية:

(٣٦) - تَسَلَّم خالد من هند وثيقة سرية.

إذا راعينا سياق ورود هذه الجملة، فإن مخصص الحمل الإنجازي هو الإخبار الذي يمكن تمثيله كالآتي:

(٣٧) - [خب [حمل]]

حيث يشير الرمز (خب) إلى قوة الحمل الإنجازية الإخبار.

وإذا افترضنا أن المتكلم كان صادقًا في نقل الخبر يمكن استخلاص ما يلي:

أ - يعتقد المتكلم أن الحمل صحيح، أي إن الواقعة التي يشير إليها الحمل واقعة حقيقية في صورته الذهنية.

ب - يعتقد المتكلم أن المخاطب يجهل ما ورد في الحمل، أي إن صورة المخاطب الذهنية كما هي ماثلة في ذهن المتكلم خالية من الواقعة التي يشير إليها الحمل.

ج - يريد المتكلم أن يضيف ما ورد من معلومات على أنها معلومات صحيحة إلى صورة المخاطب الذهنية.

تتكفل ببناء هذه الاستنتاجات قواعد التأويل التي تستند في عملها إلى المخصص الإنجازي من جهة (الإخبار في هذا المثال)، وإلى المقام التواصلي الذي تم فيه إنتاج الجملة من جهة أخرى (افتراض صدق المتكلم في نقل الخبر).

٣-١-٢- المنطق الحملي:

يُعنى المنطق الحملي برصد الخصائص المنطقية للمحمول والعلاقات القائمة بينها.

ومن الظواهر التي تندرج في هذا المجال ظاهرة الربط بين الجمل و ظاهرة الفصل بينها. لنلاحظ الجملة الآتية:

(٣٨) - أخذ جابر مسدسه وقتل أخاه.

يتوقف تأويل هذه الجملة على عدة أمور: منها أنها مكونة من حملين اثنين، هما:

(٣٩) - أخذ جابر مسدسه.

(٤٠) - قتل جابر أخاه.

ومنها أن كِلا الحملين يخضعان لترتيب زماني محدد. إذ باختلال هذا الترتيب يمكن للجملة أن تصبح كالآتي:

(٤١) - قتل جابر أخاه وأخذ مسدسه.

يمكن صوغ هذين القيدين كما يلي:

(٤٢) - يُعَدُّ الحملان (أ) و(ب) حملين صحيحين إذا كان الحمل (أ) صحيحًا وإذا كان الحمل (ب) صحيحًا أيضًا، وإذا كانت الواقعة التي يحيل عليها الحمل (أ) تسبق زمانيًا الواقعة التي يقدمها الحمل (ب).

يضاف إلى ذلك أنه بفضل المنطق الحملي نستطيع أن نفهم أن الذي نفذ الواقعة المشار إليها في الحمل (٣٩) هو الشخص ذاته الذي نفذ الواقعة المشار إليها في الحمل (٤٠)، وأنه بفضل إواليات هذا النمط من المنطق نستبعد تأويل الجملة (٣٨) بالطريقة الآتية:

(٤٣) - أخذ جابر مسدسه وقتل شخص آخر أخاه.

٣-١-٣- المنطق المحمولي:

يتكفل المنطق المحمولي بتحديد خصائص الجمل العلاقية، كالعلاقة العكسية بين زوجي الجملتين الآتيتين:

(٤٤) - أ - تقع إسبانيا شمال المغرب.

ب - يقع المغرب جنوب إسبانيا.

(٤٥) - أ - خالد أطول قامة من هند.

ب - هند أقصر قامة من خالد.

كما يتكفل بتحديد مخصصات المحمول كالجهة والزمن والصيغة. ففي المثال الآتي:

(٤٦) - يطور العلماء نظرياتهم .

تؤول مخصصات المحمول دلاليًّا بفضل المنطق المحمولي. فنستنتج على الأقل أن العلماء لم ينتهوا بعد من تطوير نظرياتهم (الجهة غير تام). وأن العلماء يطورون الآن (وقت التكلم) نظرياتهم.

٣-١-٤- المنطق الحدي:

يضطلع المنطق الحدي بتقديم تأويل دلالي لبنية الحد. وذلك من خلال تخصيص الأثر الدلالي للمقيدات وتحديد الدور الدلالي والتداولي الذي تقوم به مخصصات الحد المختلفة من تعريف أو تنكير، وتأنيث أو تذكير، وإفراد أو تثنية أو جمع. في الجملة الآتية:

(٤٧) - من المفيد أن تطلع على مقال تشومسكي السياسي الأخير.

تقوم المقيدات "تشومسكي" و"السياسي" و"الأخير" بتقييد الحد "مقال"، إذ ليس المقصود هو الاطلاع على مقال غير محدد، ولا على مقال من مقالات تشومسكي العلمية، ولا على أي مقال من مقالاته السياسية، وإنما المقصود الاطلاع على مقال محدد هو مقال تشومسكي، ومقال من مقالاته السياسية، والأخير من هذه المقالات بالضبط. لذلك يمثل لِ "مقال تشومسكي السياسي الأخير" كالآتي:

(٤٨) - (ع ذ م س١: مقال س (س١): تشومسكي س (س١):
سياسي ص (س١)/ أخير ص (س١))

حيث ع: معرفة، و ذ مذكر، و م: مفرد، و س: اسم، و ص: صفة، و (س١) متغير الحد. يتناسب هذا التمثيل والصورة التي تأخذها بنية الحد عامة في النحو الوظيفي، وهي - للتذكير - كالآتي:

(٤٩) -(W س: Q١ (س): Q٢ (س): . . Qن (س)

حيث يدل (س) على متغير الحد الذي يشير إلى الوحدة المراد تعيينها، ويدل الرمز (W) على مخصصات الحد، في حين يشير الرمز (Q (س)) إلى حمل مفتوح يعد مقيدًا يعمل على تقليص مجموع الإحالات الممكنة التي يحيل عليها الحد، كما يوضح ذلك التدرج في مسار التعرف على مضمون الحد "مقال" كالآتي:

- مقال
- مقال تشومسكي
- مقال تشومسكي السياسي
- مقال تشومسكي السياسي الأخير

وبالإمكان طبعًا إضافة مقيدات جديدة، إلّا أن الذي يتحكم في عدد المقيدات وطبيعتها هو تقدير المتكلم أن مخاطبه يستطيع - بفضل ما قدمه إليه من معلومات - معرفة ما يحيل عليه الحد بدقة. لذلك لا يقيد الحد إلّا إذا كان المخاطب في حاجة إلى هذا التقييد، وبقدر ما تمليه الحاجة فقط.

٣-١-٥- المنطق المعجمي:

يكمن دور المنطق المعجمي في تحديد معاني الوحدات المعجمية وخصائصها المنطقية. ومن هذه الخصائص أن بعض الوحدات تسمح بإقامة استدلالات على أساس معانيها المعجمية. مثال ذلك ما يلي:

(٥٠) - سافر خالد صباحًا.

يمثل للمحمول الفعل "سافر" في صورة إطار حملي كالآتي:

(٥١) - [سـ . ف . ر{فاعل} ف
(س١): <إنسان> (س١)) منف
(س٢: <مكان> (س٢) مك)]

حيث تم تحديد مقولة المحمول "سافر" (فعل)، وتحديد محلات موضوعاته (س١) و(س٢))، والأدوار الدلالية التي تحملها هذه الموضوعات (منفذ ومكان) و القيود الانتقائية التي يفرضها المحمول على محلات موضوعاته (< إنسان > و < مكان >).

يأخذ المحمول "سافر" معناه المعجمي كالآتي:

(٥٢) - سافر = انتقل من مكان مصدر إلى مكان هدف.

ويمثل المحمول "انتقل" في صورة إطار حملي أيضًا. وعليه، يكون معنى الجملة كالآتي:

(٥٣) - انتقل خالد من مكان مصدر إلى مكان هدف صباحًا.

٣-١-٦- المنطق النصي:

علاوة على القوالب المنطقية الفرعية المتقدمة اقترح الدكتور المتوكل (١٩٩٣ : ١٥١) «إضافة قالب منطقي فرعي إلى باقي القوالب الفرعية يضطلع بمهمة رصد الاستدلالات المنطقية التي تربط لا بين جملة وجملة بل بين قطعة وقطعة (أو قطع أخرى) من نفس النص». ومن الأمثلة التي ساقها للتدليل على ورود "المنطق النصي" المثال المقتبس من رواية "زقاق المدق" الآتي:

(٥٤) - لعل الساعة الوحيدة التي داومت عليها من حياتها الغابرة هي انطلاقها إلى الخارج عند الأصيل من كل يوم، ولكنها الآن تطيل الوقوف أمام المرآة المصقولة.

للتعرف على الشخصية المحال عليها بالضمير يلجأ القارئ (أو المستمع) إلى استحضار المعلومات السابقة في فقرة من فقرات النص منطلقًا من المعلومات المقدمة له في هذه القطعة. فالمعلومات «هي انطلاقها إلى الخارج عند الأصيل من كل يوم» تشكل بداية «المسلسل الاستدلالي الهادف إلى التعرف على المحال عليه، حميدة، باعتباره الانطلاق عند الأصيل - كما هو وارد في نصوص سابقة - من عادتها اليومية» (المتوكل ١٩٩٣ : ١٥١). يوضح هذا المثال أن المنطق النصي هو المنطق الذي يمكن القارئ (أو المستمع) من التعرف على الشخصية المحال عليها واستبعاد باقي الشخصيات الواردة في النص رغم الالتباس الناتج عن تعدد الشخصيات وتشابهها أحيانًا.

٤- الطاقة الإدراكية:

يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية بفضل الطاقة الإدراكية أن يدرك العالم الخارجي بوسائل الإدراك البشرية من سمع وبصر ولمس وشم وذوق، وأن يكتسب بفعل إدراكه ذاك معارف يستعملها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها. وبفضل هذه الطاقة أيضًا تصبح حركات الجسد مصدرًا غنيًا بالمعلومات، وتسند إليها دلالتها المناسبة تبعًا لسياق ورودها.

ولئن كانت الطاقات اللغوية والمعرفية والمنطقية أساسية لإقامة التواصل بين مستعملي اللغات

الطبيعية، فإن الطاقة الإدراكية لا تقل أهمية عن غيرها في هذا الخصوص. إذ غالبا ما تعمل المعلومات الإدراكية على تعويض العبارة اللغوية كليًا، أو إتمامها جزئيًا، أو إضفاء معنى جديد قد يخالف معناها الحرفي[١]، كما تبينه الأمثلة الآتية:

(٥٥) - هل أستطيع مقابلة السيد المدير هذا الصباح؟

قد تعمد الكاتبة أثناء إجابتها السائل - خاصة إذا كانت منهمكة في عمل من الأعمال - إلى:

(٥٦) أ - تحريك الرأس يمينًا وشمالًا.

ب - تحريك الرأس إلى أعلى وإلى أسفل.

ج - رفع الحاجبين إلى أعلى وقلب كف اليد.

وقد تعمد إلى القول:

(٥٧) - انتظر قليلا

أ - مشيرة بيدها إلى الكرسي

ب - مشيرة بيدها إلى الكرسي في لطف

وقد تعمد إلى مخاطبة السائل بصوت مسموع:

(٥٨) - عد إليه في وقت لاحق، قد خرج.

مشيرة بيدها إلى أنه موجود في مكتبه.

في كل هذه الحالات يتمكن المخاطَب من تأويل إشارات المتكلم تأويلًا صحيحًا بفضل طاقته الإدراكية. فيفهم من (٥٦) (أ) و(ب) و (ج) ما يقارب (٥٩) (أ) و (ب) و(ج) بالتوالي:

(٥٩) أ - لا تستطيع مقابلة السيد المدير هذا الصباح.

ب - نعم، تستطيع مقابلته هذا الصباح.

ج - لا أعلم إن كنت تستطيع مقابلته هذا الصباح.

ويفهم من (٥٧) (أ) و (ب) ما يلي بالتوالي:

(٦٠) أ - انتظر قليلًا، اجلس.

ب - انتظر قليلًا، تفضل بالجلوس.

ويفهم من (٥٨) - ما يعادل الجملة الآتية:

---

(١) للاطلاع على تفاصيل موضوع دور حركات الجسد في إقامة التواصل، انظر من بين أبحاث أخرى (كريماص ١٩٦٨) و(كريصويل ١٩٦٨) و(كريستيفا ١٩٦٨) و(صفدي وفلانتين ١٩٩٠) و(كيندن ١٩٩٢).

(٦١) - إنه موجود في مكتبه، ولكنه لا يريد مقابلة أحد هذا الصباح، عد إليه في وقت لاحق.

كما أن المتكلم، وهو يستعمل الإشارات المذكورة، مطمئن إلى أن المخاطب سيتمكن من فهمها فهما صحيحًا. ينجم عن هذا أن كلًّا منهما يعلم بالمواضعة ما تدل عليه كل إشارة حسب مقام معين. كما ينجم عنه أنَّ تعطيل الطاقة الإدراكية في مثل هذه الحالات يساهم في عرقلة التواصل بين مستعملي اللغات الطبيعية. ويقوم هذا دليلًا على ما تكتسبه هذه الطاقة من أهمية.

وتبعًا لقنوات الإدراك المشار إليها سلفًا. يمكن أن نفترض أن القالب الإدراكي يتألف من خمسة قوالب فرعية:

قالب خاص بالمعلومات المدركة عن طريق السمع، وقالب مختص بالمعلومات المدركة عن طريق الإبصار، وقالب مختص بالمعلومات المدركة عن طريق اللمس، وقالب مختص بالمعلومات المدركة عن طريق الشم، وقالب مختص بالمعلومات المدركة عن طريق الذوق.

ومن البديهي أن تتفاعل هذه القوالب الفرعية فيما بينها. إذ غالبًا ما ندرك عناصر المقام الفيزيائية بأكثر من وسيلة إدراكية، أهمها من حيث الاستعمال السمع والبصر.

٥- الطاقة الاجتماعية:

تمكن الطاقة الاجتماعية مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية تبلغه أهدافه التواصلية أيًا كان مخاطبه وأيًا كان الوضع الذي يتم فيه التواصل الاجتماعي بواسطة اللغة. إذ بفضل هذه الطاقة يتجاوز المتكلم معرفة مضمون ما يقوله إلى معرفة الكيفية اللائقة التي يجب عليه أن ينتج قوله بها طبقًا لما يقتضيه وضع مخاطبه وزمان القول ومكانه. فقد تجيب من عبر لك عن رغبته في التردد عليك في بيتك، وأنت تريد التملص منه بالقول:

(٦٢) - مرحبًا بك في كل وقت، إلّا أن عملي الحالي يستغرق كل وقتي، أتمنى أن تَتعدَّد لقاءاتنا فيما بعد.

(٦٣) - أتمنى أن تتعدد لقاءاتنا بعد الانتهاء من عملي الحالي.

(٦٤) - عملي الحالي يستغرق كل وقتي.

(٦٥) - ليس لدي وقت الآن.

(٦٦) - بصراحة، لا أرغب في زيارتك.

اختيار أحد الإمكانات التعبيرية السابقة يمليه عدد من الاعتبارات، منها وضع المخاطب الاجتماعي بالنسبة إلى المتكلم حيث تمثل الجملة (٦٢) وضعًا مقاميًا يتمتع المخاطب فيه بقسط وافر من الاحترام، وتتدنى درجة هذا الاحترام إلى أن تبلغ الدرجة الصفر كما تعبر عن ذلك الجملة (٦٦).

ومنها مناسبة القول للهدف التواصلي المراد تحقيقه، حيث تعد الجمل (٦٢) - (٦٦) غير واردة في سياق آخر كما لو كان المتكلم راغبًا بصدق في أن يزوره مخاطبه. ومنها زمان القول ومكانه. حيث تعد الجمل (٦٤) و(٦٥) و(٦٦) على الأقل غير واردة إن كان المتكلم يحل ضيفًا على المخاطب.

تبين هذه الأمثلة ما للطاقة الاجتماعية من أهمية في إقامة التواصل بين مستعملي اللغات الطبيعية حتى إن تعطيلها قد يؤدي إلى تعطيل التواصل ذاته.

وقد افترض الدكتور المتوكل (١٩٩٥: ٢٣) ثلاثة قوالب فرعية تؤلف القالب الاجتماعي ككل وهي: قالب العناصر الاجتماعية الثقافية الكلية، وقالب العناصر الاجتماعية الثقافية العامة، وقالب العناصر الاجتماعية الثقافية الخاصة. إلّا أن هذا التفريع - كما يمكن أن يلاحظ - في حاجة إلى مزيد بيان.

٦- الطاقة التخيلية:

إذا كانت الطاقات الخمس السابقة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية عمومًا من:

أ - إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها إنتاجًا وتأويلًا صحيحين نحويًا،

ب - وبناء قاعدة معرفية منظمة وإغنائها واستعمالها،

ج - واستخلاص معلومات جديدة انطلاقًا من معلومات قديمة،

د - وإدراك العالم الخارجي واستعمال المعارف المدركة في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها،

هـ - وبلوغ أهداف تواصلية محددة في مقامات اجتماعية متعددة،

فإن ثمة معطيات لغوية وافرة كثيرًا ما يلجأ مستعمل اللغة الطبيعية إلى إنتاجها وتأويلها دون أن تكون إحدى هذه الطاقات الخمس مسؤولة مباشرة عن إنتاجها أو تأويلها. ومن هذه المعطيات البنيات الشرطية والبنيات المجازية والبنيات الاستعارية والبنيات الكنائية، والبنيات الرمزية.

نفترض أن الطاقة التي تشرف على إنتاج هذه البنيات هي "الطاقة التخيلية"[1]، وتعريفها -

(١) فضلنا استعمال مصطلح "التخيل" بدل "الخيال" للاعتبارات المعقولة التي على أساسها عدَّ الدكتور جابر عصفور مادة التخيل المقابل الدقيق لكلمة Imagination التي تدل على عملية التأليف بين الصور وإعادة تشكيلها..

«أما الدلالات العربية لكلمة "الخيال" فإنها لا تشير إلى القدرة على تلقي صور المحسوسات وإعادة تشكيلها بعد غيابها عن الحس، إنها تشير إلى الطيف أو الصورة التي تتمثل لنا في النوم أو أحلام اليقظة» (عصفور ١٥:١٩٨٣).

كما نقترح هو كالآتي:

(٦٧) - تعريف الطاقة التخيلية:

«الطاقة التخيلية هي الطاقة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقيق أهداف تواصلية محددة».

يُفاد من هذا التعريف أن إقامة التواصل اللغوي بين المخلوقات البشرية يتطلب في أحيان كثيرة استخدام عبارات لغوية تحيل على وقائع لا تنتمي بالضرورة إلى العالم الواقع، بل قد تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة[١] أو أحد العوالم الخيالية[٢].

نقصد بالعوالم الممكنة كل عالم يمكن تصوره بديلًا عن عالمنا الراهن شرط أن يكون ممكن التحقق منطقيًا على الأقل، وخاضعًا لقوانين العالم الواقع ولو جزئيًا. ونقصد بالعوالم الخيالية «كل عالم يمكن تخيله دون أن يشترط فيه أن يكون بديلًا عن عالمنا الراهن جزئيًا أو كليًا، ودون أن يكون ممكن التحقق ولو منطقيًا[٣]».

يمكن بدءًا توضيح ذلك بالبنيات الشرطية الآتية:

(٦٨) - إذا تمكن خالد من إنتاج مشروعه العلمي، فستنتفع البلاد به.

(٦٩) أ- تصور أنك فزت في الانتخابات، هل كنت تستطيع الوفاء بوعدك؟

ب - لو فزت في الانتخابات لما كنت جليسك الآن.

(٧٠) - إذا تصور جابر نفسه كموسى علمًا فأحمد كالخضر.

---

(١) يذكر دوليزل (١٩٩٢) أن الفضل في استحداث مفهوم "العوالم الممكنة" يعود إلى ليبنتر، وأن الفضل في تطويره يرجع إلى كريبك وهنتيكا وسكوط ورايت ولويس وكابلن وآخرين. ويتمثل الافتراض الذي قاد أعمالهم في أن عالمنا الواقع عالم محاط بعدد غير نهائي من العوالم الممكنة.
في حين يذكر الدكتور عبد الرحمان طه (١٩٨٩: ٢٦) أن «دعوى اختصاص ليبنس بهذا المفهوم قابلة للمنازعة فيها. فكلا القضيتين: "تعدد العوالم الممكنة" و" أفضلية عالم الواقع" وقع الخوض فيهما في مختلف مدارس الفكر الإسلامي». وبين ألين (١٩٨٩) كما رونن (١٩٩٠) أن مفهوم "العوالم الممكنة" انتقل من مجال الفلسفة إلى مجالات معرفية أخرى كاللسانيات وتاريخ العلوم وعلم الجمال والنقد الأدبي وغيرها، وأن استخدامه في هذه المجالات أدى إلى ظهور أفكار جديدة.

(٢) لتعميق النظر في مفهوم"العوالم الخيالية" انظر (بافيل ١٩٨٦ و١٩٨٩) و(دوليزل ١٩٩٢).

(٣) نتبين الفرق بينهما بالمثالين الآتيين:
أ - لو فاز بكرسي الرئاسة شعيب، لأهلك بسياسته الحرث والنسل.
ب - رأيت الشمس تطلع من مغربها يعانقها القمر.
حيث تنتمي (أ) إلى أحد العوالم الممكنة، وتنتمي (ب) إلى أحد العوالم الخيالية.

حيث نفهم من المثال الأول أن المتكلم اختلق عالمًا ذهنيًّا ممكنًا تخيل فيه أن البلاد ستنتفع بمشروع خالد العلمي في حال إنجازه. ونفهم من المثال الثاني أن السائل يعلم أن مخاطبه لم يفز في الانتخابات، وأنه يطلب إليه أن يختلق عالمًا ذهنيًّا يمكن أن يكون فيه فائزًا.

كما نفهم أن المخاطب قد اختلق فعلًا عالمًا ذهنيًّا تخيل فيه أنه فاز في الانتخابات وأنه بناءً على فوزه المفترض ذاك تخيل أن وضعه الجديد سيمنعه من مجالسة محدثه. ونفهم من المثال الثالث أنه إذا كان (جابر) قد أقام عالمًا ذهنيًّا ممكنًا تخيّل نفسه فيه أنه كموسى علمًا، فإن المتكلم في المقابل تخيل (أحمد) في العالم الذهني ذاته أنه في العلم كالخضر.

تبين هذه الأمثلة عمومًا أن البنية الشرطية تشكل وسيلة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من اختلاق صورة افتراضية قد تخالف - حسب ديك (١٩٩٠ب:٢٣٩) - الصورة التي يحملها وقت التلفظ، كما يبينه التمثيل الآتي:

ح (أ) ═══ ⟵ ح (ب)

ص ف ________

ص م (ز ه) ____أ؟____

الشكل (-٤-)

وقراءته: في صورة المتكلم (ص م) وقت التلفظ (ز ه = الزمن الصفر) هناك شك إن كانت (أ) صحيحة أو خاطئة (أ؟)، ولكن في صورته الافتراضية حيث تعد (أ) صحيحة (ح(أ)) تعد (ب) صحيحة أيضًا (ح(ب)).

نلاحظ إذن أن بناء هذا النمط من العبارات يتوقف على اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة. وعملية الاختلاق هذه عملية تخيلية لا يمكن أن تشرف عليها إلّا طاقة من الطبيعة نفسها هي الطاقة التخيلية. غير أن تأويل البنيات الشرطية - كما لاحظ ديك (١٩٩٠ب:٢٣٧ و٢٤١) - يستدعي أن تستعمل الصور الافتراضية في قوالب الاستدلال الافتراضي. ذلك لأن صورة هذه البنيات العامة هي:

(٧١) - (أ) شرط، ب

وقراءتها: إذا كانت (أ) إذن تحصل (ب).

وبناءً عليه فإن تأويل البنيات الشرطية، كما هو الشأن في (٦٨) و(٦٩)، أو تلك التي تتضمن استعمالات بلاغية خاصة، كما هو الشأن في (٧٠)، تشرف عليه الطاقة المنطقية. إذ أنها هي المسؤولة عن استخلاص معلومات جديدة انطلاقًا من معلومات معطاة عن طريق إجراء قواعد

استدلالية تحكمها في هذه الحالة خاصة - مبادئ المنطق الاحتمالي.

نستخلص إذن أن إنتاج البنيات الشرطية يستدعي وجود طاقة تخيلية تمكن من اختلاق صور افتراضية، وأن تأويل البنيات الشرطية يستدعي وجود طاقة منطقية تمكن من استعمال الصور الافتراضية في قوالب استدلال افتراضي.

إذا استبعدنا البنيات الشرطية فإن ثمة تراكيب أخرى تستدعي وجود طاقات تخيلية لإنتاجها أو تأويلها. ومن هذه التراكيب البنيات المجازية والبنيات الاستعارية والبنيات الكنائية[1] الممثل لها بالآتي على التوالي:

(٧٢) - أمطرت السماء عقابًا.

(٧٣) - أقبل الربيع مختالًا.

(٧٤) - احتفلت الكلية بالذكرى العاشرة لتأسيسها.

فنحن ندرك - بفضل طاقتنا الإدراكية - أن السماء تمطر مطرًا لا عقابًا، وأن فصل الربيع لا يقبل مختالًا، وأن الأحياء من الناس هم الذين يستطيعون الاحتفال لا المؤسسات. ونعلم أيضًا أن هذه المعلومات المدركة مخزونة في قاعدتنا المعرفية بواسطة طاقتنا المعرفية، كما نعلم أن الطاقات الأخرى غير مختصة مباشرة بإنتاج البنيات المشار إليها. وبفضل طاقتنا التخيلية نستطيع أن نصور المطر الغزير الذي يتسبب في هلاك الناس عقابًا كما في (٧٢)، ونصور الربيع كشخص يختال في مشيته كما في (٧٣)، ونصور الكلية تحتفل بذكرى تأسيسها كما في (٧٤).

وعليه، فإنه من، الوارد افتراض وجود طاقة تخيلية تضطلع بإنتاج تلك البنيات ومثيلاتها. علاوة على ذلك، ثمة نمط آخر من المعطيات يمكن أن نمثل لها بالآتي:

(٧٥) أ - ألست على علم بمن كسروا غصن الزيتون بلبنان؟

ب - إنهم - بلا شك - الذين كسروا الميزان.

تستدعي بنيات من هذا القبيل - والبنيات الرمزية عموما- أن يكون مستعمل اللغة الطبيعية مجهّزًا بطاقة تمكنه من مجاوزة الفهم الحرفي "لغصن الزيتون" في (٧٥أ) و"الميزان" في (٧٥ب)، كما تمكنه من المعادلة بين "غصن الزيتون" و"السلام" من جهة، وبين "الميزان" و"العدل" من جهة أخرى. المعادلة التي تختص بها البنيات الرمزية دون غيرها ويضطلع العرف بدور ما في ترسيخ تداولها.

فما هي طبعة الطاقة التي تشرف على إنتاج وتأويل هذا النمط من البنيات؟

---

(١) للاطلاع على جانب من التناول اللساني - الذي نتبناه هنا - للمجاز والاستعارة والكناية، انظر (غاليم ١٩٨٧).

قد يذهب الباحث افتراض "طاقة رمزية". إلّا أن علاقة المشابهة التي تقوم بين طرفي الرمز عامة - كما أثبتت ذلك دراسات[1] عديدة تستبعد هذا الافتراض. فقد أثبتنا أن الطاقة التخيلية هي المسؤولة عن إنتاج وتأويل البنيات الاستعارية. ومعلوم أن الاستعارة تقوم على المشابهة. فَلِمَ يُفترض وجود طاقة أخرى (الطاقة الرمزية في هذه الحالة) تشرف على إنتاج وتأويل بنيات يمكن أن تدخل في مجال الطاقة التخيلية بما أنها تقوم على المشابهة أيضًا؟

على هذا الأساس نفترض أن الطاقة التخيلية هي التي تتكفل بإنتاج وتأويل البنيات الرمزية، أما افتراض"طاقة رمزية" فيدعو إلى افتراض طاقات فرعية تختص كل منها بنمط من البنيات اللغوية. فنفترض - تبعًا لذلك - "طاقة مجازية"، و"طاقة كنائية"، و "طاقة استعارية"، ..... وافتراضات من هذا القبيل لا تناقض فقط "مبدأ البساطة" الذي ينسب إلى العقل البشري البساطة في بنيته وتنظيمه، وإنما تعاكس أيضًا "مبدأ الواقعية النفسية" الذي ينسب إلى العقل البشري عددًا محدودًا وفعالًا من الطاقات.

نخلص من كل ذلك إلى:

(أ) - أن مستعمل اللغة الطبيعية يقوم بإنتاج بنيات لغوية وتأويلها - كالبنيات الشرطية والبنيات المجازية والبنيات الاستعارية والبنيات الكنائية والبنيات الرمزية - تقصُر الطاقات الخمس المفترضة عن تفسير إنتاجها وتأويلها.

(ب) - وأن الطاقة التي تشرف على إنتاج تلك البنيات وتأويلها هي الطاقة التخيلية، حسب ما نفترض.

ومن الدلائل الإضافية التي يمكن أن نقدمها لصالح هذا الافتراض أن نتصور مستعمل اللغة الطبيعية وقد تعطلت لديه هذه الطاقة، ونتساءل عما إن كان بإمكانه أن يختلق صورًا افتراضية أو أن يبني وقائع متخيلية، وعما إن كانت هناك طاقة أخرى - غير الطاقة التخيلية - تمكنه من فعل ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور المتوكل (١٩٩٣: ٤٧) كان قد أشار إلى إمكان إضافة قالب شعري "تكون مهمته الاضطلاع بوصف التراكيب المجازية بوجه عام" وبين لاحقًا (المتوكل ١٩٩٣: ٢٧ و٢٨) أن جملة من قبيل:

(٧٦) - كان خالد أسدًا في المعركة.

يقتضي رصدها الأخذ بواحد من الافتراضين:

أ - افتراض يقضي بعدم ورود طاقة شعرية والاقتصار على القوالب الخمسة فقط. "ويتم إن

---

(١) قصد الاطلاع على بعض من تلك الدراسات، انظر (الوالي ١٩٩٠) والمراجع الواردة هناك.

صح هذا الافتراض رصد العلاقة المجازية بواسطة القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي التي تتفاعل، في هذا الباب، على الشكل التالي: تقدم العلاقة بين المفردتين، في القالب النحوي، على أساس أنها تخرق قيد توارد، ويمد القالب المعرفي المؤول بمعلومة أن الأسد والإنسان على تباينهما يمكن أن يتآلفا من حيث بعض الصفات كالشجاعة. ويمكن للمؤول أن يتوصل إلى المراد بالعبارة (٧٦) وصف خالد بالشجاعة عن طريق استدلال منطقي يستعمل المعلومتين الواردتين في القالبين النحوي والمعرفي".

ب - وافتراض ثانٍ يجعل "الظواهر المجازية بصفة عامة، بما فيها الظاهرة الممثلة لها في الجملة (٧٦)، من اختصاص قالب مستقل، القالب الشعري، على اعتبار أن المجاز من جوانب اللغة الطبيعية التي تقتضي لدى مستعمل اللغة ملكة قائمة الذات مختلفة عن الملكة اللغوية الصرف وإن كانت تتفاعل معها (ومع غيرها من الملكات). في هذا الاتجاه تصبح العلاقة المجازية - كالعلاقة القائمة بين المحمول والموضوع الفاعل في الجملة (٧٦) - من اختصاص القالب الشعري الذي يمكن أن يستعين على وصفها بقوالب أخرى إضافة إلى القالب النحوي. في هذا الإطار يمكن تصور هذا القالب على أساس أنه مجموعة من المبادئ ونسق من القواعد يضطلعان برصد الظواهر المجازية باختلاف أنماطها، وبوصف ما يشكل "أدبية "الخطاب الأدبي". من ذلك أن الاستعارات السائغة في ثقافة ما لا تسوغ ضرورة في غيرها من الثقافات" (المتوكل ١٩٩٥: ٢٩). ويبدو أن الدكتور المتوكل يميل إلى الأخذ بالافتراض الأول كما يتبين من معالجته للعبارة المجازية الآتية:

(٧٧) - سافرت الشمس.

إذ يقترح "أن يتم تأويل العبارات المجازية عبر قوالب ثلاثة:

القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي، على أساس أن تشتغل هذه القوالب بالشكل التالي:

(١) - تولد العبارة المجازية في القالب النحوي توليدًا عاديًا كباقي العبارات اللغوية عبر مختلف أجهزة هذا القالب،

(٢) - تتخذ هذه العبارات دخلًا للقالب المنطقي الذي يقوم، بواسطة قواعد الاستدلال، باشتقاق المعنى المجازي انطلاقًا من المعلومات اللغوية الصرف الممثلة في العبارة نفسها من جهة ومن المعلومات المستقاة من القالب المعرفي (= المعلومات المشتركة عن العالم الخارجي من جهة ثانية". (المتوكل ١٩٩٥: ١٠٣ و١٠٤).

إلّا أن الاقتصار على الطاقة المنطقية متفاعلة مع الطاقة اللغوية، والطاقة المعرفية

(والاجتماعية أيضًا). لمعالجة العبارة المجازية يُواجه بالدلائل المضادة الآتية:

أ - إذا صح أن تأويل هذا الضرب من العبارات غير متوقف على إضافة طاقة أخرى، فما هي الطاقة المسؤولة إذن عن إنتاج هذه العبارات؟

معلوم أن وظيفة الطاقة المنطقية أن تستخلص معلومات جديدة من معلومات معطاة بواسطة إجراء قواعد استدلالية. ومعلوم أيضًا أن إنتاج عبارات مجازية يقتضي بناء صورة ذهنية ممكنة أو متخيلة. ومن المستبعد جدًّا أن يكون للطاقة المنطقية - بحكم طبيعتها ووظيفتها - دور ما في بناء هذه الصور الذهنية. فلا بد إذن من إضافة طاقة تكون معنية بإنتاج العبارات المجازية وما يماثلها.

ب - ليست العبارات المجازية وحدها العبارات التي تثير إشكال البحث عما يؤهل مستعمل اللغة الطبيعية إنتاجها وتأويلها، بل هنالك أيضًا بنيات أخرى تعمق هذا الإشكال، أهمها البنيات الرمزية. فماذا بإمكان الطاقة المنطقية أن تقوم به في إنتاج هذه البنيات أو تأويلها حتى وإن عاضدتها الطاقة اللغوية والطاقة المعرفية والطاقة الاجتماعية؟

لقد استُند في استبعاد إضافة طاقة أخرى إلى تحليل العبارة (٧٦) السابقة:

(٧٦) - كان خالد أسدًا في المعركة.

على اعتبار أنه "من قيود التوارد التي يفرضها المحمول "أسد" على الموضوع - الفاعل أن يتسم بسمة "حيوان" (حي غير إنسان)، وهو قيد يمنع من حمل هذه المفردة على أية مفردة دالة على الإنسان كما هو الشأن بالنسبة لما ورد في الجملة (٧٦). ومن المعارف العامة لدى مستعملي اللغة الطبيعية أن الإنسان و الأسد ينتميان إلى نوعين مختلفين وإن تآسرا من حيث الجنس بحيث لا يجوز عقلًا أن يتخذ أحدهما وصفا للآخر. بالرغم من ذلك، لا يعد المخاطب الجملة (٧٦) جملة لاحنة بل يتعدى ذلك إلى تأويلها على أساس أن العلاقة بين المفردتين المعنيتين علاقة مجازية تقوم على نقل إحدى سمات الأسد - وهي الشجاعة إلى خالد" (المتوكل ١٩٩٥: ٢٧ و٢٨).

إلّا أن تحليلًا من هذا القبيل لا يصدق على العبارة (٧٥) السابقة الذكر:

(٧٥) - كسروا غصن الزيتون بلبنان.

إذ إن "غصن الزيتون" شيء قابل للكسر، وليس هناك خرق لقيد من قيود التوارد التي يفرضها المحمول "كسر" على موضوعه "غصن الزيتون".

وبناءً عليه، يتحتم إضافة طاقة أخرى إلى الطاقات الخمس المفترضة. وبالنظر إلى ما يتميز به مصطلح "القالب التخيلي" من شمول، إذ يشرف على العبارات المجازية والبنيات الكنائية والبنيات الاستعارية والبنيات الشرطية والبنيات الرمزية، فإننا نفضل الأخذ به عوضًا عن مصطلح "القالب الشعري" الذي يصعب أن تندرج تحته البنيات الشرطية بصفة خاصة.

٧- خاتمة:

استعرضنا في هذا الفصل الطاقات الخمس التي افترض ديك أنها تكون القدرة التواصلية، وهي الطاقة اللغوية والطاقة المعرفية والطاقة المنطقية والطاقة الإدراكية والطاقة الاجتماعية، وبينا مكونات كل منها.

وقمنا بفحص مدى كفاية هذه الطاقات المفترضة في العمليات التواصلية القائمة بين المخلوقات البشرية. واستدللنا على ضرورة إضافة طاقة أخرى، هي الطاقة التخيلية، لتفسير قدرة المتكلم على إنتاج بنيات لغوية وفهمها، ثبت أن الطاقات الأخرى تقصُر عن تفسيرها.

الفصل الرابع

بنية نموذج مستعمل اللغة الطبيعية وطريقة عمله

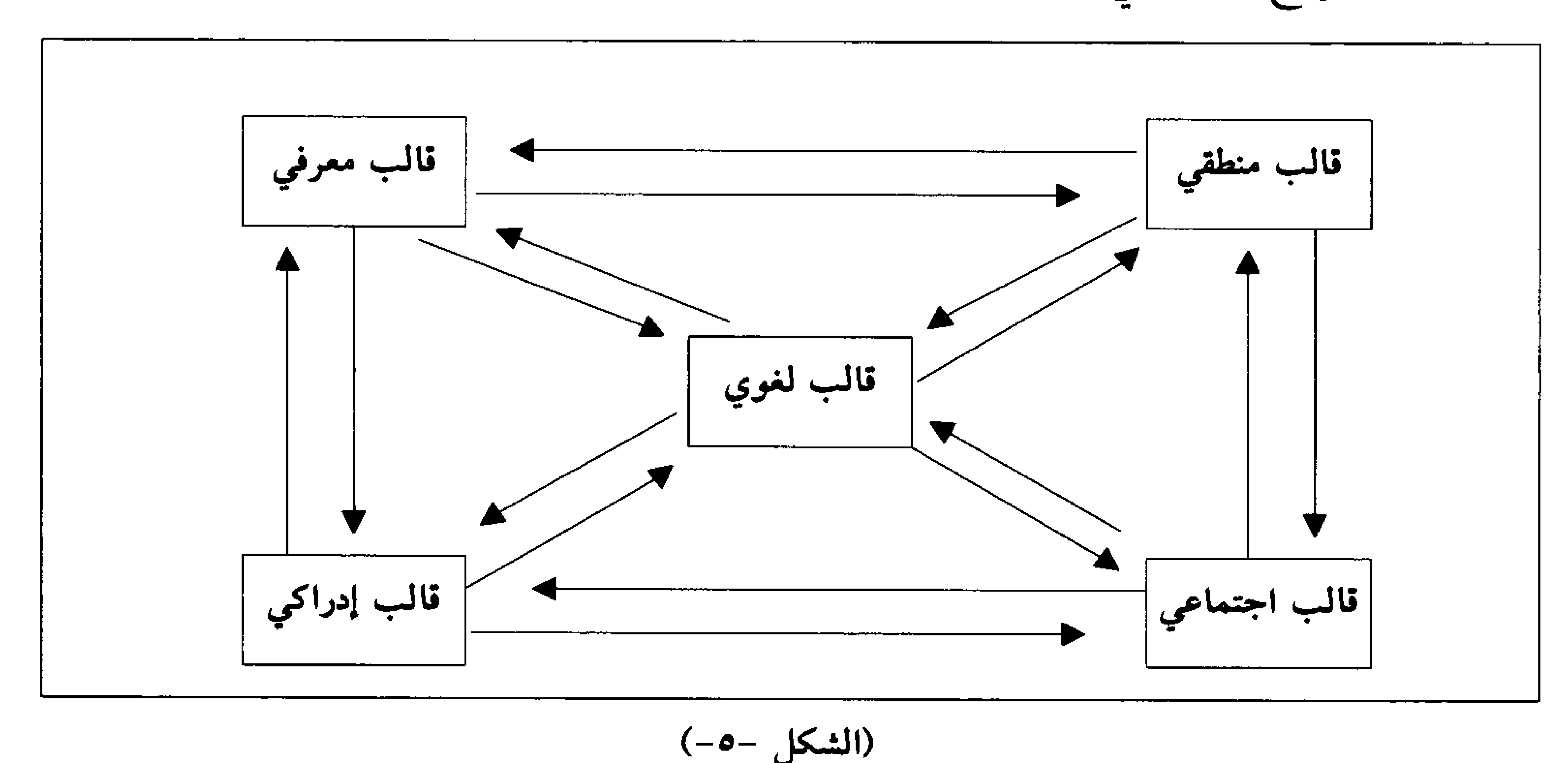
٠ - مدخل

في نموذج مستعملي اللغات الطبيعية يُمثل لكل طاقة في صورة قالب. وعليه، يمكن أن نتحدث عن قالب نحوي وقالب معرفي وقالب منطقي. . . والخطوة التالية - بعد حصر عدد القوالب - هي تحديد كيفية التفاعل بين القوالب المختلفة التي تشرف على عمليتي إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها في مقامات تواصلية متعددة. ومع أنه لم يُبْحَث بما فيه الكفاية في تنظيم هذا التفاعل إلّا أننا لا نعدم بعض الأعمال المهمة.

١- افتراضات ديك:

افترض ديك (١٩٨٩أ:٢) أن كل القوالب تتفاعل فيما بينها حيث يُعد خَرْجُ أحد القوالب دخلًا للقوالب الأخرى. ومعناه أنه حينما ينتهي القالب من بناء العبارة اللغوية أو تأويلها من الجهة التي تعنيه: النحوية أو المعرفية أو المنطقية أو الإدراكية أو الاجتماعية، تصبح البنية الناتجة عنه دخلًا لقالب آخر يستكمل بناءها أو تأويلها من جهته التي يختص بها. وتعميم من هذا القبيل يسمح بتصور[١] بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كالآتي:

- بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية:



(الشكل -٥-)

(١) انظر تصورا تقريبيا مماثلا في (المتوكل ١٩٩٢).

كما لاحظ ديك (١٩٩٠أ: ٢٠٤) أن هذه القوالب تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية، مفترضًا أن القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي - بهذا الترتيب - أهم من القالبين الإدراكي والاجتماعي، مشيرًا في غير ما موضع (ديك١٩٨٧أ) و(١٩٨٧ي) و(١٩٨٧ي) إلى أن التفاعل القائم بين القالب النحوي والقالب المعرفي من جهة، وبين القالب المعرفي والقالب المنطقي من جهة أخرى أهم من أي تفاعل آخر بين قوالب أخرى، على أن تفسر هذه الأهمية بكثرة الاستعمال في مقامات تواصلية متعددة.

وبالمثال الآتي يوضح ديك (١٩٨٧أ) أهمية التفاعل بين القالب النحوي والقالب المعرفي:

(78) – How employees does Johnson have?
a – Johnson have 35 employees.
b – 35.

يقوم المخاطب في هذا المثال ببناء البنية التحتية للجملة الاستفهامية قصد تأويلها. ويتم ذلك طبعًا بواسطة القالب النحوي. ثم يشرع في البحث داخل مخزونه المعرفي عن المعلومة المطلوبة. إذا افترضنا أن المخاطب يملك هذه المعلومة، وأنه يريد صادقًا تزويد السائل بها فإن ذلك يستدعي أن يستمد القالب النحوي من القالب المعرفي المعلومة أو المعلومات المطلوبة في صورة بنية تحتية، يقوم ببنائها عبارةً لغويةً محققة في صورة (٨٠ ب). أما إذا كان القالب المعرفي لا يتضمن المعلومة أو المعلومات المطلوبة وإنما يتضمن معلومات تؤدي إليها، فإن تدخل القالب المنطقي يصبح ضروريًا في هذه الحالة مثلما يوضحه ديك (١٩٨٨) كالآتي:

(79) – a – Is Chantilly north or south of Paris?
b – Chantilly is north of Paris.

يفترض ديك أن القالب المعرفي لا يملك المعلومة المتضمنة في الجملة (٧٩ب) الواردة جوابًا عن الجملة الاستفهامية (٧٩أ). ولكنه يملك - في المقابل - المعلومتين الآتيتين:

(80) – The Abbey of Royaumont is north of Paris.

(81) – The Abbey of Royaumont is south of Chantilly.

وبما أن المخاطب يتوفر على (٨٠) و(٨١)، فباستطاعتنا الإجابة عن السؤال (٧٩أ) بفضل القالب المنطقي الذي يضطلع باشتقاق معلومات جديدة من معلومات معطاة عن طريق قواعد استدلالية.

ويتصور أن يتم ذلكَ كما يلي:

(82) – The Abbey of Royaumont is north of Paris.

(83) – The Abbey of Royaumont is north of Chantilly.

(84) – Chantilly is north of Abbey.

(85) – Chantilly is north of Paris.

حيث تم استخدام القاعدتين الآتيتين:

(٨٦) - (س) شمال (ص) ↔ (ص) جنوب (س)

(٨٧) - ((س) شمال (ص)) و((ص) شمال (ك)) ↔ (س) شمال (ك))

مؤدى القاعدة (٨٦) أنه إذا صح القول إن:

(س) تقع شمال (ص) صح القول أيضًا إن (ص) تقع جنوب (س)، والعكس صحيح.

ومؤدى القاعدة (٨٧) أنه إذا صح أن:

(س) تقع شمال (ص، و(ص) تقع شمال (ك)، صح القول أيضًا إن (س) تقع شمال (ك).

وبهذا يتبين تفاعل القالب النحوي مع القالب المعرفي من جهة، وتفاعل القالب المعرفي مع القالب المنطقي من جهة أخرى.

ما تسنى لنا ملاحظته على افتراضات ديك هذه، ومنها صياغته لبنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، أنها تفتقر إلى دلائل كافية لدعمها، كما أنها تحتاج إلى تحديد كيفية حصول التفاعل بين كل القوالب المؤلفة لبنية النموذج، وإلى تدقيق طبيعة الدور الذي يقوم به كل واحد منها.

ومع ذلك، فإن أهمية هذه الافتراضات تتجلى - بصفة خاصة - في كونها تشكل نقطة انطلاق بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، وتضع لبنات هذا البناء.

وستتولى الأبحاث اللاحقة إغناء هذه الافتراضات باقتراحات جديدة.

٢- افتراضات المتوكل:

عُني الدكتور المتوكل في عدد من أعماله بالمشاركة في بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، وإليه يرجع الفضل في وضع جملة من الاقتراحات أسهمت في تطوير هذا المشروع وإغنائه. وفي ما يلي نعرض أهم هذه الاقتراحات.

لتسليط الضوء على كيفية التفاعل بين القوالب المختلفة، ميز الدكتور المتوكل (١٩٩٥) بين حالة بسيطة لا يحتاج تأويل العبارة اللغوية لقالب آخر غير القالب النحوي وبين حالة معقدة حيث يستدعي تأويل العبارة اللغوية قوالب أخرى إلى جانب القالب النحوي.

على هذا الأساس يتطلب تأويل العبارة (٨٨) قالبًا واحدًا هو القالب النحوي:

(٨٨) - أعرني كتاب ديك، اللغوي الوظيفي، الذي يحمل عنوان "نظرية النحو الوظيفي" والذي ظهر سنة ١٩٨٩ ضمن منشورات "فوريس" بلون أصفر.

ذلك لأن "العبارة ذاتها تمد المخاطب بكل المعلومات التي تمكنه من تأويلها تأويلًا كافيًا ملائمًا بحيث لا يحتاج اللجوء إلى معلومات أخرى غير المعلومات الواردة في العبارة" (المتوكل ١٩٩٥: ٢٦). في حين يتطلب تأويل العبارة (٨٩) تفاعل القوالب الخمسة جميعها:

(٨٩) - هل حصلت على كتاب ديك الأخير؟

أ - يمد القالب النحوي المؤول بالمعلومات اللغوية الصرف، وهي معلومات صرفية - تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية والتركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات . . .)، ومعلومات دلالية (معاني المفردات، معنى العبارة ككل)، ومعلومات تداولية (القوة الإنجازية التي تواكب العبارة ككل باعتبارها قوة إنجازية حرفية). فبفضل هذه المعلومات يستطيع المخاطب أن يدرك "المعنى اللغوي" للعبارة المعنية بالأمر.

ب - يوفر القالب المعرفي للمؤول المعلومات التي توصله إلى التعرف على ما تحيل عليه العبارة "كتاب ديك الأخير". ولا يستطيع أن يتوصل إلى ذلك إلّا إذا توافرت لديه المعلومات التالية: أن ثمة لغويًا يسمى ديك، وأن هذا اللغوي قد كتب مجموعة كتب، وأن آخر هذه الكتب ظهر في سنة (١٩٨٩) ويحمل عنوان "نظرية النحو الوظيفي: بنية الجملة".

ج - على اعتبار أن الجملة (٨٩) واردة في مقام الالتماس لا السؤال المحض (على اعتبار أن المراد بها طلب المتكلم من المخاطب إعارته كتاب ديك الأخير) توكل مهمة اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميًا (أي الالتماس) إلى القالب المنطقي.

وتتم هذه العملية الاشتقاقية كما هو معلوم عن طريق قواعد استدلالية تربط بين البنية التحتية الممثل لها في القالب النحوي، والبنية التحتية التي يمثل لها داخل القالب المنطقي[(١)].

د - لكي يتوصل المؤول إلى إدراك أن المراد التماس، يجب أن يلجأ إلى القالب الاجتماعي الذي يمده بالمبدإ القاضي بأن الطلب الصادر عن شخص ذي وضع اجتماعي مماثل (أو مساو) يكون التماسًا (لا أمرًا ولا دعاء). هذه المعلومات تستخدم في عملية اشتقاق القوة الإنجازية المستلزمة مقاميًا، أي الاتماس، وتمنع في الوقت ذاته من أن تؤول العبارة على أساس أنها تحمل قوة إنجازية أخرى.

(١) يفترض الدكتور المتوكل (١٩٩٣: ٤٤-٤٥) أن يمثل داخل القالب النحوي لكل من القوة الإنجازية الأصل والقوة المستلزمة المنعكسة في خاصية من الخصائص الصورية للعبارة وكل قوة مستلزمة تعرضت لنوع من أنواع التحجر، وأن يمثل داخل القالب المنطقي للقوى الانجازية المستلزمة التي «لا انعكاس لها في مستوى الخصائص الصورية». للتوسع، انظر (المتوكل ١٩٨٥ و١٩٨٦).

هـ - وقد يشتغل القالب الادراكي كذلك في تأويل العبارة المعنية بالأمر حيث يمكن للمخاطب أن يستعين في عملية التعرف على الكتاب المقصود بالصورة التي له عن (كتاب ذي حجم معين ولون معين...)" (المتوكل ١٩٩٥: ٢٥ و٢٦).

وخلص الدكتور المتوكل من تحليل المثالين السابقين إلى أن كل عبارة لغوية تستدعي من القوالب ما يحتاج إليه لتأويلها، سواء أتعلق الأمر بقالب واحد هو القالب النحوي كما يبينه المثال (٨٨)، أم بقالبين أو أكثر كما هو الحال في المثال (٨٩) مفترضًا أن القالب النحوي يشكل - في جميع الأحوال - منطلق عملية التأويل إذ "لا يتصور أن يستغنى عن هذا القالب إذا تعلق الأمر بإنتاج أو تأويل عبارة لغوية ما" (المتوكل ١٩٩٥: ٣٠). وبالمقابل كلما كانت المعلومات التي يوفرها القالب النحوي غير كافية يصبح تدخل قالب آخر ضروريًا كالقالب الإدراكي - مثلًا - في الجملة الآتية:

(٩٠) - قد حان وقت منحك ما تسعى في الحصول عليه.

حيث "يمكن أن تؤول حسب ما تحمله تعابير وجه المتكلم حين التلفظ بها، على أساس أنها وعد، أو وعيد، أو مجرد إخبار" (المتوكل ١٩٩٣: ٤٦).

وقد بين أن التفاعل بين القوالب لا يحصل دائمًا بطريقة يؤدي فيها القالب وظيفته المنوطة به كليًا، ثم تصبح معلوماته دخلًا لقالب آخر، كما تقدم افتراضات ديك، بل قد يتبع طريقة أخرى كأن يتوقف عمل القالب النحوي ذاته على معلومات متوافرة في القالب المنطقي، كما هو الشأن في المثال الآتي:

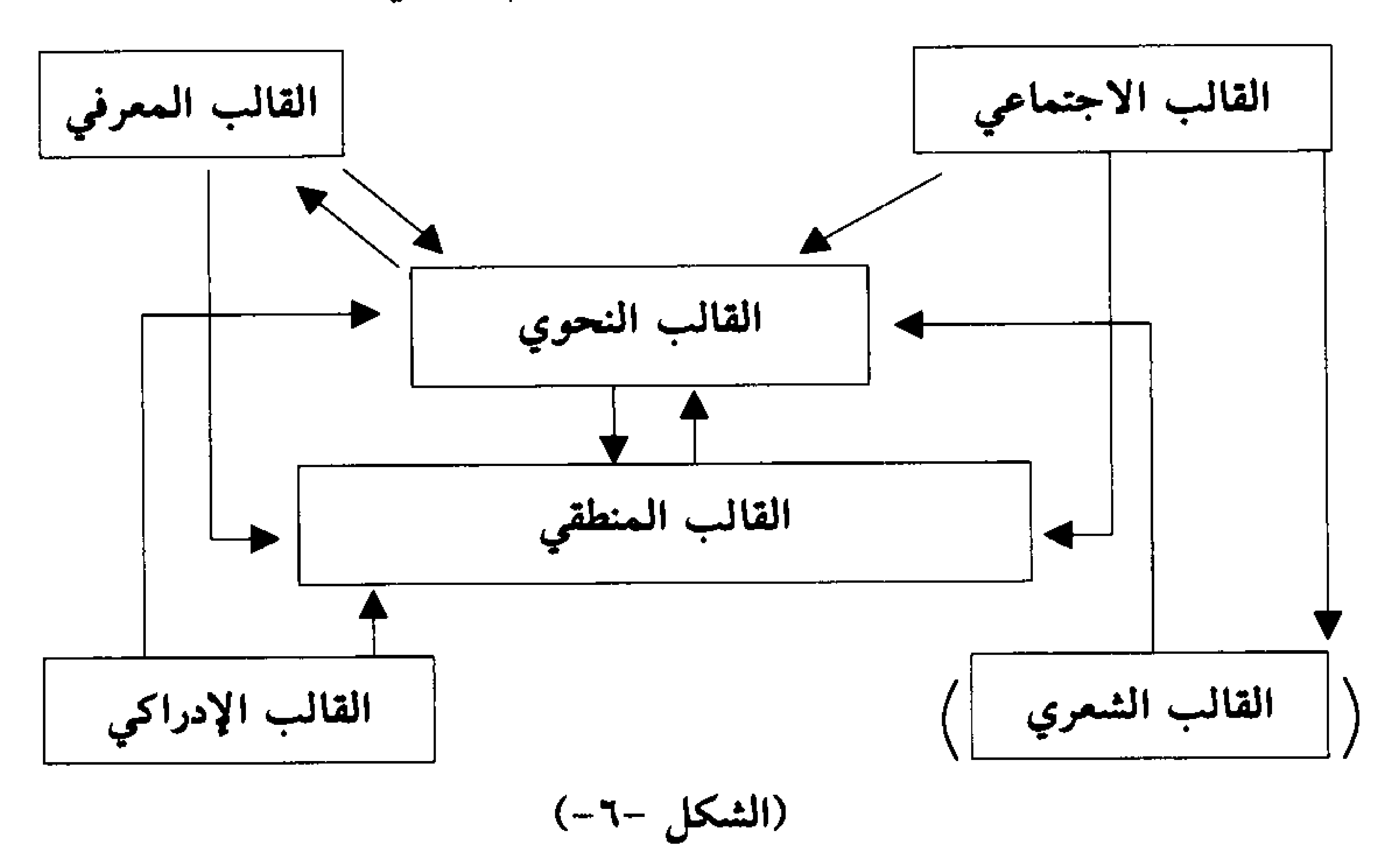
(٩١) - أوَ أخاك ضربت؟

يبين هذا المثال أن انتقاء وإدماج الأداة المناسبة "أو" بدل همزة الاستفهام أو هل، يأخذ بعين الاعتبار لا القوة الإنجازية الحرفية (السؤال) الممثل لها في القالب النحوي بل القوة الإنجازية المستلزمة أيضًا (الإنكار). ويعني ذلك أن القالب النحوي يستمد المعلومات الضرورية - في مثل هذه الحالة - من القالب المنطقي حيث يمثل للقوى الإنجازية المستلزمة، ثم يتابع عمله لبناء العبارة اللغوية بناءً سليمًا[١]. وعلى هذا المنوال يجري التفاعل بين القالب النحوي والقالب المنطقي لإنتاج بعض البنيات العطفية، وإدماج بعض اللواحق، وإسناد التبئير.

كما يجري التفاعل بين القالب النحوي والقالب الاجتماعي على المنوال ذاته لإنتاج البنيات المؤشر فيها نحويًا أو معجميًا للعلاقة الاجتماعية القائمة بين المتكلم والمخاطب. فإذا تعلق الأمر

(١) انظر التفاصيل في (المتوكل ١٩٩٣أ: ٤٠-٤٤).

بإدماج عنصر لغوي دال على وضع اجتماعي محدد. كما هو الشأن في اللغة الكورية التي تخصص اللاصقة (immi) للدلالة على أن المخاطب أعلى مرتبة من المتكلم في السلم الاجتماعي، فإن القالب النحوي- قبل أن يدمج عنصرًا من العناصر - ينبغي أن يتفاعل مع القالب الاجتماعي ليستمد منه المعلومات الضرورية التي تحدد العلاقة الاجتماعية القائمة بين المتكلم والمخاطب، ليتسنى له بعد ذلك انتقاء العنصر اللغوي الملائم إدماجه في بنية العبارة. وأوضح الدكتور في عمل آخر (المتوكل ١٩٩٥: ٣٢) "الأدوار التي تقوم بها قوالب نموذج مستعملي اللغات الطبيعية والعلائق القائمة بينها في حالات اشتغالها جميعها عن طريق الرسم التالي:



(الشكل -٦-)

حيث ميز بين قوالب آلات هي القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الشعري (في حال وروده)، وبين قوالب مخازن هي القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي. لذلك صورت القوالب المخازن - في الرسم أعلاه - على أساس أنها تمد القوالب الآلات بالمعلومات غير اللغوية التي تتوفر عليها، حيث يزود القالب المعرفي كلا من القالب النحوي والقالب المنطقي بالمعارف العامة، ويزودهما القالب الإدراكي بالمدركات الحسية، بينما يزودهما القالب الاجتماعي بالمواضعات الاجتماعية كما يفعل بالنسبة للقالب الشعري أيضًا.

وصُورت القوالب الآلات على أساس أنها تتفاعل فيما بينها مستفيدة من المعلومات التي تستمدها من القوالب المخازن. فيتفاعل القالب النحوي مع القالب المنطقي ومع القالب الشعري. كما ينفرد القالب النحوي بتفاعله مع القالب المعرفي. وبالنظر إلى أهمية الأدوار التي تقوم بها القوالب المفترضة، خلص الدكتور المتوكل إلى "النتائج التقريبية المؤقتة التالية:

(أ) - القوالب الآلات قوالب رئيسية، إذ إنها هي التي تقوم بمهمة الإنتاج والتأويل، في حين أن القوالب المخازن قوالب مساعدة إذ إنها تكتفي بإمداد القوالب الآلات بما تحتاجه من معلومات

حين يقتضي الأمر ذلك؛

(ب) - لا تتساوى القوالب المخازن من حيث ضرورة استخدامها. فلئن كان القالب المعرفي حاضرًا في جل أنواع الخطابات، فثمة أنماط خطابية يتسنى فيها الاستغناء عن القالب الاجتماعي أو عن القالب الإدراكي أو عنهما معًا؛

(ج) - وتقوم بين القوالب الآلات كذلك تراتبية تجعل من القالب النحوي القالب الأساس بالنسبة إلى القالب المنطقي (وإلى القالب الشعري إن صح ورود إضافته). وتكمن أساسية القالب النحوي في كونه القالب الوحيد الذي لا يمكن تصور الاستغناء عنه إذا كان التواصل لغويًّا من جهة، وفي كونه يستطيع أن يفي ببَعض أنماط العبارات اللغوية دون اللجوء إلى قالب آخر من جهة ثانية. ويحصل ذلك حين يتعلق الأمر بالعبارات التي لا يقتضي إنتاجها أو تأويلها معلومات أخرى غير المعلومات اللغوية...

(د) - إذا استثنينا القالب النحوي الذي يفرض حضوره في إنتاج وتأويل جميع العبارات اللغوية، تظل أهمية القوالب رهينة، في الواقع، بأمرين:

١- نمط الخطاب الذي تنتمي إليه العبارة بحيث تختلف أدوار القوالب باختلاف الأنماط الخطابية فلا يقوم القالب المنطقي، مثلًا، في تأويل خطاب مبني على الاستلزمات الحوارية بنفس الدور الذي يقوم به في تأويل خطاب ذي دلالات حرفية صريحة.

٢- والوضع التخابري القائم بين المتخاطبين، حيث يحصل، في مقامات "الألفة"، أن يتقلص دور القالب النحوي فتعتمد - في الإنتاج والتأويل - المعلومات غير اللغوية المتوافرة في القوالب الأخرى التي تكتسب، بذلك أهمية ليست في مقامات أخرى" (المتوكل ١٩٩٥:٣١).

وقد فسح لنا غنى هذه الاقتراحات والنتائج المترتبة عنها إبداء الملاحظات الآتية:

تم تقسيم قوالب النموذج إلى: قوالب آلات وقوالب مخازن. وعُدَّ القالب النحوي من القوالب الآلات. إذا علمنا أن هذا القالب (القالب النحوي) يستمد مادته الأولية من المعجم فإما:

أ - أن يعد المعجم - بحكم طبيعته ووظيفته - مكونًا من مكونات القاعدة المعرفية؛ إذ هو مخزون من المفردات ممثلة بطريقة نسقية، ومنزوع عنها المعلومات السياقية؛

ب - وإما أن يعد المعجم جزءًا من القالب النحوي ذاته.

في الحالة الأولى يصعب تصور قيام العبارة اللغوية بواسطة القالب النحوي بمفرده؛ إذ - بحكم كونه قالبًا آلة - لا يتضمن إلّا المبادئ والقواعد المسؤولة عن التوليد والتحليل، وهو في

حاجة إلى القالب المعرفي الذي يتضمن المادة (المعلومات) التي تعد مجال عمله.

وفي الحالة الثانية يجب أن يوصف القالب النحوي بأنه قالب آلة وقالب مخزن في الوقت ذاته؛ لأنه يتضمن القواعد والمبادئ المسؤولة عن توليد العبارات اللغوية وتحليلها، كما يتضمن مخزنًا من المعلومات في المعجم.

وعليه، فإن الإبقاء على التميز بين القوالب الآلات وبين القوالب المخازن يقتضي تبني الحالة الأولى؛ حيث ينتمي إلى القالب المعرفي، والقول بضرورة تفاعل قالبين اثنين على الأقل لقيام العبارة اللغوية: قالب آلة هو القالب النحوي وقالب مخزن هو القالب المعرفي.

ولعله إلى ذلك يشير الدكتور المتوكل بالقول: "من الصعب وجود خطاب يستغنى فيه استغناء كليًا عن مخزونات القالب المعرفي" (المتوكل ١٩٩٥: ٣١).

وينجم عن ذلك عدم اعتبار القوالب الآلات أهم من القوالب المخازن، خاصة منها القالب المعرفي كما تبين.

إلّا أنه تظل للقالب النحوي أهمية لا ترقى إليها باقي القوالب الآلات إذ ينفرد القالب النحوي بقدرته على صياغة ما ينتجه أو يؤوله في صورة عبارات لغوية، بينما يقتصر دور القالب المنطقي على استخلاص معارف جديدة من معارف قديمة. وهو في حاجة إلى القالب النحوي لصياغة ما استخلصه صياغة لغوية. وكذلك الشأن بالنسبة للقالب الشعري؛ إذ على الرغم من أنه يتضمن القواعد والمبادئ التي تحكم بناء صور ذهنية ممكنة أو متخيلة، فإنه ليس بمقدوره أن ينقل إلى عبارات لغوية مناسبة الصور الذهنية التي قام ببنائها.

كما تظل للقالب المعرفي أهمية لا ترقى إليها باقي القوالب المخازن فهو ذاكرة مستعمل اللغة الطبيعية؛ حيث تتجمع المعلومات على اختلاف أنماطها، وهو قاعدة عمل كل القوالب الآلات: القالب النحوي والقالب المنطقي والقالب الشعري.

٣- افتراضات أخرى:

في معرض معالجة ظاهرة الاستفهام في العربية المصرية الحديثة، اجتهدت الدكتورة الكتاني (١٩٩٣: ١٦٦) في بيان كيفية تفاعل القوالب المفترضة، سواء أثناء إنتاج العبارات اللغوية أم أثناء تأويلها، على أساس عدد من الافتراضات يمكن إجمال أهمها كالآتي:

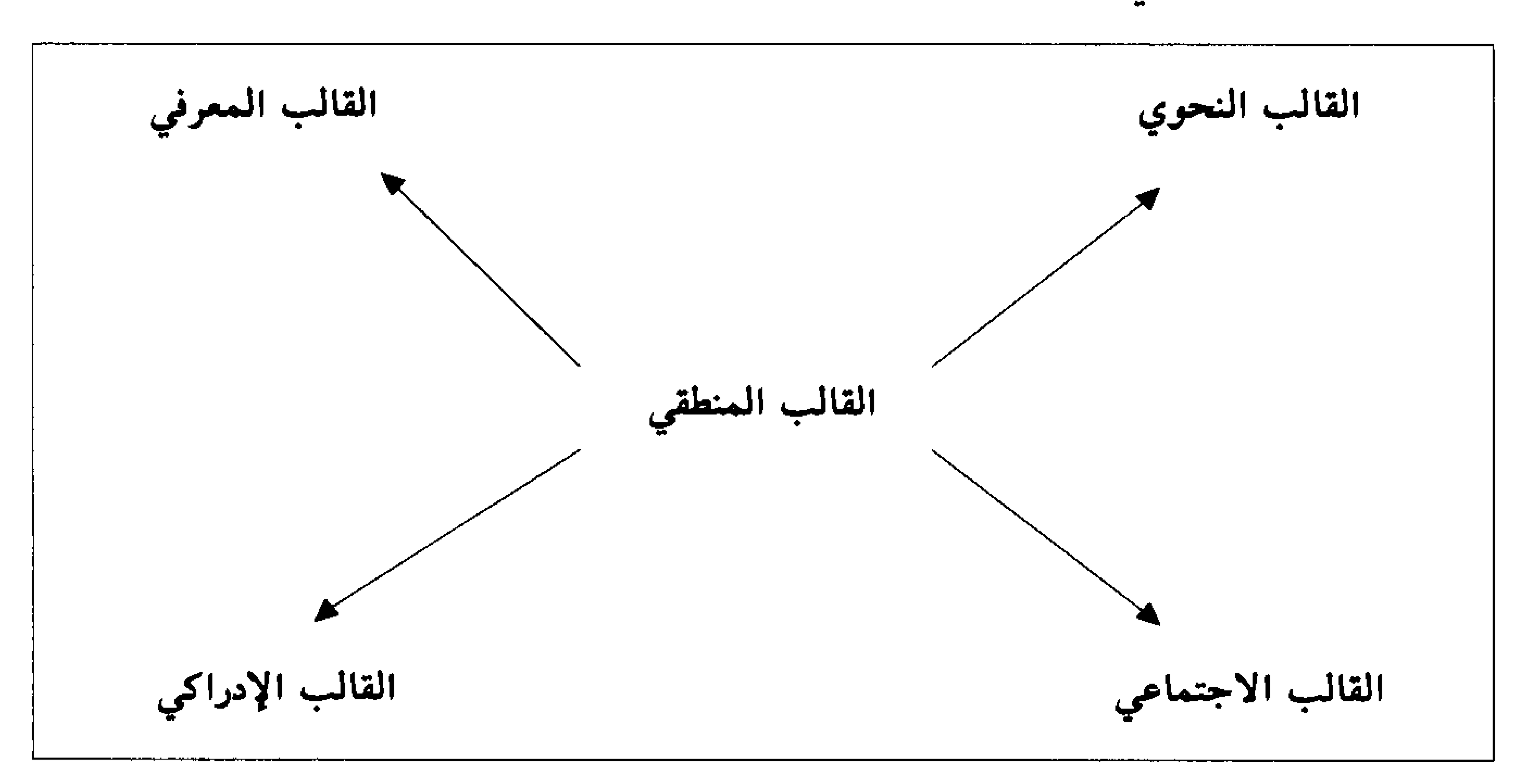
أ - لا يكون تدخل القالب المنطقي واردًا إلّا إذا كانت المعلومات التي يوفرها القالب النحوي غير كافية لإقامة تأويل كامل وسليم للعبارة اللغوية،

ب - يشتغل القالب المعرفي باستمرار، ولكن بدرجات متفاوتة بحسب طبيعة العبارة اللغوية

وسياقها،

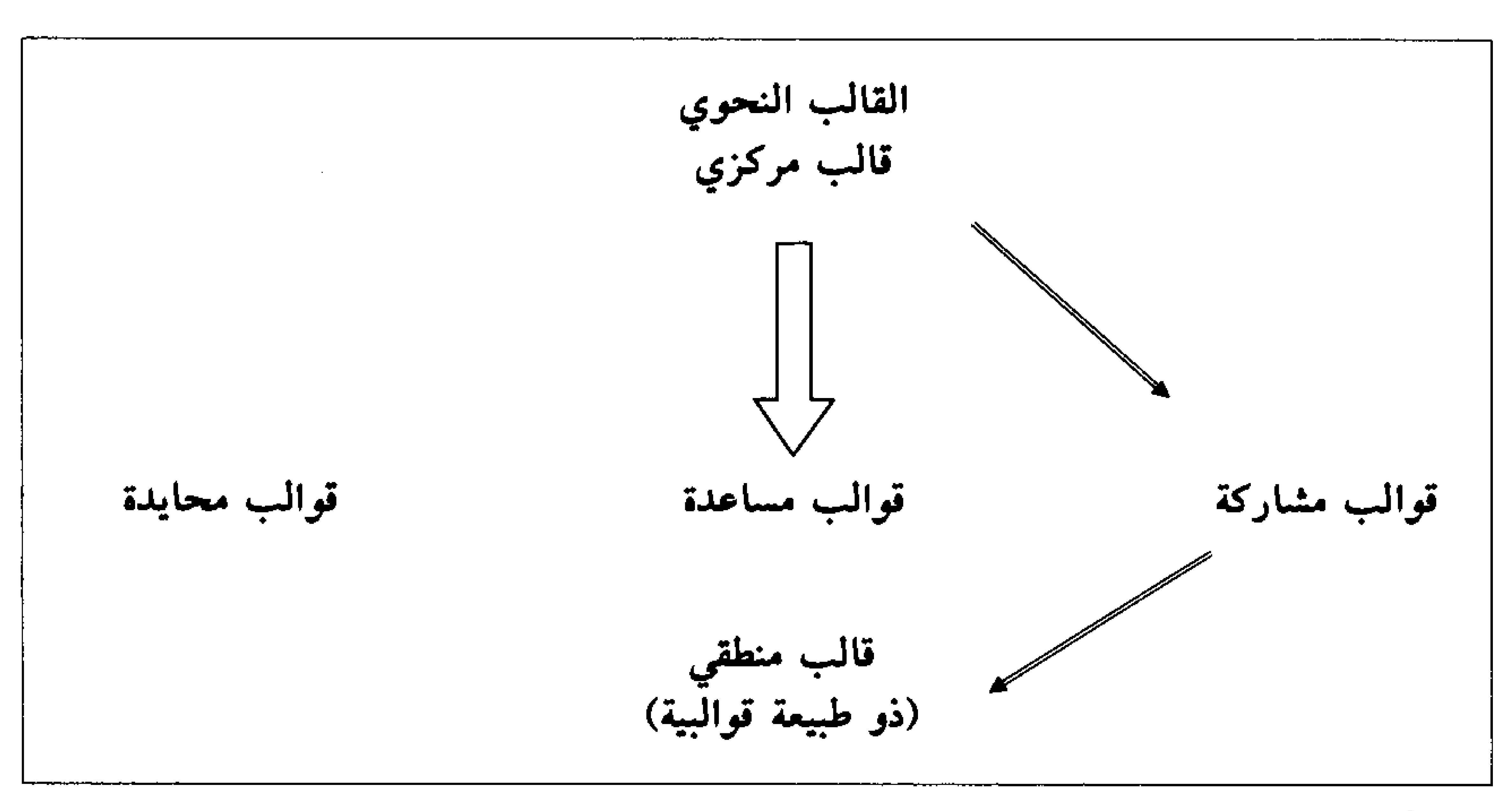
ج - توسم أهمية قالب من القوالب بالنسبية، وذلك بالنظر إلى تنوع سياقات إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها،

د - يقوم كل من القالب الاجتماعي والقالب الإدراكي بتزويد القالبين النحوي والمعرفي بالمعلومات التي يتوفران عليها وفق الصورة التقريبية الآتية:



(الشكل -٧-)

هـ - يجب إقامة تمييز بين القالب النحوي باعتباره قالبًا مركزيًا، وبين باقي القوالب التي تكون مشاركة أو مساعدة أو محايدة، وبين القالب المنطقي باعتباره ذا طبيعة قوالبية (Trans-modulaire)، كما يبينه الرسم الآتي:



يقرأ السهم: يزود.

(الشكل -٨-)

يعد القالب النحوي قالبًا مركزيًا لأنه المسؤول عن صياغة المعلومات صياغة لغوية. ويعد القالب المنطقي ذا طبيعة توالبية لأنه يلجأ إلى استمداد المعلومات الضرورية لتحديد القوة الإنجازية المستلزمة من جميع القوالب حسب ما يمليه سياق كل عبارة لغوية. ويعد قالبًا مشاركًا كل قالب (القالب الاجتماعي والقالب الإدراكي والقالب المعرفي) يكون تدخله ضروريًا لتأويل العبارة تأويلًا كافيًا. ويعد قالبًا مساعدًا كل قالب من القوالب الثلاثة يقتصر دوره على تزويد القالب المنطقي بمعلومات تساعده على تحديد القوة الإنجازية. بينما يُعَدُّ قالبًا محايدًا القالب الذي يُستغنى عنه في إنتاج أو تأويل عبارة لغوية ما. ويوضح المثال الآتي كيفية تفاعل القوالب المختلفة فيما بينها.

(٩٢) - مركب، يابيه، للفسحة بالنيل؟

يستمد القالب النحوي من القالب المعرفي المعلومة العامة التي مفادها أن على كل سائح يزور مصر أن يتجول في النيل. ثم يمثل لهذه المعلومة الإنجازية الحرفية السؤال.

وبفضل القالب الإدراكي يعلم أن المتكلم صاحب مركب يعرض على السائحين التجوال في النيل بواسطة مركبه. وتعين هذه المعلومات في الوقت ذاته وضعه الاجتماعي (وظيفته التي تحددها هيئته. . . .). لذلك يصبح دور القالب الاجتماعي محدودًا أو محايدًا. ثم يتدخل القالب المنطقي ليستخلص أن القوة الإنجازية هي "العرض" لا "السؤال".

وإذا كانت المعطيات اللغوية تدعم الافتراضات (أ) و(ب) و (ج) الواردة أعلاه، فإن الدكتورة الباحثة الكتاني لم تلتزم بتجسيد مضمون الافتراض (ب) في تحليلها لبعض العبارات اللغوية. ذلك لأن القول إن القالب المعرفي يشتغل باستمرار يستلزم بالضرورة بيان دوره في إنتاج أو تأويل أي عبارة من العبارات اللغوية، بخلاف ما نلاحظه - مثلًا - في تحليلها الجملة الآتية:

(٩٣) - كده تدخل من غير ما تصبح؟

حيث حُدد دور القالب النحوي في صياغة البنية التحتية للجملة، وحدد دور القالب الاجتماعي في تزويد القالب المنطقي بالمعلومات الضرورية عن طبيعة العلاقة الاجتماعية بين طبقة المتكلم وبين المخاطب (علاقة صداقة)، وعن المواضعات الاجتماعية التي يتوجب العمل بها في مقام تواصلي كمقامهما (البدء عند الدخول بالتحية). وحُدد دور القالب المنطقي في استخلاص القوة الإنجازية "الاقتراح" عبر الخطوات الآتية:

(٩٤) - كده تدخل من غير ما تصبح؟

(٩٥) - عيب تدخل من غير ما تصبح؟

(٩٦) - لما تدخل صبح.

والملاحظ أنه لم يُسند أي دور للقالب المعرفي في إنتاج الجملة وتأويلها. ويناقض ذلك

مضمون الافتراض (ب). بالإضافة إلى ذلك، ينجم عن الافتراض (ب) اعتبار القالب المعرفي قالبًا مركزيًا إلى جانب القالب النحوي. فوروده ضروري في جميع الحالات، لأن كل ما نعبر عنه لغويًا مرتبط - إلى حد - بالمعرفة التي لدينا عن العالم الخارجي، وهي ممثلة في القالب المعرفي. وبناءً عليه، يجب أن يعاد النظر في مضمون الافتراض (هـ) الذي يعد القالب المعرفي ضمن القوالب التي قد تكون مشاركة أو مساعدة أو محايدة.

أما فيما يتعلق بالافتراض (د)، فلم يقدم أي دليل يفيد أن القالبين الاجتماعي والإدراكي يمدان القالبين النحوي والمعرفي بالمعلومات عن طريق القالب المنطقي، كما لم يُكشَف عن المانع من حصول التفاعل بين تلك القوالب دون المرور عبر القالب المنطقي. لذلك سنتخلى عن هذا الافتراض لعدم قيامه على دليل.

٤- اقتراحات جديدة تكميلية:

استكمالًا للملاحظات النقدية التي قدمناها عن الأعمال السابقة، نقترح -فيما يلي- جملة من الافتراضات مدعومة بتحليل عدة معطيات لغوية:

أ - افترضنا -قبل- وجود طاقة تخيلية تتفاعل مع باقي الطاقات لإنتاج وتأويل بعض البنيات اللغوية. على هذا الأساس، تتكون بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية من ستة قوالب، سادسها هو القالب التخيلي.

ب - بمجرد ما تتأكد النية في إقامة تواصل لغوي، تتحفز كل القوالب للإسهام في قيامه .

ج - يتدخل كل قالب لأداء وظيفته المنوطة به تلقائيًا إذا وجد المحفز، وعند انعدامه يظل في حالة انتظار .

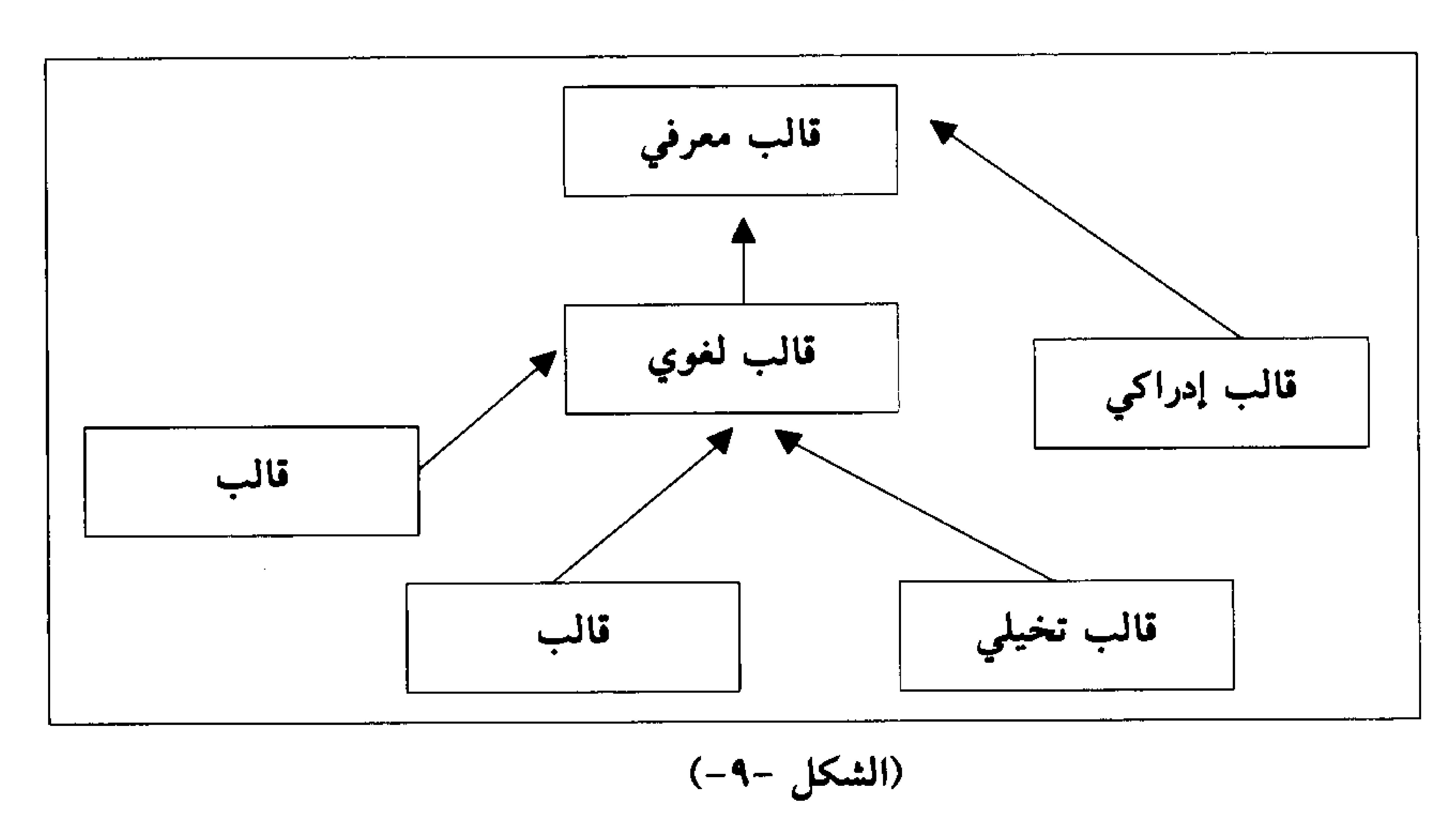
د - يلجأ كل قالب إلى التفاعل مع غيره من القوالب حسب ما يستدعيه إنتاج العبارات اللغوية الواردة في مقامات تواصلية محددة وتأويلها.

هـ - يخضع تفاعل القوالب فيما بينها إلى آليات الضبط الذاتي، حيث لا تحتاج القوالب إلى إواليات إضافية تحدد العلاقة بينها؛ بل يمكن القول إنها مبرمجة ذاتيًا للقيام بذلك.

و - إذا صح أن نميز بين القوالب من حيث وظائفها، أمكن أن نميز بين قالب وظيفته التخزين، وقالب وظيفته التأويل، وقالب وظيفته الإمداد، وقالب وظيفته التصوير.

يقوم القالب المعرفي بوظيفته تخزين المعلومات التي يستقبلها من القوالب الأخرى إما مباشرة كما هو شأن القالب المنطقي أو عن طريق القالب النحوي. ذلك أن العبارات اللغوية تتضمن أنماطًا متنوعة من المعلومات تساهم في إنتاجها كل القوالب، إلّا أن القالب النحوي ينفرد ببناء تلك العبارات وتحليلها مستفيدًا مما تجمع لديه من معلومات تمده بها القوالب الأخرى .

وعليه، نفترض أن القالب النحوي هو القناة الطبيعية لتخزين المعلومات في القالب المعرفي[1]، وأن كل القوالب - باستثناء القالب الإدراكي - تزود القالب المعرفي بالمعلومات عن طريق القالب النحوي. ويُفَسَّر استثناء القالب الإدراكي بكونه يتضمن معلومات إدراكية لا يُمَثَّل لها - حسب ديك (ديك ١٩٨٦ج) - في صورة بنيات تحتية كما هو شأن المعلومات التصورية، وإنما تأخذ شكل صور ذهنية. ينجم عن هذا أن القالب المعرفي يخزن لا المعلومات التصورية فقط، وإنما المعلومات الإدراكية أيضًا. إلّا أن المعلومات التصورية يتم تخزينها عن طريق القالب النحوي، في حين يتم تخزين المعلومات الإدراكية مباشرة في القالب المعرفي. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كالآتي:



(الشكل -٩-)

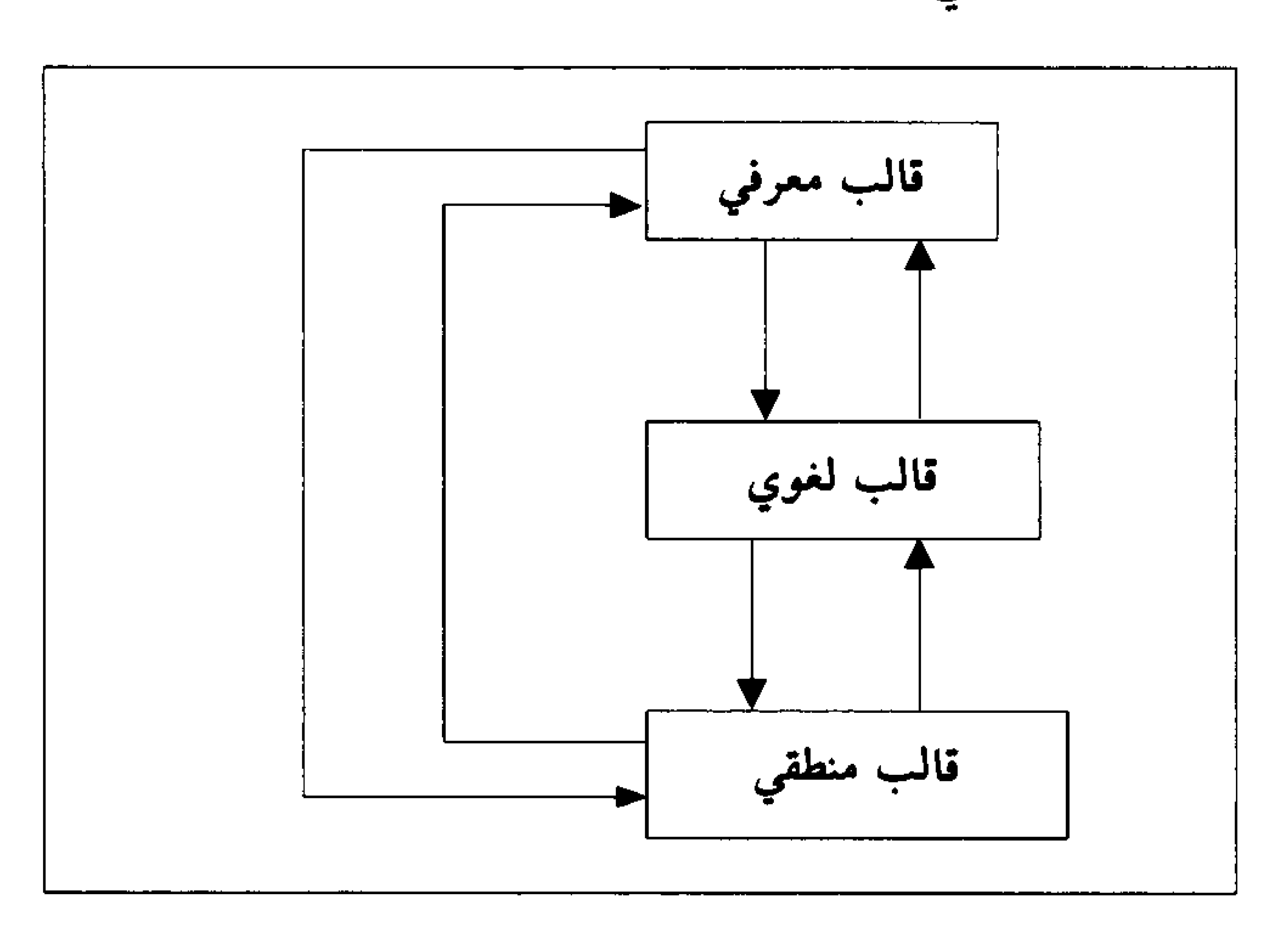
يقوم القالب النحوي بوظيفة التأويل: تأويل العبارات اللغوية دلاليًا وتداوليًا مستثمرًا كل المعلومات الضرورية المتوافرة في القوالب الأخرى.

كما يقوم القالب المنطقي أيضًا بوظيفة التأويل: تأويل العبارات منطقيًا، إذ من المعلوم (ديك ١٩٨٨ي) أن للقالب المنطقي مكونًا تركيبيًا يحدد العبارات السليمة التكوين، ومكونًا دلاليًا يؤول هذه العبارات بواسطة قواعد تأويل أو قواعد استدلال.

وبحكم قيام القالبين النحوي والمنطقي بوظيفة التأويل، فإن التفاعل بينهما قوي، حيث يشكل خرج القالب النحوي دخل القالب المنطقي، ويشكل خرج القالب المنطقي دخل القالب النحوي كما ستوضحه الأمثلة لاحقًا. وكلاهما يُزَوَّد مباشرة بالمعلومات التي يحتاج إليها من القالب

(١) تجدر الإشارة إلى أن العبارات اللغوية تُنزع عنها كل المعطيات السياقية حين يتم تخزينها في القالب المعرفي، من قبيل المعلومات المتعلقة بالنبر والتنغيم والتبئير.

المعرفي: القالب النحوي يستمد منه المعلومات المعرفية التي تعد ضرورية لبناء عبارة لغوية ما أو تأويلها. والقالب المنطقي يستمد منه المعلومات المعرفية وكذا المعلومات الإدراكية المخزونة لديه. إذ من المعلوم أن قواعد التأويل، التي تعد جزءًا من المكون الدلالي - المنطقي، تحتاج إلى أنطلوجيا لإجراء عملية التأويل، ومن المعلوم أيضًا (ديك ١٩٨٨ي) أن هذه الأنطولوجيا تتكون من صور ذهنية تتألف من تمثيلات تصورية وأخرى إدراكية، وأن هذه التمثيلات - التصورية منها والإدراكية - مخزونة في القالب المعرفي. علاوة على ذلك، يقوم القالب المنطقي بتخزين استدلالاته في القالب المعرفي. إذ من المعلوم - كما تقدم - أنه يضطلع بدور مهم في إغناء القاعدة المعرفية عن طريق استخلاص معلومات جديدة من معلومات معطاة. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كما يلي:



(الشكل -١٠-)

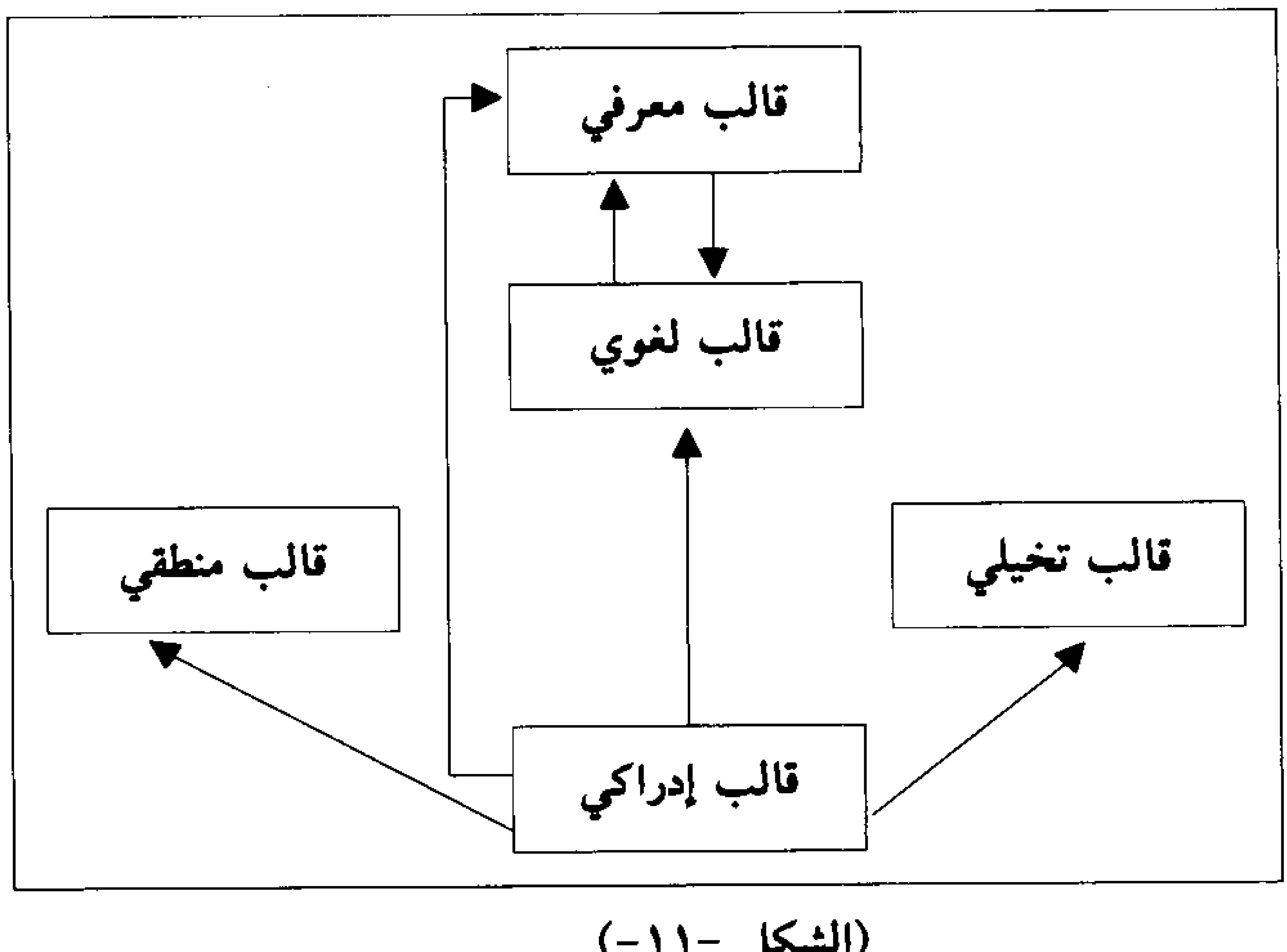
يقوم القالب الإدراكي بوظيفة الإمداد[1]: إمداد القالب المعرفي بالمعلومات الإدراكية قصد تخزينها، وإمداد القالب النحوي بالمعلومات التي تساعده على تأويل العبارة اللغوية، وإمداد القالب التخيلي بالمعلومات الإدراكية التي تشكل مادة عمله الأولى[2]، وإمداد القالب المنطقي -

(١) يمكن أن تعد كل القوالب قوالب إمداد، إلّا أن الذي نقصده بالإمداد حينما يسند إلى قالب معين هو ألا يقوم هذا القالب بوظيفة أخرى غير الإمداد، كالتخزين أو التأويل أو التصوير.

(٢) يقول الدكتور جابر عصفور في ثنايا الفصل الذي عقده للحديث عن طبيعة الخيال وعلاقته بالصورة: «إن الحس منشأ التخيل، وحيث لا يوجد حس لا يوجد تخيل. ولذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يتخيل أمرا من الأمور أو شيئا من الأشياء لم يؤد إليه الحس بنحو من الأنحاء.

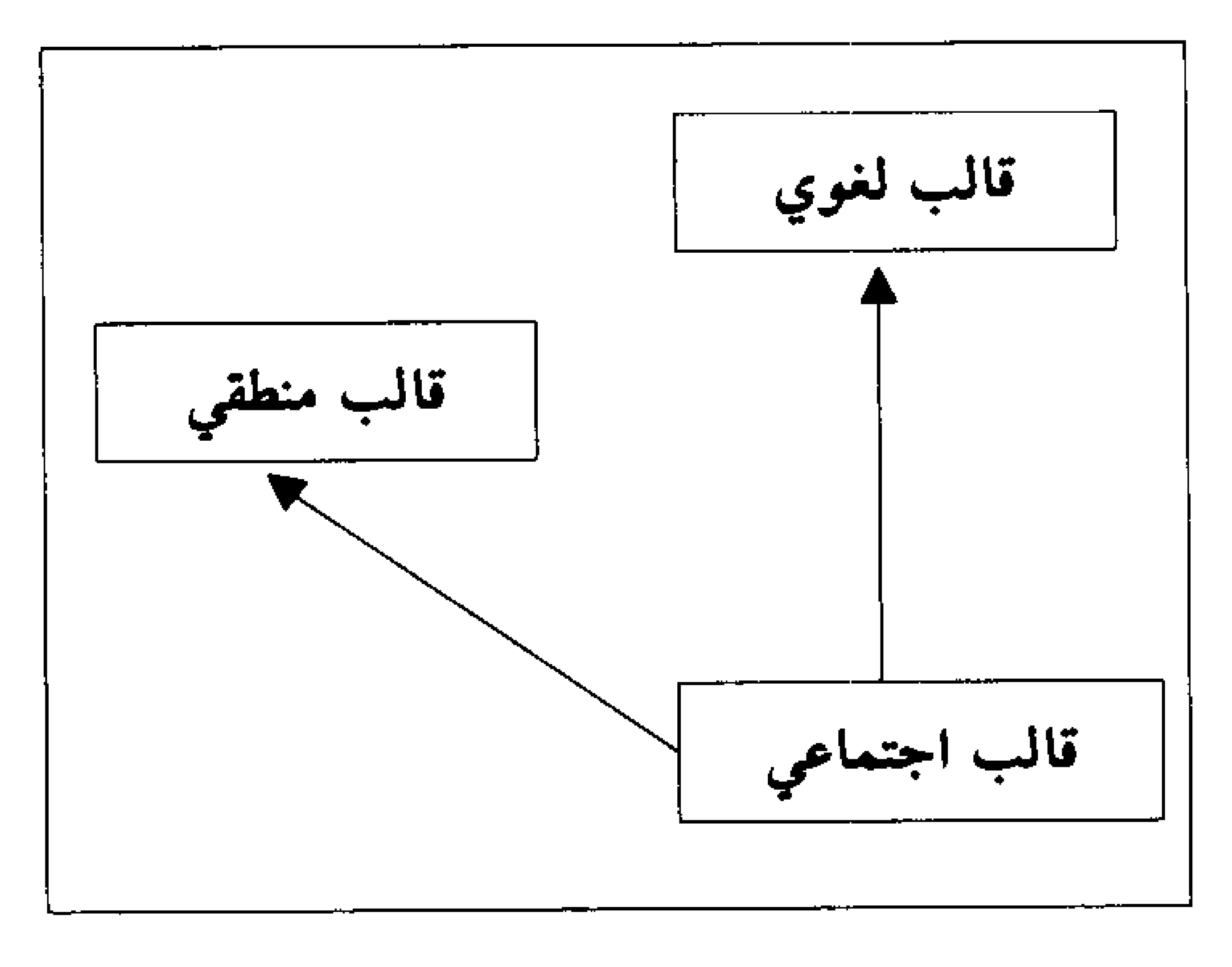
«. . . . قد يشكل التخيل عالما لا حقيقة له ، وقد يصل إلى عالم متسام بعيد كل البعد عن المادة ، ولكن ذلك العالم - في النهاية - لا يمكن صياغته أو تشكيله أو التعبير عنه إلّا من خلال جزئيات وعناصر أدركها الحس=

أحيانًا - بالمعلومات التي تساعده على إجراء عملية التأويل. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كالآتي:



(الشكل -١١-)

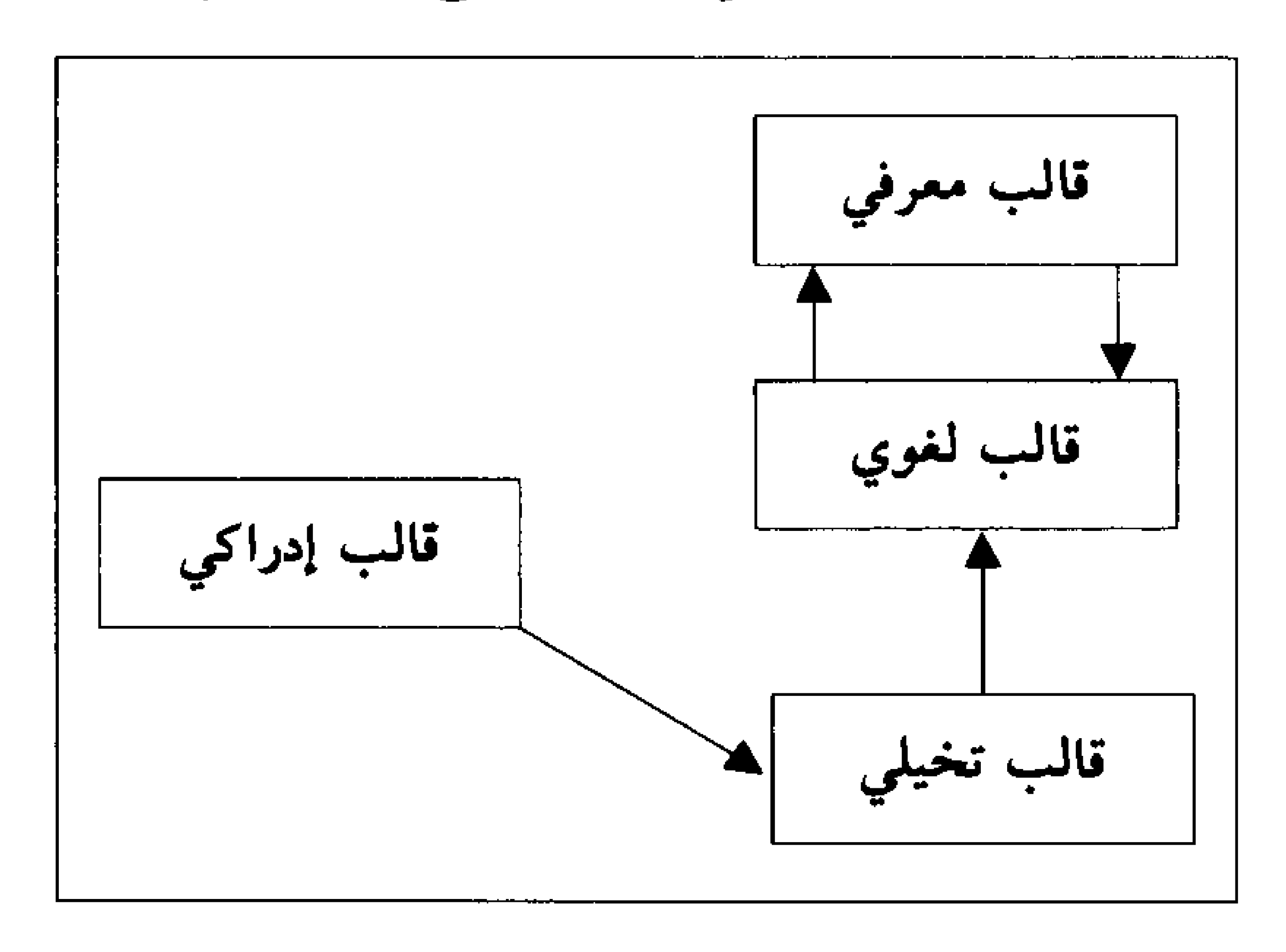
وأما القالب الاجتماعي فيقوم بوظيفة الإمداد أيضًا، حيث يزود القالب المنطقي أحيانًا بالمعلومات التي تعين وضع المتخاطبين الاجتماعي، واستنادًا إلى هذه المعلومات يجري القالب المنطقي استدلالاته وتأويلاته. كما يزود القالب النحوي بالمعلومات ذاتها ليجري -بناءً عليها - تأويله الدلالي والتداولي. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كما يلي:



(الشكل -١٢-)

=من قبل» (عصفور ١٩٨٣: ٣٧ و٤٠). وفي نفس الموضوع، يؤكد دانسي (١٩٩٠) قيام العلاقة بين أنساق الإدراك الحسي وبين التفكير التجريدي والنشاط التخيلي، وذلك استنادا إلى معطيات لغوية ونفسية وأنثروبلوجية. للمزيد من التفصيل انظر (دانسي ١٩٩٠).

ويقوم القالب التخيلي بوظيفة التصوير: تصوير وقائع ممكنة أو مُتخيَّلة بواسطة مجموعة من المبادئ والقواعد مستعينًا في ذلك بالمعلومات التي يزوده بها القالب الإدراكي، ثم يزود القالب النحوي بمعلوماته التصويرية. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كالآتي:



(الشكل -١٣-)

ي - نميز بين نمطين من العلاقات بين القوالب: علاقات دائمة وعلاقات عَرَضِية.

يتجلى النمط الأول من العلاقات في:

١- تَوَقُّف عمل القالب النحوي دومًا على القالب المعرفي،

٢- وتوقف عمل القالب المنطقي دومًا على القالب المعرفي من جهة، وعلى القالب النحوي من جهة أخرى،

٣- وتوقف عمل القالب التخيلي دومًا على القالب الإدراكي.

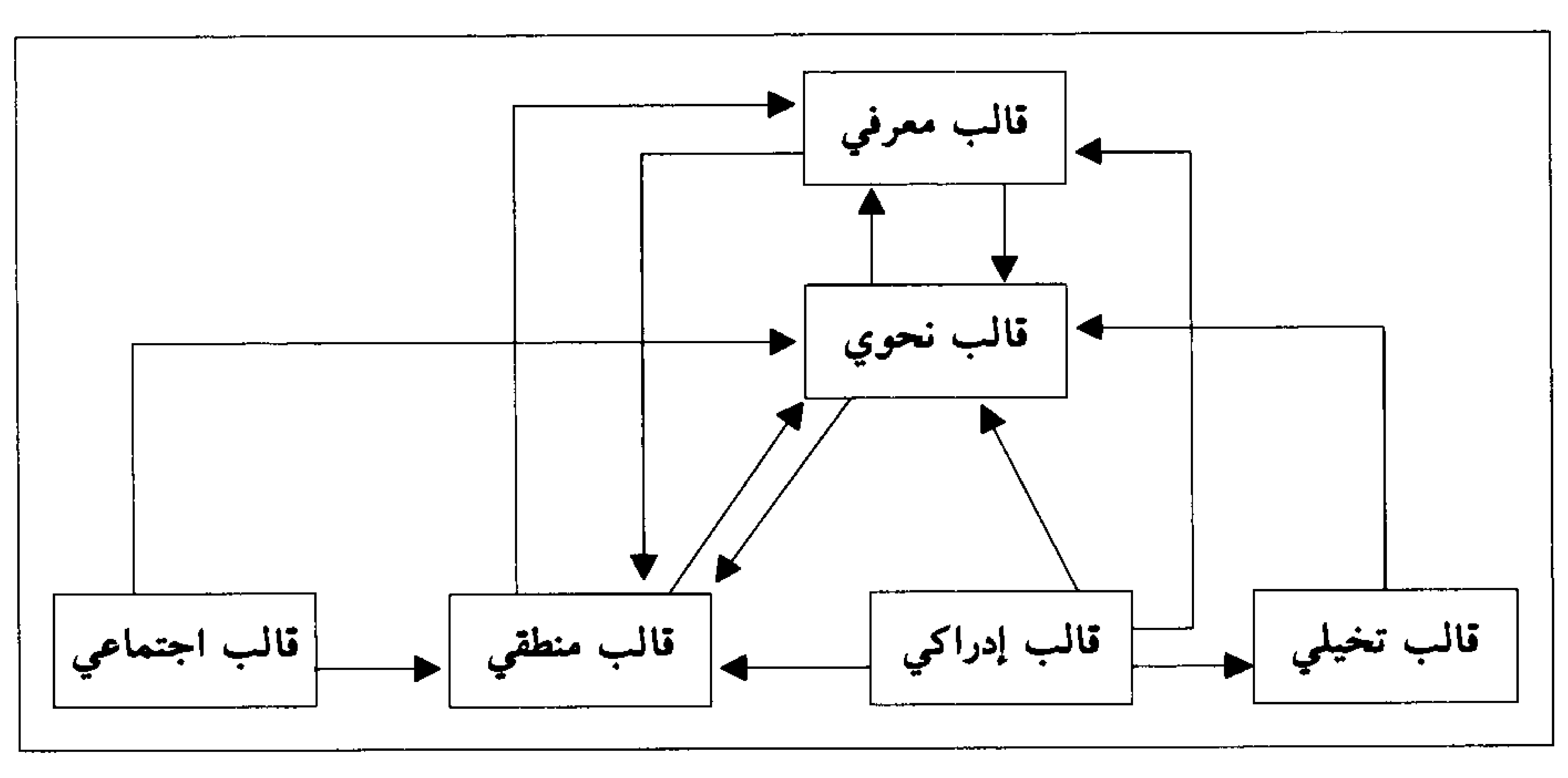
ويتجلى النمط الثاني في العلاقات الأخرى الممكن قيامها بين القوالب بحسب ما تستدعيه العبارات اللغوية ومقاماتها التواصلية.

ومن الدلائل التي يمكن عرضها لصالح هذا الافتراض التمييز الذي أقامه ديك (ديك ١٩٨٦ج) بين معرفة واسعة يتم تخزينها في القالب المعرفي بصورة سابقة عن إقامة أي تواصل لغوي، وبين معرفة ضيقة يتم استخلاصها من المقام لحظة إقامة التواصل اللغوي. وإحدى دلالات هذا التمييز أن المعرفة الواسعة تشكل قاعدة أولية وأساسية لأي تواصل لغوي، وأن أدنى ما يتطلبه تفاعل كلامي - تبعًا لذلك - قالبان اثنان: قالب معرفي وقالب نحوي، ينضاف إلى ذلك أن القالب المعرفي عبارة عن ذاكرة هي محل تخزين كل المعلومات التي يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من تحصيلها. ومن الصعب أن نتصور قيام تواصل لغوي في غياب هذه المعلومات. ينجم عن ذلك عدم إمكان إشراف القالب النحوي بمفرده على إنتاج عبارات لغوية أو تأويلها.

ومن الدلائل أيضًا أن وظيفة التصوير التي يقوم بها القالب التخيلي تستدعي أن يكون مزودًا بالمادة اللازمة التي يمارس بها عملية التأليف بين الصور. وبالنظر إلى ارتباط النشاط التخيلي عامة بالحس، فإن القالب الإدراكي هو المؤهل لتزويد القالب التخيلي بمادة عمله.

أما علاقة القالب المنطقي الضرورية بالقالبين النحوي والمعرفي فقائمة أساسًا على استحالة إجرائه عملية التأويل دون التزود بالمعلومات الواردة في القالبين السابقين، كما تقدم بيان ذلك.

على أساس كل ما تقدم، نفترض أن بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية مصوغة كالآتي:



(الشكل -١٤-)

وسنبين في الفقرة الموالية كيفية تفاعل القوالب فيما بينها استنادًا إلى المعطيات اللغوية.

٥- أنماط التفاعل بين القوالب[(١)]:

نعرض في هذه الفقرة تحليل عدة معطيات لغوية متوخين - من جهة - تقديم دعم تجريبي لكل افتراض من الافتراضات السابقة، ومن جهة أخرى بيان كل أنماط التفاعل الممكن قيامها بين القوالب.

٥-١- تفاعل القالب المعرفي مع القالب النحوي:

لنتأمل المثال الآتي:

(٩٧) أ - هل انتهيت من صياغة مقالك؟

(١) لم نلتزم في تحليل هذه المعطيات اللغوية الانطلاق من زاوية الإنتاج (التوليد) أو التأويل (التحليل). بل راعينا أساسا بيان كيفية تفاعل القوالب أيا كانت الزاوية المنطلق منها.

ب - انتهيت من صياغته منذ قليل.

يتبين من (أ) أن المتكلم يسأل مخاطبه عما إن كان قد انتهى من صياغة مقاله. ونفْترض أن إنتاج هذه الجملة أو تأويلها يتطلب تفاعل قالبين اثنين: هما القالب المعرفي والقالب النحوي.

يتضمن القالب المعرفي معلومات من مثل العلم بأن المخاطب باحث علمي، وأنه منهمك في كتابة مقال منذ أمد، وأنه على وشك الانتهاء منه...

تشكل أمثال هذه المعلومة المخزونة في القالب المعرفي دخلًا للقالب النحوي.

يقوم القالب النحوي بنقل البنية التحتية المستمدة من القالب المعرفي إلى بنية سطحية محققة في حال إنتاج (٩٧أ)، ويقوم بنقل البنية السطحية إلى بنية تحتية في حال تأويلها.

٥-٢- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب المنطقي:

لنتأمل المثال الآتي:

(٩٨) أ - أما يزال خالد عازبًا؟

ب - إن ابنه قد أتم عامه الأول.

يتبين من (ب) أن المخاطب فهم من (أ) أن المطلوب منه أن يفيد السائل بمعلومات تتعلق بوضع خالد العائلي. كما يتبين أن المخاطب يملك هذه المعلومات وأنه اختار تقديمها في صورة (٩٨ب)، ونفْترض أن فهم هذه العبارة يستدعي - بالإضافة إلى القالبين المعرفي والنحوي - تدخل القالب المنطقي الذي يمكن السائل من استخلاص المعلومات التي يطلبها كما يلي:

- إن لخالد ابنًا.
- لا يمكن أن يكون لخالد ابنًا إلّا إذا تزوج.
- إذن خالد متزوج.
- يبلغ ابن خالد عامًا كاملًا.
- تبلغ مدة الحمل العادية تسعة أشهر.
- إذن خالد متزوج منذ السنتين على الأقل.

ويتمثل عمل القالب في تزويد السائل (المؤول) بمعلومات عامة من قبيل أن الزواج مؤسسة اجتماعية طرفاها رجل وامرأة، وأنها تمكن من المحافظة على النوع البشري عن طريق الإنجاب...

ويتمثل القالب النحوي في نقل بنية العبارة السطحية إلى بنيتها التحتية عن طريق مجموعة من القواعد حتى يتمكن المؤول من تأويلها دلاليًّا وتداوليًّا.

٥-٣- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب الإدراكي:

لنتأمل المثال الآتي:

(٩٩) أ- إلى أين سيتجه هذا القطار؟

ب - سيتجه هذا القطار إلى مراكش.

يتبين من (أ) أن المتكلم يسأل مخاطبه عن الجهة التي سيتجه نحوها القطار، مستعينًا في تحديد القطار بحركة يده. كما يتبن من (ب) أن المخاطب قدم للسائل المعلومة المطلوبة مستعينًا هو الآخر بحركة يده في تحديد القطار المتحدث عنه.

إذا كان القالب المعرفي يتضمن المعلومات العامة التي تفيد في هذا المثال أن القطار يشكل وسيلة من وسائل النقل، وأن كل قطار يتجه إلى جهة محددة، وأن العاملين بالمحطة بإمكانهم إفادة المسافرين بمعلومات تهمهم . . . .وإذا كان القالب النحوي يستفيد من هذه المعلومات في صياغة (أ) و(ب)، فإن القالب الإدراكي يتضمن المعلومات المدركة عبر وسائل الإدراك، ويساعد على تأويلها التأويل السليم، كتأويل "هذا" بمساعدة اليد للدلالة على قطار محدد.

٥-٤- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب الاجتماعي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٠) أ- كم يسعدنا لقاؤك، فهلا تفضلت بزيارتنا.

ب - يسرني ذلك كثيرًا.

يتبين من (أ) أن المتكلم يوجه دعوة لمخاطب محترم بأن يزوره، وأنه اختار لتوجيه دعوته تلك أسلوبًا مؤدبًا يليق بوضع المخاطب الاجتماعي. ونفْتَرض أن ذلك يستدعي تفاعل ثلاثة قوالب كالآتي:

يستمد القالب النحوي من القالب المعرفي المعلومات العامة المتعلقة بأساليب تقوية العلاقات بين الناس، كما يستمد من القالب الاجتماعي المعلومات التي تحدد وضع المخاطب الاجتماعي، بعد ذلك يقوم القالب النحوي بصياغة تلك المعلومات في صورة عبارة لغوية مناسبة للغرض التواصلي المرام تحقيقه.

٥-٥- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب التخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠١) أ - لو أنك واجهت المشكل ذاته، كيف كنت ستفعل؟

ب - كنت سأقدم الرجل للعدالة.

يتبين من (أ) أن المتكلم يدعو مخاطبه إلى أن يبني عالمًا ذهنيًا ممكنًا، وأن يتصور نفسه في هذا العالم الذهني الممكن أنه واجه المشكل ذاته المعلوم بينهما، ويطلب إليه أن يحدد الطريقة التي يلجأ إليها للخلاص من المشكل.

كما يتبين من (ب) أن المخاطب قام فعلًا ببناء عالم ذهني ممكن تصور نفسه فيه أنه واجه المشكل ذاته، وأنه اختار حلًا له تمثل في تقديم الرجل للعدالة.

وإذا كان من الواضح أن يلجأ القالب النحوي إلى القالب المعرفي ليستمد منه المعلومات العامة المتعلقة بمعرفة العالم الواقع وقوانينه من قبيل وجود مؤسسات قانونية تتكفل بالبت في عدة قضايا منازع بشأنها، فإن القالب النحوي يلجأ أيضًا إلى القالب التخيلي ليستمد منه المعلومات الضرورية لبناء عالم من العوالم الممكنة استنادًا إلى مبادئ وقواعد محددة.

وعليه، فإن إنتاج (١٠١ب) يتطلب تفاعل القالب المعرفي مع القالب النحوي، وتفاعل القالب النحوي مع القالب التخيلي.

٥-٦- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين المنطقي والاجتماعي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٢) أ - لست أدري ما إن كنت أستطيع أن أطلب إليك مساعدتي.

ب - يسرني أن أفعل.

يتبين من (أ) أن المتكلم يلتمس من مخاطبه أن يساعده، وأنه فضل أن يصوغ التماسه في صورة عبارة استفهامية.

كما يتبين من (ب) أن المخاطب فهم قصد المتكلم من عباراته، وأجابه - بناءً على هذا الفهم - بأنه مستعد لتلبية طلبه.

نفترض أن قوالب أربعة تفاعلت فيما بينها لإنتاج وتأويل (أ) و(ب)، كما يلي:

استمد القالب النحوي من القالب المعرفي المعلومات العامة من قبيل أن هناك إمكانات وافرة للتعاون بين الناس في العالم الواقع، وأن هناك طرقًا لتحديد هذا التعاون... بعد ذلك استمد القالب النحوي من القالب الاجتماعي المعلومات التي تحدد وضع المتخاطبين الاجتماعي (المخاطب في هذا المثال أعلى مرتبة في السلم الاجتماعي من المتكلم)، ثم نقل المعلومات التي توفرت لديه من القالبين المعرفي والاجتماعي إلى عبارة لغوية محققة في صورة (١٠٢أ)، وبفضل القالب المنطقي استطاع المخاطب أن يفهم أن المقصود بهذه العبارة هو (١٠٢ج):

(١٠٢) ج - أطلب إليك مساعدتي.

وذلك بواسطة مجموعة من القواعد الاستدلالية. وبناء على هذا الفهم، استمد القالب النحوي من القالب الاجتماعي كيفية إجابة السائل بطريقة تليق بوضعه الاجتماعي وتناسب إحساسه نحوه. كما استمد من القالب المعرفي المعلومات الضرورية العامة، ثم صاغ العبارة في صورة (١٠٢ب).

٥-٧- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين المنطقي والإدراكي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٣) أ - أيوجد المدير في مكتبه؟

ب - ها هي ذي سيارته.

يتبين من (أ) أن المتكلم يسأل مخاطبه عما إن كان المدير يوجد في مكتبه مفترضًا فيه أنه يملك المعلومة المطلوبة. كم يتبين من (ب) أن المخاطب أجاب المتكلم بطريقة غير مباشرة بأن المدير في مكتبه.

نفترض في هذه الحالة أن القالب النحوي يستمد من القالب المعرفي المعلومات العامة من قبيل أن لكل مدير مكتبًا يعمل فيه، وأنه يستقبل في مكتبه زواره.... وبتفاعل القالبين المعرفي والنحوي تم إنتاج (أ). أما تأويل (ب) فيحتاج - إضافة إلى القالبين المعرفي والنحوي - قالبين آخرين هما: القالب الإدراكي الذي يساهم في تأويل "ها هي ذي" بمساعدة حركة اليد التي تشير إلى "سيارة المدير" تأويلًا سليمًا، والقالب المنطقي الذي يؤول (ب) على أنها (١٠٣ج):

(١٠٣) ج - يوجد المدير في مكتبه.

ويتم ذلك عبر مراحل يمكن تصورها كالآتي:

- يملك المدير سيارة.
- لا يحضر المدير إلى المؤسسة إلّا بالسيارة.
- أصبح وجود السيارة دالًا على وجود المدير.
- السيارة واقفة بباب المؤسسة.
- إذن المدير موجود في مكتبه.

٥-٨- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين المنطقي والتخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٤) أ - تخيل معي ماذا كان سيحدث لو أنني لم أنبهك.

ب - لو أنك لم تفعل لكنا سقطنا حتمًا في الهاوية.

يتبين من (أ) أن المتكلم يطلب إلى المخاطب أن يتخيل الوقائع الممكن وقوعها في أحد العوالم الممكنة، والمترتبة عن عدم قيام المتكلم بتنبيه المخاطب إلى الخطر المحدق. كما يتبين من(ب) أن المخاطب قام فعلًا ببناء عالم ذهني ممكن رتب فيه النتيجة المؤول إليها وهي السقوط في الهاوية. نفترض أن ذلك تم بالطريقة الآتية:

يستمد القالب النحوي المعلومات من القالب المعرفي من قبيل أن حدوث الوقائع في هذا العالم يخضع لقوانين عامة، كالقانون الذي يفيد أن الشرود أثناء السياقة يؤدي إلى وقوع حادثة....

ويستمد القالب اللغوي من القالب التخيلي الصورة الافتراضية الممكن وقوعها في عالم ممكن، والمتمثلة في "لكنا سقطنا حتمًا في الهاوية".

كما يستمد القالب اللغوي من القالب المنطقي القاعدة الاستدلالية التي يرتب بموجبها حصول النتائج بناء على مقدماتها.

بعد ذلك يستثمر القالب اللغوي كل المعلومات الواردة في القوالب الأخرى، وينقلها إلى عبارة محققة في صورة (١٠٤ب).

٥-٩- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين الإدراكي والاجتماعي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٥) أ - هل تسمح لي - من فضلك - بالاطلاع على هذه الجريدة؟

ب - تفضل.

يتبين من (أ) أن المتكلم يطلب بلباقة إلى مخاطبه أن يسمح له بالاطلاع على جريدة يراها أمامه.

نفترض أن إنتاج هذه العبارة يستدعي تفاعل أربعة قوالب، كما يلي:

يزود القالب المعرفي القالب النحوي بمعلومات عامة من قبيل إمكان التعاون بين الناس بمنح بعضهم بعضًا ما يملكون. ويزود القالب الإدراكي القالب النحوي بتحديد مكان الجريدة وعنوانها وباقي المظاهر الممكن إبصارها. أما القالب الاجتماعي فيزود القالب النحوي بمعلومات تحدد وضع المتخاطبين الاجتماعي (متكلم = مخاطب). وباستثمار كل هذه المعلومات يقوم القالب النحوي بصياغة عبارة لغوية مناسبة للهدف التواصلي المحدد بلوغه.

٥-١٠- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين الإدراكي والتخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٦) أ - هل تعرف هذا الذئب القادم نحونا؟

ب - أعرف كل ذئاب الحي إلّا هذا.

يتبين من (أ) أن المتكلم يطلب إلى مخاطبه أن يجيبه عما إن كان يعرف الشخص القادم نحوهما مشبهًا إياه بالذئب. كما يتبين من (ب) أن المخاطب قد فهم قصد المتكلم، وأجابه بأنه يعرف كل الأشخاص الذين تجمعهم بالذئب بعض صفاته، والقاطنين معه في الحي إلّا القادم نحوهما.

نفترض أن تأويل (أ)، كما إنتاج (ب)، يستدعي تفاعل قوالب أربعة، كما يلي:

يزود القالب المعرفي القالب النحوي بمعلومات عامة من قبيل أن الناس يعرف بعضهم بعضًا، وأنه يمكن الإحالة على الشخص ببعض صفاته....

ويقوم القالب الإدراكي بتحديد الشخص القادم مستعينًا في ذلك بإشارة اليد وملامح وجه المتكلم.

أما القالب التخيلي فيقوم بتصوير الشخص في صورة ذئب اعتبارًا لما يجمع بين الشخص والذئب من صفات مشتركة.

يستثمر القالب النحوي كل هذه المعلومات، ويقوم بنقلها إلى عبارة محققة في صورة (١٠٦ب) طبقًا لما تقتضيه شروط السلامة النحوية و التداولية.

٥-١١- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالبين الاجتماعي والتخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٧) أ - أظن أن صدرك سيتسع لسؤالي عما يمكن أن أجنيه من هذه النظرية.

ب - سأبين لك ما يمكن أن تجنيه منها.

يتبين من (أ) أن المتكلم يسأل بلباقة وأدب مخاطبه أن يدله على الإمكانات التي تقدمها له نظرية معلومة بينهما في موضوع معلوم بينهما أيضًا. نفترض أن إنتاج هذه العبارة يتطلب تفاعل القوالب الآتية:

يتضمن القالب المعرفي معلومات من قبيل أن الناس يتفاوتون بينهم في العلم، وأنه بإمكانهم إفادة بعضهم بعضًا....

أما القالب الاجتماعي فيحدد وضع المتخاطبين الاجتماعي (المتكلم أقل مرتبة في السلم الاجتماعي من المخاطب). وأما القالب التخيلي فيمكن من تصوير النظرية شجرة لها ثمار يرغب في قطافها.

وبفضل القالب النحوي الذي يستثمر كل المعلومات الواردة من القوالب الأخرى، يتمكن المتكلم من صياغة العبارة (١٠٧أ).

٥-١٢- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي والقالب التخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٨) أ - لا أظن إلّا أن كرمك سيمكنني من الاطلاع على هذه الثروة العلمية.

ب - إن هذا الكتاب ثروة علمية حقًّا، وأنت أهل للإكرام.

يتبين من (أ) أن المتكلم يطلب إلى مخاطبه بطريقة مؤدبة أن يعيره كتابًا يعد -في نظره- ثروة علمية. كما يتبن من (ب) أن المخاطب يشارك المتكلم في اعتبار الكتاب المشار إليه ثروة علمية، وأنه مستعد لإعارته إياه اعتبارًا لمنزلة المتكلم عنده.

نفترض أن إنتاج (أ) - أو تأويلها - يستدعي تفاعل خمسة قوالب، كما يلي:

يتضمن القالب المعرفي معلومات من قبيل إمكان التعاون بين الناس، وتتعدد أشكال هذا التعاون.....

وبفضل القالب الإدراكي تم إدراك الكتاب وتحديد مكانه وباقي المظاهر المدركة.

أما القالب الاجتماعي فيفيد القالب النحوي بكيفية توجيه الخطاب توجيها يليق بوضع المتخاطبين الاجتماعي (المتكلم أقل مرتبة في السلم الاجتماعي من المخاطب).

وبواسطة القالب التخيلي تم تصوير الكتاب ثروة. وباستثمار كل هذه المعلومات، يقوم القالب النحوي بإنتاج (١٠٨أ) أو تأويلها.

٥-١٣- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي والقالب المنطقي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١٠٩) أ - كُفَّ - من فضلك - عن التدخين داخل القاعة .

ب - وهل بإمكاني أن أرفض طلبك؟ (واستمر في التدخين.)

يتبين من (أ) أن المتكلم يطلب بلباقة إلى مخاطبه أن يكف عن التدخين داخل القاعة، وأنه فهم من كلام مخاطبه وفعله أنه يستهزئ به.

نفترض أن ذلك يستدعي تفاعل خمسة قوالب كالآتي:

يتضمن القالب المعرفي معلومات من قبيل إمكان التفاهم بين الناس في العالم الواقع، أو من قبيل تأثير التدخين على الصحة.....

وبفضل القالب الإدراكي تم تعيين الشخص المدخن وتحديد مكانه وباقي مظاهره المدركة.

وبفضل القالب الاجتماعي تم طلب الكف عن التدخين بأدب ولباقة يناسبان وضع المخاطب الاجتماعي.

أما القالب النحوي فقد استثمر كل المعلومات الواردة في القوالب المذكورة، ونقلها إلى عبارة لغوية سليمة محققة في صورة (١٠٩أ).

إلّا أن تأويل (١٠٩ب) استدعى - بالإضافة إلى القالب المعرفي - القالب النحوي والقالب الإدراكي والقالب المنطقي والقالب الاجتماعي.

أما القالب النحوي فينقل العبارة -قصد تأويلها- من بنيتها السطحية إلى بنيتها التحتية.

وأما القالب الإدراكي فبواسطته تم إدراك استمرار المخاطب في التدخين حتى بعد إنتاج (١٠٩ب).

وأما القالب المنطقي فبواسطته تم تأويل القوة الإنجازية في (١٠٩ب)، لا باعتبارها دالة على الاستفهام كما هو مثبت في القالب النحوي، ولكن باعتبارها قوة إنجازية دالة على الاستنكار. ذلك لأن المخاطب لا يسأل المتكلم عما إن كان بمقدوره أن يرفض طلبه، وإنما يستنكر أن يرفض طلبه المتمثل في الكف عن التدخين داخل القاعة.

أما القالب الاجتماعي فأفاد أن وضع المتخاطبين الاجتماعي متماثل، ولا يمكن بالتالي لأحدهما أن يأمر الآخر بفعل شيء أو عدم فعله.

وبناء على المعلومات المتوافرة في القالب الإدراكي (استمرار المخاطب في التدخين)، وفي القالب الاجتماعي (تساوي المتخاطبين اجتماعيا)، تمكن القالب المنطقي من تأويل (١٠٩ب) باعتبارها استهزاءًا، لا استنكارًا ولا سؤالًا.

٥-١٤- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب الإدراكي والقالب المنطقي والقالب التخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١١٠) أ- تخيل معي كيف سيغدو بلدك إذا جفت هذه الآبار.

ب - إذا جفت هذه الآبار، سيغدو البلد كالجنة الخاوية على عروشها.

يتبن من (أ) أن المتكلم يطلب إلى المخاطب أن يبني عالمًا ذهنيًّا ممكنًا يصور فيه مستقبل بلده آخذًا بعين الاعتبار جفاف الآبار المشار إليها. كما يتبين من (ب) أن المخاطب فهم قصد المتكلم، وأنه قام فعلًا ببناء عالم تصور فيه أن بلده سيكون شبيها بالجنة الخاوية على عروشها في حال جفاف الآبار المشار إليها. نفترض أن إنتاج (١١٠ب) يستدعي تفاعل خمسة قوالب كالآتي:

يتضمن القالب المعرفي معلومات عامة من قبيل أن لكل بلد موارده الخاصة، وأن الآبار ستجف عندما تنضب مواردها.....

وبفضل القالب الإدراكي تم تحديد آبار بعينها وتحديد مظاهرها المدركة.

أما القالب المنطقي فبواسطته تم ترتيب نتيجة معينة "سيغدو البلد كالجنة الخاوية على عروشها" بناء على مقدمة مفترضة "إذا جفت هذه الآبار".

وأما القالب التخيلي فَيُمَكِّن من بناء عالم ممكن يصور فيه البلد جنة خاوية على عروشها.

وبفضل القالب النحوي الذي يستثمر المعلومات السابقة تنتج العبارة (١١٠ب) طبقًا لما تقتضيه شروط السلامة النحوية والتداولية.

٥-١٥- تفاعل القالبين المعرفي والنحوي مع القالب المنطقي والقالب الاجتماعي والقالب التخيلي:

لنتأمل المثال الآتي:

(١١١) أ - ماذا عساه كان سيحدث لو أن الجفاف استمر سنة أخرى؟

ب - لو أن الجفاف استمر سنة أخرى لفتك الجوع بالمواطنين يا سيدي.

يتبين من (ب) أن المخاطب قام استجابة لطلب المتكلم - ببناء عالم ذهني ممكن تصور فيه أن الجفاف استمر سنة أخرى، وترتب عن ذلك هلاك المواطنين جوعًا. كما يتبين أن المخاطب صاغ عبارته (ب) طبقًا لما يقتضيه موقعه الاجتماعي الذي يعتبر أدنى من موقع المتكلم.

نفترض أن خمسة قوالب تفاعلت في إنتاج (١١١ب) كالآتي:

يتضمن القالب المعرفي معلومات عامة من قبيل أن الطبيعة تخضع لقوانين محددة، وأن الكائنات البشرية تخضع بدورها لضغوط بيولوجية.

ويتضمن القالب الاجتماعي معلومات تحدد كيفيات القول تبعًا لموقع المخاطب الاجتماعي،

حيث يتوجب عليه في حالة ما إذا كان من يكلمه أعلى منه درجة في السلم الاجتماعي أن يخاطبه بأدب مناسب.

وبفضل القالب التخيلي تمكن المخاطب من بناء عالم ممكن استمر فيه الجفاف سنة أخرى.

وبفضل القالب ذاته استطاع أن يصور الجوع وحشًا يفتك بالناس. وبفضل القالب المنطقي تم استخلاص نتيجة هلاك المواطنين بناء على مقدمة استمرار الجفاف سنة أخرى.

وأما القالب النحوي فاستثمر كل المعلومات الواردة في القوالب الأخرى ونقلها من بنياتها التحتية إلى عبارة لغوية سليمة محققة في صورة (١١١ب).

٥-١٦- تفاعل القوالب الستة جميعها .

لنتأمل المثال الآتي:

(١١٢) أ - ماذا عساه كان سيحدث لهذا الرجل لو أن الجفاف استمر سنة واحدة؟

ب - لو أن الجفاف استمر سنة أخرى لفتك الجوع بهذا الرجل وبأمثاله يا سيدي.

نفترض أن إنتاج (١١٢ب) يستدعي تفاعل ستة قوالب هي القالب المعرفي والقالب الاجتماعي والقالب التخيلي والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب النحوي.

ونظرًا للتماثل الحاصل بين (١١١ب) و(١١٢ب) فيما يخص تفاعل القوالب الخمسة لإنتاجهما فإننا نقتصر على الحديث عن القالب الإدراكي الوارد في إنتاج (١١٢ب) فقط.

حيث تمكن المخاطب من إنتاج إشارة المتكلم بِـ: "هذا الرجل". وبفضله أيضًا تمكن من إنتاج إشارة دالة على الرجل ذاته.

٦- النحو الوظيفي الخطابي ونموذج (م.ل.ط):

٦-١- النحو الوظيفي الخطابي:

قدم هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨) "النحو الوظيفي الخطابي" بأنه نحو جديد وجزء من "نظرية موسعة للتفاعل الكلامي"؛ وأشارا إلى أن هذا النحو هو صيغة معدلة ومطورة للنحو الوظيفي الذي قدمه سيمون ديك (ديك ١٩٩٧أ و١٩٩٧ب)، مع إقرارهما بأن النحوين يلتقيان معًا في عدد من المنطلقات والمبادئ المنهجية، وتقع بينهما فروق متعددة تميز النحو الوظيفي الخطابي من النحو الوظيفي وتجعل منه نظرية قائمة الذات، ذلك بأن إقامة نحو موجه خطابيًا يستمد مشروعيته من لجوء المتكلم إلى استعمال وحدات أقل من العبارة اللغوية ككلمة واحدة في خطابه أو مركب، واستعمال وحدات أكثر من العبارة اللغوية كقطع نصية، واستعمال وحدات لا يمكن عدها عبارة لغوية أصلًا،

من قبيل:

(113) – A donut.

جوابًا عن:

(what are you eating?)

(114) – Congratulations!

(115) – Oh John!

ووصْف هذا النحو بأنه خطابي إنما جاء لبيان أنه نحو يعنى بالوحدات الخطابية أيًّا كان شكلها، كلمة أو مركبًا أو جملة أو نصًّا أو حوارًا أو غير ذلك.

يفهم من ذلك أن النحو الوظيفي الخطابي نموذج نحوي مهمته تفسير الكيفية التي ينتج بها المتكلم الأفعال الخطابية بأشكالها المختلفة منذ المرحلة الأولى من إنتاجها حتى تحققها النهائي. ويتم ذلك في مستويات أربعة كلها ذات طبيعة لغوية:

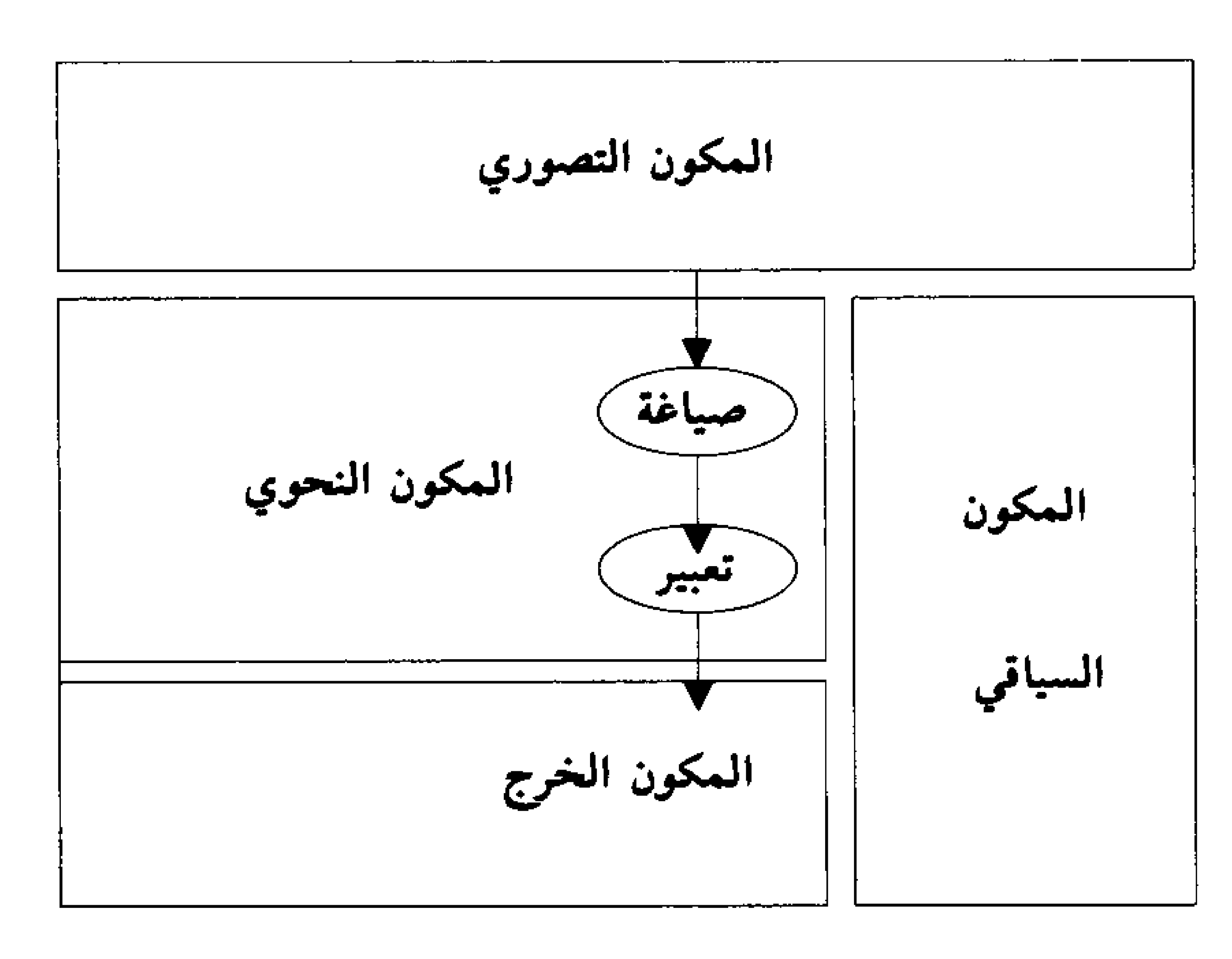
أ - مستوى علاقي يرصد المعلومات التداولية،

ب - ومستوى تمثيلي يرصد المعلومات الدلالية،

ج - ومستوى صرف - تركيبي يرصد المعلومات الصرفية والتركيبية.

د - ومستوى صواتي يرصد المعلومات الصوتية.

فهو نحو يروم وصف خصائصها الصورية وتفسير الأفعال الخطابية من زاوية وظيفية، ويندرج في النظرية الموسعة للتفاعل الكلامي بصفته مكونًا أساسيًّا من مكوناتها، مثلما يبينه الرسم الآتي الوارد في (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨) والمستلهم من نموذج لفلت (لفلت Levelt ١٩٨٩) المتعلق بعمليات إنتاج الكلام:



(الشكل -١٥-)

أما المكون النحوي فيمثل للنحو الوظيفي الخطابي بمستوياته الأربعة المحددة آنفًا، المنقسمين إلى مستوى علاقي ومستوى تمثيلي مشمولين في "الصياغة"، وإلى مستوى صرف - تركيبي ومستوى صواتي مشمولين في "التعبير". وأما المكون التصوري فهو "القوة الدافعة" للمكون النحوي برمته، إذ هو المسؤول عن تطوير القصد التواصلي الوارد بالنسبة لحدث تواصلي جار، وكذا التصورات المرتبطة به والمتعلقة بالأحداث غير اللغوية. ويشار إلى أن المكون التصوري في هذا النموذج يتضمن المعلومات التي تؤثر في القصد من التواصل لحظة وقوعه، ولا يتضمن كل المعلومات المحتمل ورودها في التحليل اللغوي.

وأما المكون السياقي فيتضمن وصف بنية الخطاب السابق عن الحدث الكلامي الجاري ومضمونه، والمقام الذي يجري فيه الحدث الكلامي ذاته، والعلاقة الاجتماعية القائمة بين المشاركين فيه. وأما المكون - الخرج فيولد التعبيرات السمعية أو الكتابية أو الإشارية استنادًا إلى المعلومات الواردة في المكون النحوي.

ويستخلص من ذلك أن المكون المعرفي يشكل "محرك" الحدث الكلامي، ويقوم المكون النحوي بصياغة القصد التواصلي وتحقيقه متفاعلًا مع المكون السياقي. ثم يقوم المكون - الخرج باستمداد حصيلة المعلومات الممثلة في المكون النحوي، والتعبير عنها بحسب اختيار المتكلم نطقيًا أو كتابيًا أو إشاريًا.

٦-٢- من مظاهر قوة النحو الوظيفي الخطابي:

يُعد النحو الوظيفي الخطابي نحو مؤسس تداوليًا حقًا. فالانطلاق في إنتاج الفعل الخطابي يتم من المستوى العلاقي حيث يمثل للمعلومات التداولية، وهو أول مستوى في بنية النحو الوظيفي الخطابي. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المستوى التمثيلي حيث يمثل للمعلومات الدلالية. وهندسة النحو بهذه الصورة يجعله وفيًا لمبدإ الوظيفية القاضي بأسبقية التمثيل للمعلومات التداولية على غيرها من المعلومات، ويجعله مطابقًا لمراحل إنتاج الكلام كما حددها لفلت (لفلت ١٩٩٨):

أ - تحديد القصد التداولي،

ب - تحديد المضمون الدلالي المناسب للقصد التداولي،

ج - صياغة القصد والمضمون في تركيب مناسب،

د - تحقيق التركيب اللغوي بالنطق أو بالكتابة.

والنحو الوظيفي الخطابي يكون بذلك قد حسم النقاش الدائر بين اللسانيين في نظرية النحو الوظيفي، والمتعلق بمحل التمثيل للمعلومات التداولية: أم في مستوى واحد حيث يمثل للمعلومات الدلالية ويمثل للمعلومات التداولية أيضًا، أم في قالب تداولي مستقل؟

ويكون بذلك قد حقق أيضًا مطمحًا مهما من مطامح نظرية النحو الوظيفي المتمثل في بناء نحو وظيفي مؤسس تداوليًا، حيث يشرف التداول على الدلالة، ويشرف كل من التداول والدلالة على التركيب، ويشرف كل من التداول والدلالة والتركيب على الصواتة.

ومن مظاهر قوة هذا النحو أن الفصل بين المستوى التداولي وبين المستوى الدلالي مكن من تميز المعلومات التداولية من المعلومات الدلالية وتفادي الخلط بينهما في التمثيل من جهة، ومكن من جهة أخرى من القدرة على معالجة أفعال خطابية تقوم بوظيفتها التواصلية إلّا أنها فارغة دلاليًا من قبيل الفعلين الخطابيين السابقين المعادين هنا للتذكير:

(116) – Congratulations!

(117) – Oh John!

أي لا حاجة تدعو في إنتاجهما إلى المرور عن طريق المستوى التمثيلي، إذ يُنتقل في إنتاجهما مباشرة من المستوى العلاقي إلى المستويين الصرف - تركيبي والمستوى الصوتي.

وإذا كان من السابق لأوانه الحكم ببلوغ هذا النحو درجة عالية في معيار الكفاية النفسية، فإنه من الواضح اقترابه الشديد من واقع المتكلم الفعلي؛ وذلك بأن حدد معطياته اللغوية في الأفعال الخطابية أيًا كان تحققها كلمة أو مركبًا أو جملة بسيطة ومركبة أو نصًا أو حوارًا أو غير ذلك. والأفعال الخطابية هي في الواقع ما ينتجه المتكلم في تواصله مع الآخرين، ولا يتقيد بإنتاج نمط معين من أشكال التعبير كالجملة أو النص أو غيرهما. ومن هذه الزاوية، يكون نحو الخطاب الوظيفي متقدمًا على غيره من الأنحاء المماثلة.

٦-٣- من ثغرات النحو الوظيفي الخطابي:

إن سكوت هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨) عن نموذج مستعمل اللغة الطبيعية يشكل ثغرة كبيرة في عملهما الرائع. فعلى الرغم من تبني المؤلفين المنحى الذي انتهجه ديك (١٩٨٩) والمتمثل في عد النحو الوظيفي مكونًا أساسيًا من مكونات "نظرية موسعة للتفاعل الكلامي" يتعين بناؤها، إلّا أنهما لم يشيرًا إلى ما قدمه ديك (١٩٨٩ و١٩٩٧) بخصوص هذه النظرية وموقع النحو الوظيفي داخلها. فقد شرع في الحديث عنها بتقديمه نموذجًا لمستعمل اللغة الطبيعية يتضمن إلى جانب القالب النحوي الذي يمثل للمعرفة اللغوية قوالب أخرى تمثل للمعرفة غير اللغوية المرتبطة بالمعرفة اللغوية في عملية التواصل اللغوي إنتاجًا وفهمًا؛ وهي: القالب المعرفي والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي. ومن المعلوم أيضًا أن نموذج (م ل ط) قد تم تطويره وإغناؤه سواء بتدقيق بعض قوالبه، أو بإضافة قوالب أخرى كالقالب الإبداعي والقالب التخيلي أو القالب التداولي، أو بتحديد علاقة قوالبه بعضها ببعض في إنتاج الكلام وفهمه.

لقد كان تجاوز نموذج (م ل ط) إلى نموذج آخر سيكون مقبولًا علميًا لو قدمت الدلائل الكافية التي تبين عدم وروده. وسيكون مقبولًا علميًا أيضًا السكوت عنه مطلقًا لو لم يتبن المؤلفان منحى ديك القائم على عد النحو الوظيفي مكونًا أساسيًا من مكونات النظرية الموسعة للتفاعل الكلامي.

ولنفحص الآن النموذج الذي اقترحه هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨) لتمثيل تلك النظرية. يتألف هذا النموذج للتذكير من مكونات أربعة هي: المكون التصوري والمكون النحوي والمكون السياقي والمكون - الخرج. وقد صرح المؤلفان (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨: ١٠) بأنهما لن يقدما أية تفاصيل عن البنية الداخلية للمكونين التصوري والسياقي، مكتفيَيْن بتقديم الافتراضات الآتية عنهما (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨: ٧ و٨):

- يعد المكون التصوري محل تمثيل المادة الفكرية المتفاعلة التي يستلزمها الخطاب (بوحداته المختلفة كالأفعال الخطابية والنقلات الحوارية) المراد إنتاجه في مقام تواصلي معين.
- يُمثل في المكون التصوري لجوانب المعرفة التي لها تأثير في القصد التواصلي الجاري تشكيله، ولا يمثل فيه لكل مظاهر المعرفة المحتمل ورودها في أي خطاب.
- ينقسم المكون التصوري، تبعًا لِ باتلر (٢٠٠٨ب)، إلى مكون تصوري خاص ومكون تصوري متفاعل، ويوازيهما في بنية النحو: المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي).
- يعد المكون التصوري "القوة الدافعة" للمكون النحوي.

ويوضح المؤلفان في موضع آخر (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨: ٤٧ و٤٨) هذه الافتراضات المتعلقة بالمكون التصوري بالقول إن القرارات التواصلية التي يتخذها المتكلم لا تتشكل في المكون النحوي وإنما تتشكل في المكون التصوري، حيث تتحدد المقاصد التواصلية وتتحدد الاستراتيجية التي اختار المتكلم سلوكها من أجل بلوغ هذه المقاصد. إلّا أن المكون النحوي لا يمثل إلّا للمقاصد التواصلية التي يمكن تشفيرها في الخطاب بوسيلة من الوسائل اللغوية، تركيبيَّة أو صرفية أو تنغيمية ... وهناك ترابط بين مضامين المكون التصوري التي تتحرر من أي قيود تفرضها اللغة وبين مضامين المستويين العلاقي والتمثيلي التي تخضع لقيود اللغة، وتقيد تبعًا لذلك عدد الاختيارات التعبيرية المتاحة أمام المتكلم.

- تتشكل مقاصد المتكلم التواصلية في سياقات تواصلية متعددة الأوجه.
- يتضمن المكون السياقي المعلومات التي تتعلق بسياق الملفوظ الوارد في سياق تواصلي معين (المعلومات الضيقة)، كما يتضمن المعلومات المتعلقة بالفروق الاجتماعية القائمة بين مستعملي اللغة وبآثارها في صياغة ملفوظاتهم (المعلومات الواسعة).
- يتفاعل المكون السياقي مع المكون النحوي أخذًا وعطاءً. (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨: ٩ و١٠).

ونورد فيما يلي جملة من الملاحظات على هذا النموذج:

١. استعمل المؤلفان لفظ "مكون Composant" في وصف مكونات النموذج: المكون التصوري والمكون النحوي والمكون السياقي والمكون - الخرج. وكان ديك (١٩٨٩ و١٩٩٧) يستعمل مصطلح "طاقة Capacity" في وصف مكونات القدرة التواصلية؛ وفي ذلك دلالة على أن نموذج (م ل ط) إنما هو نموذج يحاكي القدرة التواصلية التي تعد ملكة من ملكات العقل البشري. ويستعمل مصطلح "قالب Module" لوصف مكونات نموذج (م ل ط)؛ وفي ذلك دلالة على المقاربة القالبية التي ينتهجها في دراسة القدرة التواصلية. ولا يُعلم السبب الداعي إلى عدم استعمال المؤلفين مصطلح "قالب" في تقديم مكونات نموذجهما، ولا السبب الداعي إلى عدم إشارتهما إلى أن مكونات هذا النموذج تمثل لمكونات القدرة التواصلية.

٢. إذا كان الأمر يتعلق ببناء نموذج يحاكي قدرة المتكلم التواصلية، فهل يصح الحديث عن "مكون سياقي"؟

وبعبارة أوضح، هل توجد طاقة ذهنية يمكن أن توصف بأنها "طاقة سياقية" يمثل لها في النموذج "مكون سياقي" بالتحديد الذي قدمه المؤلفان؟

وإذا كان صحيحًا أن المتكلم يحتاج إلى كل المعلومات المضمنة في المكون السياقي أي المعلومات المرتبطة بسياق الخطاب وبمقامه التواصلي وبالأوضاع الاجتماعية للمتخاطبين المرعية في صياغة خطاباتهم، فهل يصح القول بوجود مكون ذهني واحد - أعني المكون السياقي - يتكفل بكل ذلك؟

إن تبني المقاربة القالبية في دراسة الملكة التواصلية يقتضي إقامة نموذج يستقل فيه كل قالب من قوالبه ببنيته ووظيفته، ويتفاعل فيه كل قالب مع القوالب الأخرى وفق ما يتطلبه إنتاج الخطاب. وإذا كان الأمر كذلك، فإن مقترح ديك القاضي بوجود طاقة معرفية وطاقة إدراكية وطاقة اجتماعية يمثَّل لكل منها بقالب في نموذج (م ل ط)، يُعد أوفى بالمطالب النظرية والمنهجية معًا، وأقرب إلى الواقعية النفسية خلافًا لجمعها كلها في "مكون سياقي" حسب نموذج هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨).

إن الإشكال هنا لا يتعلق بطبيعة المعلومات التي يستلزمها إنتاج الخطاب، وإنما بِ"الطاقات الذهنية" والقوالب الممثلة لها التي تتضمن كل تلك المعلومات، بنيتها ووظيفتها وطريقة تفاعلها مع غيرها.

٣. لم يقدم نموذج هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨) أية معلومات عن المكون الذي يضطلع بإنتاج

البنيات الخطابية التي تتضمن قوة إنجازية مستلزمة أو إنتاج البنيات الخطابية المجازية من قبيل:

(١١٨) ألا تعتبر من عاقبة الظالمين!

(١١٩) كرمت الجامعة الطلاب المتفوقين.

ولا يوجد في نموذجهما أي مكون يمكن أن يتكفل بذلك، إلّا إذا كان المكون السياقي سيقوم بذلك أيضًا. وفي هذا الصدد، لم يشر المؤلفان إلى "القالب المنطقي" المسؤول عن إنتاج النمط الأول من البنيات في نموذج (م ل ط) و"القالب التخيلي" المسؤول عن إنتاج النمط الثاني من البنيات. و«السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا - يقول الدكتور أحمد المتوكل - هو: هل لهذا التعديل الذي طرأ على نموذج مستعملي اللغة ما يبرره؟

إجابتنا عن هذا السؤال هي أن التقليص محبذ سواء أكان حذفًا أم دمجًا إذا كان يستهدف الاقتصاد والتقليل من الكلفة، إلّا أن الاقتصاد يجب ألا يكون على حساب كفاية النحو (تداوليًا ونفسيًّا ونمطيًّا)» (المتوكل ٢٠٠٥: ٦٥).

٦-٤- اقتراحات جديدة:

إن الإضافة النوعية التي نحسب أنها تطور نموذج (م ل ط) فيما قدمه هنخفلد ومكنزي (٢٠٠٨) إنما تتجلى في "المكون التصوري" حيث تنعقد نية التواصل ويتحدد القصد منه والاستراتيجية التي اختارها المتكلم لبلوغ قصده؛ إذ إن نموذج (م ل ط) لم يحدد "المحل" الذي تنعقد فيه نية التواصل ويتحدد القصد منه، ولم يتطرق إلى ذلك.

وبناء على ما سبق، نقترح إدماج النحو الوظيفي الخطابي بصفته قالبًا نحويًا مستقلًا في نموذج (م ل ط) وفقًا للافتراضات التي دافعنا عنها سواء تلك المتعلقة ببنيته أم بقوالبه أم بطريقة عمله، كما نقترح أيضًا إضافة "القالب القصدي" (Intentional Module) حيث تنعقد نية التواصل ويتحدد القصد منه علاوة على قوالب النموذج الأخرى، وهي التسمية التي نفضلها على "المكون التصوري" الذي قد يلتبس مع المكون المعرفي، علاوة على الطابع الشمولي الذي قد يوحي به مصطلح "التصوري".

واستكمالًا للملاحظات النقدية التي قدمناها عن الأعمال السابقة، نقترح الافتراضات الآتية:

أ - يتألف نموذج (م ل ط) من القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي والقالب التخيلي، وحددنا بنيته ووظيفته وطريقة عمله، علاوة على "القالب القصدي".

ب - بمجرد ما تتأكد النية في إقامة تواصل لغوي، تتحفز كل القوالب للإسهام في قيامه. وتنعقد هذه النية في التواصل ويتحدد القصد التواصلي واستراتيجية بلوغه في "القالب القصدي".

ج - يتدخل كل قالب لأداء وظيفته المنوطة به تلقائيًّا إذا وجد المحفز، وعند انعدامه يظل في حالة انتظار.

د - يلجأ كل قالب إلى التفاعل مع غيره من القوالب حسب ما يستدعيه إنتاج العبارات اللغوية الواردة في مقامات تواصلية محددة أو تأويلها.

هـ - يخضع تفاعل القوالب فيما بينها إلى آليات الضبط الذاتي، حيث لا تحتاج القوالب إلى إواليات إضافية تحدد العلاقة بينها؛ بل يمكن القول إنها مبرمجة ذاتيًّا للقيام بذلك.

و - إذا صح أن نميز بين القوالب من حيث وظائفها، أمكن أن نميز بين قالب وظيفته التحفيز، وقالب وظيفته التخزين، وقالب وظيفته التأويل، وقالب وظيفته الإمداد، وقالب وظيفته التصوير.

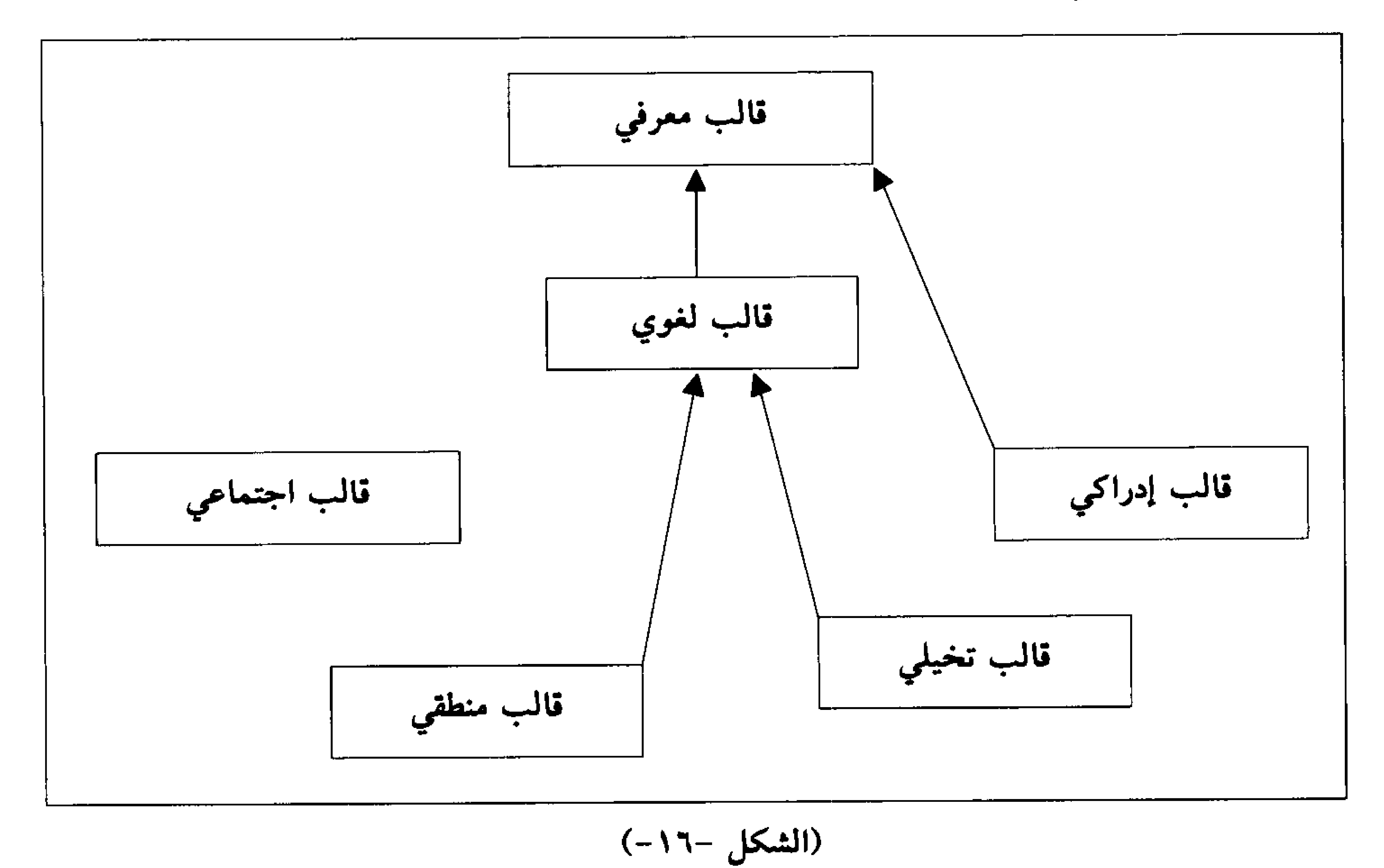
يقوم القالب القصدي بتحفيز القالبين المعرفي والنحوي. فحينما تنعقد نية التواصل ويتحدد القصد التواصلي واستراتيجية بلوغه، يحفّز القالب القصدي القالب المعرفي لتزويد القالب النحوي بالمادة التي يحتاجها في المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي)، ويحفّز القالب النحوي لاستمداد المعلومات التي يحتاجها من القالب المعرفي ويشرع في عمله.

وأما القالب المعرفي فيقوم بوظيفة تخزين المعلومات التي يستقبلها من القوالب الأخرى إما مباشرة كما هو شأن القالب المنطقي أو عن طريق القالب النحوي. ذلك أن العبارات اللغوية تتضمن أنماطًا متنوعة من المعلومات تساهم في إنتاجها كل القوالب، إلّا أن القالب النحوي ينفرد ببناء تلك العبارات وتحليلها مستفيدًا مما تجمع لديه من معلومات تمده بها القوالب الأخرى.

وعليه، نفترض أن القالب النحوي هو القناة الطبيعية لتخزين المعلومات في القالب المعرفي(١)، وأن كل القوالب - باستثناء القالب الإدراكي - تزود القالب المعرفي بالمعلومات عن طريق القالب النحوي. ويفسر استثناء القالب الإدراكي بكونه يتضمن معلومات إدراكية لا يمثل لها - حسب ديك (ديك ١٩٨٦ج) - في صورة بنيات تحتية كما هو شأن المعلومات التصورية، وإنما تأخذ شكل صور ذهنية. ينجم عن هذا أن القالب المعرفي يخزن لا المعلومات التصورية فقط، وإنما المعلومات الإدراكية أيضًا. إلّا أن المعلومات التصورية يتم تخزينها عن طريق القالب

(١) تجدر الإشارة إلى أن العبارات اللغوية تُنزع عنها كل المعطيات السياقية حين يتم تخزينها في القالب المعرفي، من قبيل المعلومات المتعلقة بالنبر والتنغيم والتبئير.

النحوي، في حين يتم تخزين المعلومات الإدراكية مباشرة في القالب المعرفي. وتمثيل ذلك في بنية نموذج (م ل ط) كالآتي:



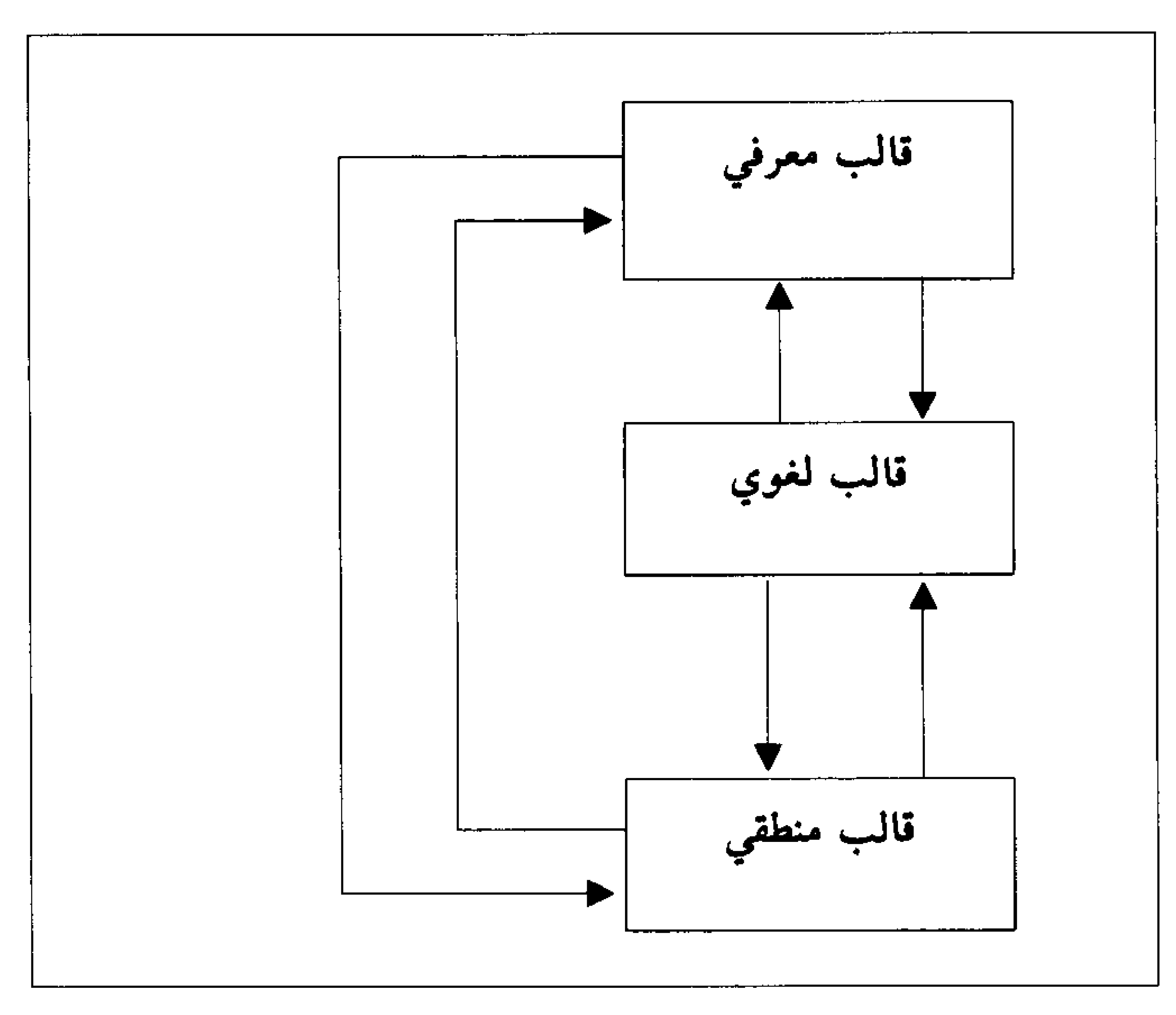
(الشكل -١٦-)

يقوم القالب النحوي بوظيفة التأويل: تأويل العبارات اللغوية دلاليًا وتداوليًا مستثمرًا كل المعلومات الضرورية المتوفرة في القوالب الأخرى.

كما يقوم القالب المنطقي أيضًا بوظيفة التأويل: تأويل العبارات منطقيًا، إذ من المعلوم (ديك ١٩٨٨ي) أن للقالب المنطقي مكونًا تركيبيًا يحدد العبارات السليمة التكوين، ومكونًا دلاليًا يؤول هذه العبارات بواسطة قواعد تأويل أو قواعد استدلال.

وبحكم قيام القالبين النحوي والمنطقي بوظيفة التأويل، فإن التفاعل بينهما قوي، حيث يشكل خرج القالب النحوي دخل القالب المنطقي، ويشكل خرج القالب المنطقي دخل القالب النحوي كما ستوضحه الأمثلة لاحقًا. وكلاهما يُزَوَّد مباشرة بالمعلومات التي يحتاج إليها من القالب المعرفي: القالب النحوي يستمد منه المعلومات المعرفية التي تعد ضرورية لبناء عبارة لغوية ما أو تأويلها. والقالب المنطقي يستمد منه المعلومات المعرفية وكذا المعلومات الإدراكية المخزونة لديه. إذ من المعلوم أن قواعد التأويل، التي تعد جزءًا من المكون الدلالي - المنطقي، تحتاج إلى أنطلوجيا لإجراء عملية التأويل، ومن المعلوم أيضًا أن ديك (١٩٨٨ي) بين أن هذه الأنطولوجيا تتكون من صور ذهنية تتألف من تمثيلات تصورية وأخرى إدراكية، وأن هذه التمثيلات - التصورية منها والإدراكية - مخزونة في القالب المعرفي. علاوة على ذلك، يقوم القالب المنطقي بتخزين

استدلالاته في القالب المعرفي. إذ من المعلوم - كما تقدم - أنه يضطلع بدور هام في إغناء القاعدة المعرفية عن طريق استخلاص معلومات جديدة من معلومات معطاة. وتمثيل ذلك في بنية نموذج (م ل ط) كما يلي:



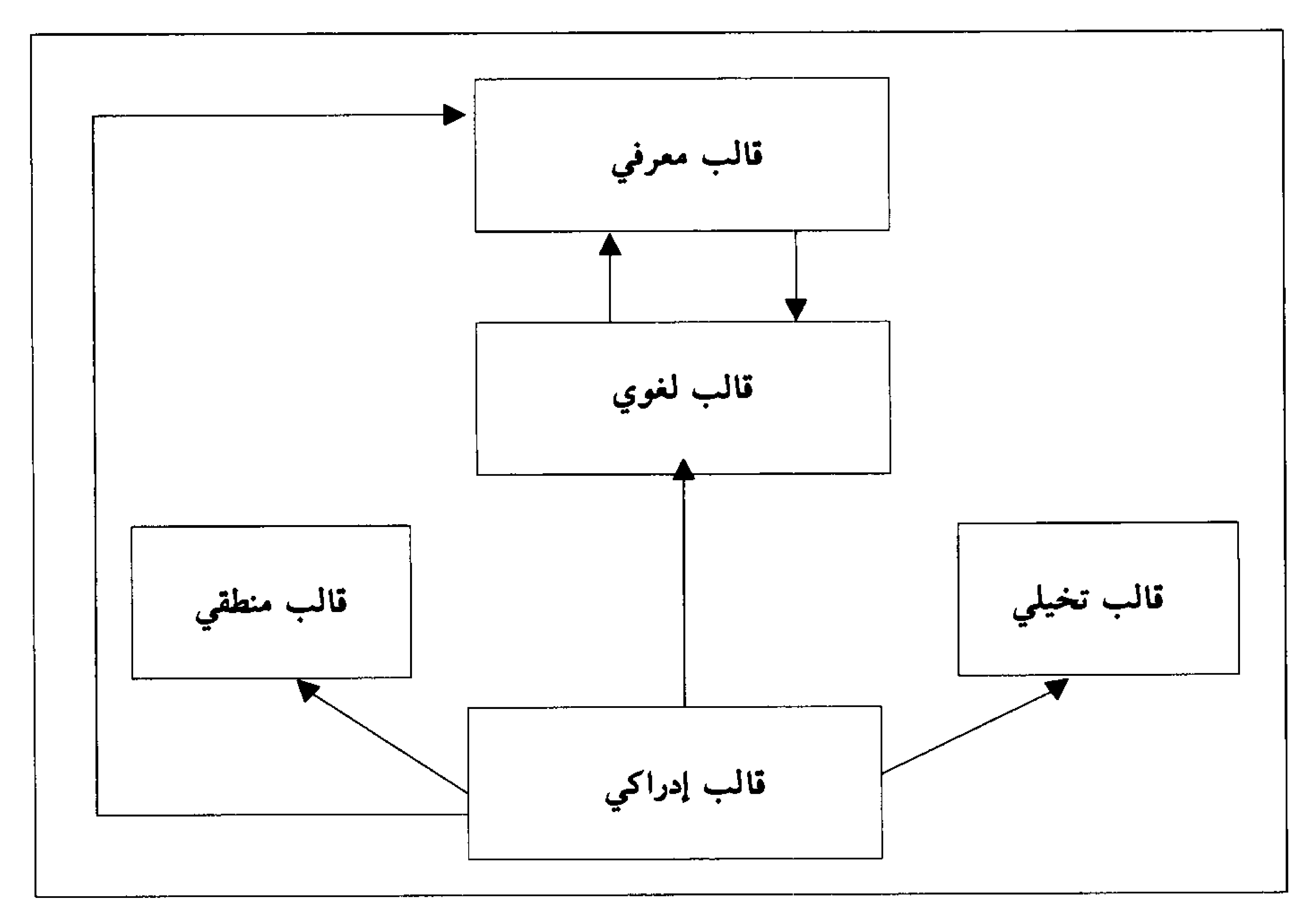
(الشكل -١٧-)

يقوم القالب الإدراكي بوظيفة الإمداد[١]: إمداد القالب المعرفي بالمعلومات الإدراكية قصد تخزينها، وإمداد القالب النحوي بالمعلومات التي تساعده على تأويل العبارة اللغوية، وإمداد القالب التخيلي بالمعلومات الإدراكية التي تشكل مادة عمله الأولى[٢]، وإمداد لقالب المنطقي - أحيانًا - بالمعلومات التي تساعده على إجراء عملية التأويل. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كالآتي:

---

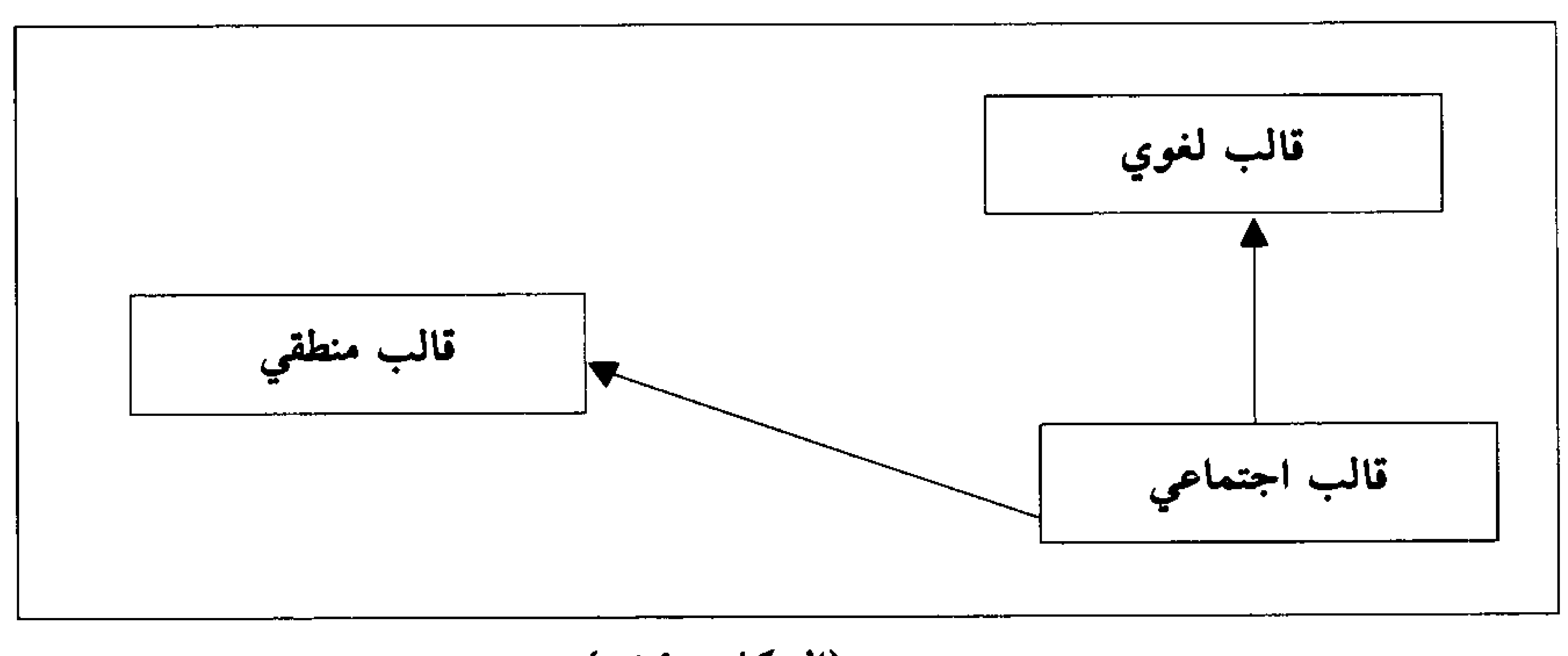
(١) يمكن أن تعد كل القوالب قوالب إمداد، إلّا أن الذي نقصده بالإمداد حينما نصف به قالبا معينا هو ألا يقوم هذا القالب بوظيفة أخرى غير الإمداد، كالتخزين أو التأويل أو التصوير.

(٢) يقول الدكتور جابر عصفور في ثنايا الفصل الذي عقده للحديث عن طبيعة الخيال وعلاقته بالصورة: «إن الحس منشأ التخيل، وحيث لا يوجد حس لا يوجد تخيل. ولذلك فإن الإنسان لا يمكنه أن يتخيل أمرا من الأمور أو شيئا من الأشياء لم يؤد إليه الحس بنحو من الأنحاء. . . . قد يشكل التخيل عالما لا حقيقة له ، وقد يصل إلى عالم متسام بعيد كل البعد عن المادة ، ولكن ذلك العالم - في النهاية - لا يمكن صياغته أو تشكيله أو التعبير عنه إلّا من خلال جزئيات وعناصر أدركها الحس من قبل» (عصفور ١٩٨٣: ٣٧ و٤٠). وفي نفس الموضوع، يؤكد دانسي (١٩٩٠) قيام العلاقة بين أنساق الإدراك الحسي وبين التفكير التجريدي والنشاط التخيلي، وذلك استنادا إلى معطيات لغوية ونفسية وأنتروبلوجيّة. للمزيد من التفصيل انظر (دانسي ١٩٩٠).



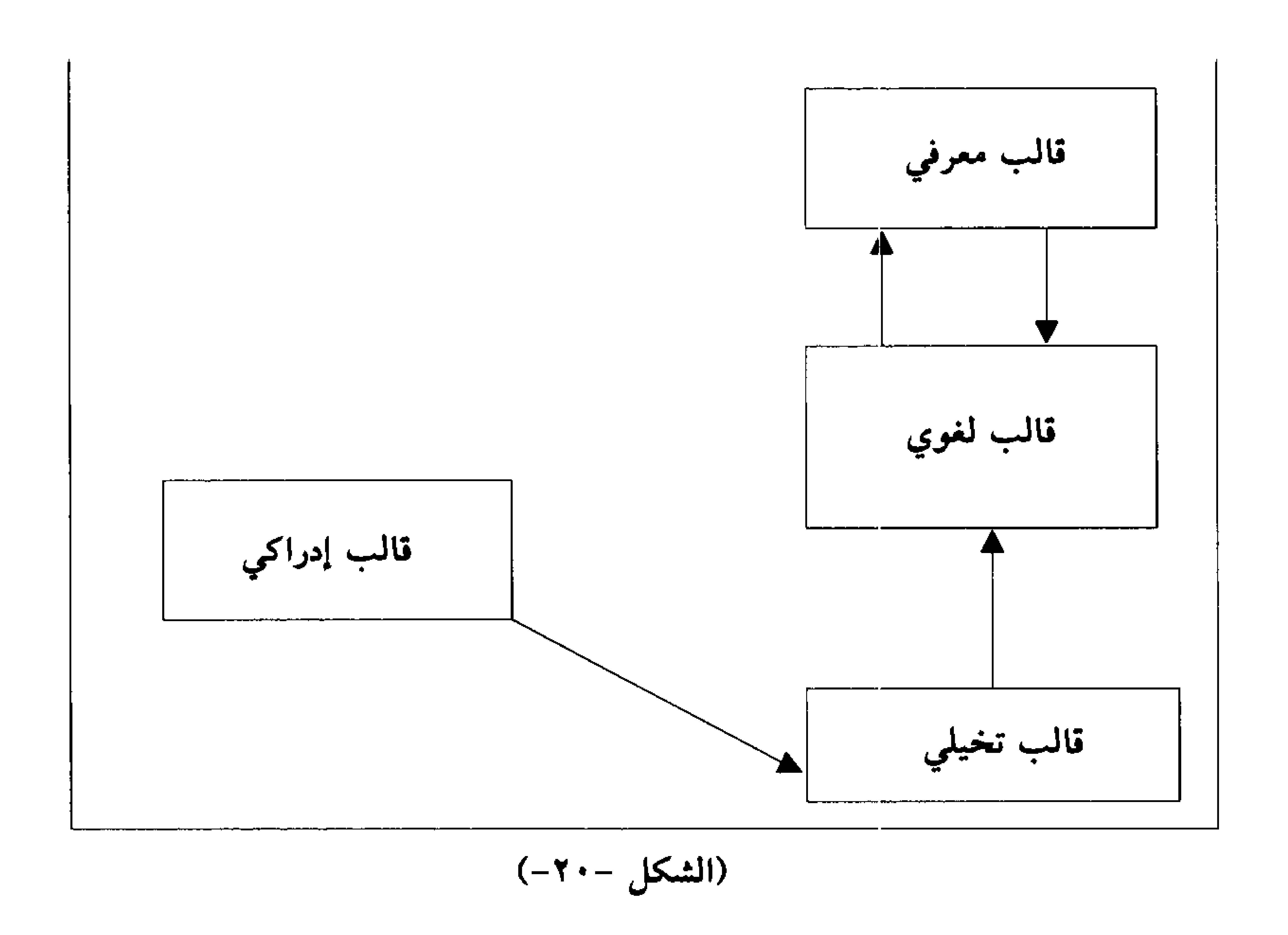
(الشكل -١٨-)

وأما القالب الاجتماعي فيقوم وظيفة الإمداد أيضًا، حيث يزود القالب المنطقي أحيانًا بالمعلومات التي تعين وضع المتخاطبين الاجتماعي، واستنادًا إلى هذه المعلومات يجري القالب المنطقي استدلالاته وتأويلاته. كما يزود القالب النحوي بالمعلومات ذاتها ليجري - بناءً عليها - تأويله الدلالي والتداولي. وتمثيل ذلك في بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية كما يلي:



(الشكل -١٩-)

ويقوم القالب التخيلي بوظيفة التصوير: تصوير وقائع ممكنة أو خيالية بواسطة مجموعة من المبادئ والقواعد مستعينًا في ذلك بالمعلومات التي يزوده بها القالب الإدراكي، ثم يزود القالب



(الشكل -٢٠-)

ي - نميز بين نمطين من العلاقات بين القوالب: علاقات دائمة وعلاقات عرضية.

يتجلى النمط الأول من العلاقات في:

١- توقف عمل القالب النحوي دومًا على القالب القصدي والقالب المعرفي،

٢- وتوقف عمل القالب المنطقي دومًا على القالب المعرفي من جهة، وعلى القالب النحوي من جهة أخرى،

٣- وتوقف عمل القالب التخيلي دومًا على القالب الإدراكي.

ويتجلى النمط الثاني في العلاقات الأخرى الممكن قيامها بين القوالب بحسب ما تستدعيه العبارات اللغوية ومقاماتها التواصلية.

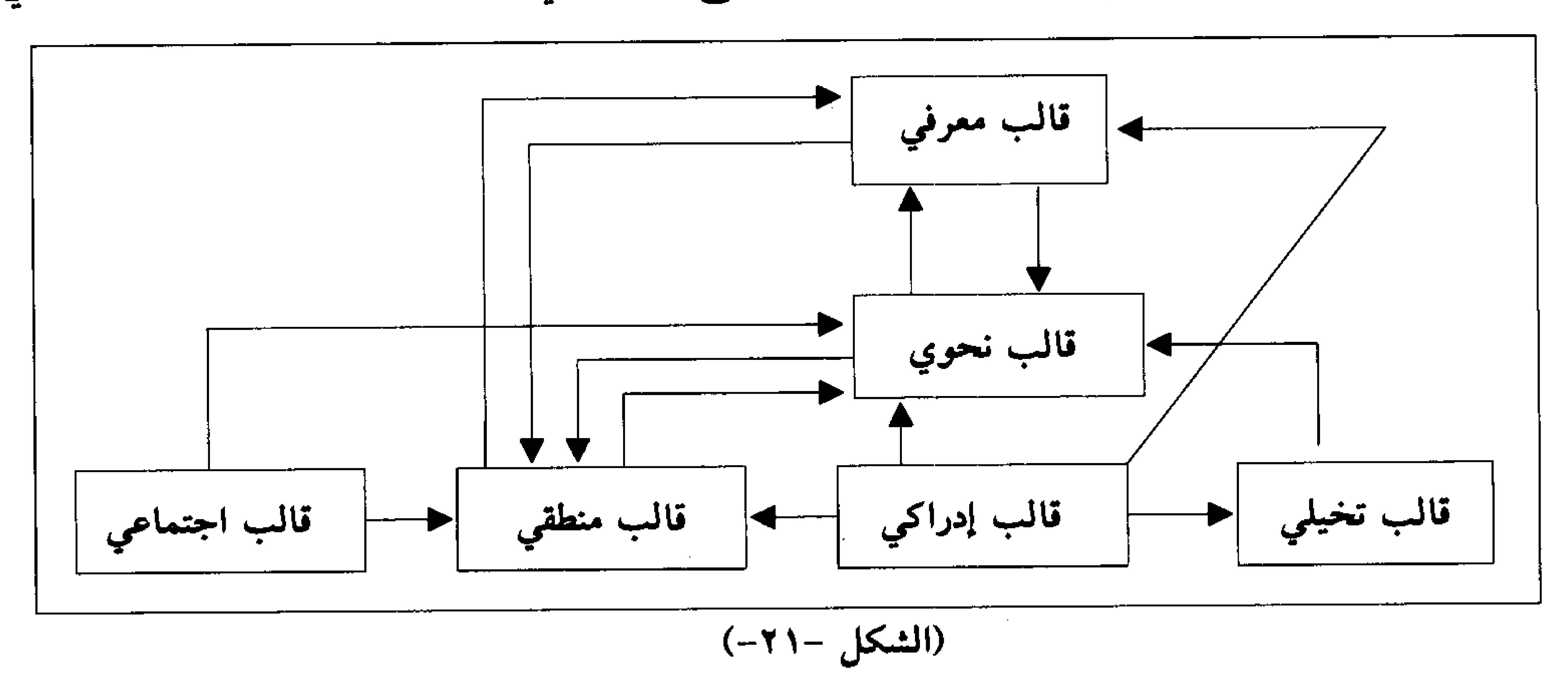
ومن الدلائل التي يمكن عرضها لصالح هذا الافتراض التمييز الذي أقامه ديك (ديك ١٩٨٦ج) بين معرفة واسعة يتم تخزينها في القالب المعرفي بصورة سابقة عن إقامة أي تواصل لغوي، وبين معرفة ضيقة يتم استخلاصها من المقام لحظة إقامة التواصل اللغوي. وإحدى دلالات هذا التمييز أن المعرفة الواسعة تشكل قاعدة أولية وأساسية لأي تواصل لغوي، وأن أدنى ما يتطلبه تفاعل كلامي - تبعًا لذلك - ثلاثة قوالب: قالب قصدي وقالب معرفي وقالب نحوي. يضاف إلى ذلك أن القالب المعرفي عبارة عن ذاكرة هي محل تخزين كل المعلومات التي يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من تحصيلها. ومن الصعب أن نتصور قيام تواصل لغوي في غياب هذه المعلومات. ينجم

عن ذلك عدم إمكان إشراف القالب النحوي بمفرده على إنتاج عبارات لغوية أو تأويلها.

ومن الدلائل أيضًا أن وظيفة التصوير التي يقوم بها القالب التخيلي تستدعي أن يكون مزودًا بالمادة اللازمة التي يمارس بها عملية التأليف بين الصور. وبالنظر إلى ارتباط النشاط التخيلي عامة بالحس، فإن القالب الإدراكي هو المؤهل لتزويد القالب التخيلي بمادة عمله.

أما علاقة القالب المنطقي الضرورية بالقالبين النحوي والمعرفي فقائمة أساسًا على استحالة إجرائه عملية التأويل دون التزود بالمعلومات الواردة في القالبين السابقين، كما تقدم بيان ذلك.

على أساس كل ما تقدم، نفترض أن بنية نموذج مستعملي اللغات الطبيعية مصوغة كالآتي:



(الشكل -٢١-)

ونقدم فيما يلي صورة مبسطة عن كيفية تفاعل القوالب المفترضة في إنتاج العبارة اللغوية الآتية:

(١٢٠) لو أن الجفاف استمر سنة أخرى لفتك الجوع بهؤلاء يا سيدي.

يقوم القالب القصدي، بعد أن انعقدت نية المتكلم في التواصل وحدد استراتيجية بلوغ قصده منه، بتحفيز القالبين المعرفي والنحوي: يحفز القالب المعرفي لتزويد القالب النحوي بالمادة التي يحتاجها في المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي)، ويحفز القالب النحوي لاستمداد المعلومات التي يحتاجها من القالب المعرفي والقوالب الأخرى والشروع في عمله.

أما القالب المعرفي فيتضمن معلومات عامة من قبيل أن الطبيعة تخضع لقوانين محددة، كنزول المطر في بعض فصول السنة، وأن الكائنات البشرية تخضع بدورها لضغوط بيولوجية، من قبيل الحاجة إلى الطعام والشراب...

ويتضمن القالب الاجتماعي معلومات تحدد كيفيات القول تبعًا لموقع المخاطب الاجتماعي، حيث يتوجب عليه في حالة ما إذا كان من يكلمه أعلى منه درجة في السلم الاجتماعي أن يخاطبه

بأدب مناسب.

وبفضل القالب التخيلي تمكن المتكلم من بناء عالم ممكن يستمر فيه الجفاف سنة أخرى.

وبفضل القالب ذاته استطاع أن يصور الجوع وحشًا يفتك بالناس.

وبفضل القالب الإدراكي عين المتكلم لمخاطبه الناس الذين كان سيفتك بهم الجوع لو أن الجفاف استمر سنة أخرى.

وبفضل القالب المنطقي تم استخلاص نتيجة هلاك عدد من الناس بناء على مقدمة استمرار الجفاف سنة أخرى.

وأما القالب النحوي فاستثمر كل المعلومات الواردة في القوالب الأخرى ونقلها من بنياتها التحتية إلى خطاب لغوي سليم محقق.

٧- إشكال التمثيل:

يقتضي الحديث عن تفاعل القوالب تحديد "اللغة" التي يتم بها التواصل بين هذه القوالب: أهي "لغة" واحدة تتواصل بها كل القوالب، أم أن كل قالب يختص بلغته، ويلجأ - من أجل التواصل - إلى إواليات أخرى؟

ويتفرع عن إشكال تحديد "لغة التمثيل" إشكال آخر يتعلق بتحديد طبيعة هذه "اللغة"؛ أهي "لغة" مخالفة للغات الطبيعية ومستقلة عنها، أم أنها مماثلة لها ومرتبطة بها؟

٧-١- الافتراضات التمثيلية:

٧-١-١- افتراضات علم الذكاء الاصطناعي:

مفاد هذا الافتراض - المدافع عنه في علم الذكاء الاصطناعي وفي علوم المعرفة عامة - أن "لغة" تمثيل المعرفة في ذاكرتنا "لغة" مجردة واحدة، مشتركة بين المخلوقات البشرية، ومستقلة عن اللغات الطبيعية.

يرتبط بهذا الافتراض بافتراض آخر مؤداه أن "لغة" تمثيل المعرفة تعادل بالضرورة "لغة" القالب النحوي، و"لغة" القالب المنطقي، و "لغة" القالب الاجتماعي ....وأهم الصعوبات التي يواجهها هذا الافتراض يمكن إجمالها فيما يلي:[1]

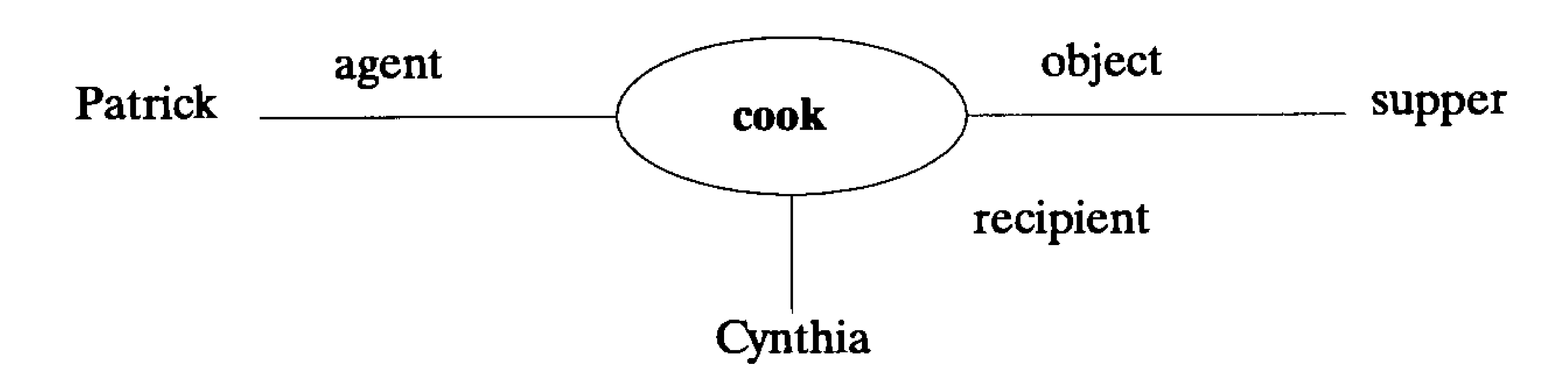
---

(١) انظر للتفصيل (ديك ١٩٨٦ج).

أ - يلجأ المدافعون عن استعمال راموز[١] مستقل عن أية لغة طبيعية في تمثيل المعارف إلى استخدام مفردات معجمية أثناء تقديمهم أمثلة عن البنيات التصورية. من أمثلة ذلك تمثيل العبارة اللغوية الإنجليزية في صورة شبكة دلالية كالآتي:

(121a) – Patrick is cooking supper for Cynthia

(122b) –



الملاحظ أن استعمال الشبكة الدلالية في تمثيل هذه الجملة لم يغن عن استعمال مفاهيم لغوية كالمنفذ (agent) والمتقبل (Recipient) والمفعول (Object) لتحديد طبيعة العلاقة التي تربط بين الفعل (Cook) وبين الأسماء التي تواكبه (Patrick) و (Cynthia) و (supper). وفي اختيارهم هذا المنحى دليل على أن عبارات اللغات الطبيعية وسيلة فعالة لتمثيل المعارف.

وكان ينبغي لهم - انسجامًا مع ما يدافعون عنه - أن يحجموا استعمال مفردات من اللغات الطبيعية الخاصة لتمثيل المعارف.

ب - ينجم عن تبني افتراض علم الذكاء الاصطناعي أن لكل عبارة لغوية تنتمي إلى لغة المتكلم مقابل في "لغة" التمثيل المفترضة - ويعني ذلك أن التعبير عن معارف معينة يتطلب ترجمة هذه المعارف من "لغتها" التمثيلية إلى لغة المتكلم الأم، كما يتطلب تخزين المعارف ترجمة العبارات اللغوية إلى "اللغة" التمثيلية التي يتم بها ذلك التخزين. وتعقيد من هذا القبيل أبعد من أن يعكس تنظيم قدرة المتكلم الرمزية.

ج - لو كانت هناك بنية تصورية مشتركة بين المخلوقات البشرية - كما هو مفترض - لوجب أن ترتبط اللغات الطبيعية مباشرة بهذه البنية التصورية الكلية، وأن تكون دال عليها بدل أن تعمل على حجبها بتنوعها الشديد واختلافها المتعدد.

د - إذا كانت اللغات الطبيعية مختلفة كل هذا الاختلاف، فإن البنية التصورية يجب - تبعًا

(١) المقصود بالراموز هنا البنيات التمثيلية التي يستخدمها علماء الذكاء الاصطناعي لتمثيل المعارف، وتتكون عامة من الأشجار أو الشبكات ... ويرجع الفضل في استحداث الشبكات خاصة إلى كويليان (١٩٨٦).
انظر مزيدا من البيان عن هذه الشبكات في (بوني ١٩٨٤) و(ديك ١٩٨٦ج) و(صباح ١٩٨٨).

لذلك - أن تختلف باختلاف اللغات. وإذا حصل ذلك، يعسر أن تفسر ترجمة المعارف من لغة إلى أخرى بما أن هناك بنيات تصورية مختلفة.

٧-١-٢- فرضية البساطة المعرفية:

مفاد هذه الفرضية التي يدافع عنها ديك في عدد من أعماله (ديك ١٩٨٦ج، و١٩٨٧أ، و١٩٨٨ي، و١٩٨٩هـ)، أن "لغة" تمثيل المعرفة تستخدم - من جهة - بنيات مجردة مشتركة بين المخلوقات البشرية، وترتبط - من جهة أخرى - باللغة الطبيعية المتحدث بها.

ومن الدلائل التي يسوقها لصالح هذا الافتراض نذكر ما يلي:

أ - تُعد الحمول التحتية متماثلة عبر اللغات على اختلافها. وينجم عن ذلك أن الحمول في لغة مصدر يمكن ترجمتها إلى حمول في لغة هدف دونما صعوبة تذكر، وأن المعرفة المجسدة في حمول اللغة الأولى يمكن نقلها إلى حمول اللغة الثانية.

ويؤدي تمثيل المعرفة في بنيات مجردة هذا النوع من التجريد إلى تقليص الفروق بين اللغات.

لنضرب مثلاً لذلك بعبارتين، إحداهما من اللغة الإنجليزية والأخرى من اللغة اليابانية:

(123) – The children are playing in the bath.

(124) – Kodomotachiwa ofuro no naka de asonde imasu
child – plur top bath of inside in playing be-pres-polite

تأدب حاضر كان يلعب في داخل الحديقة محور جمع طفل

تلاحظ فروق كبيرة بين هاتين الجملتين في بنيتهما السطحية. فالرتبة في اللغة اليابانية من نمط (فاعل - س - فعل)، وهي في الإنجليزية من نمط (فاعل، فعل، مفعول). كما تتميز اليابانية عن الإنجليزية بخصائص، منها:

- مواكبة العلامة (wa) للمكون الذي تستند إليه الوظيفة التداولية المحور لكونه يحمل معلومة مشتركة بين المتكلم والمخاطب،
- عدم تخصيص مقولة التعريف بأداة نحوية معينة،
- مواكبة العلامة (tachi) للمكون الدال على الجمع،
- تخصيص العلامة (imasu) للدلالة على صيغة التأدب في العبارة مقابل (iru) للدلالة على العكس. وعلى الرغم من هذه الفروق البينة بين الجملتين إلّا أن تمثيلهما في صورة حملين تحتيين يقلص بينهما تلك الفروق، ويجعل منها - أو يكاد - بنيتين متماثلتين كالآتي:

(125) – DECL pres Play v
(dm x: child N (xi) Ag Subj Top
(dl xj: bathN (xj))Loc

(126) – DECL Pol pres progr asobu v
(mx I: kodomo N(xi)Ag Subj Top
(xj: ofuro N (xj))Loc

إذا استثنينا الوحدات المعجمية المختلفة باختلاف اللغتين، فإن الفروق بين البنيتين تقلصت إلى ما يلي:

- حضور مخصص التأدب (POL) في البنية (١٢٠) وغيابه في البنية (١٢٧)،
- عدم تخصيص الاسم (Kodomo) في البنية (١٢٤) بمخصص التعريف،
- عدم تخصيص الاسم (ofuro) في البنية (١٢٤) بمخصص الإفراد (١).

أما مظاهر التماثل في البنيتين فتتجلى في:

- المخصص الإنجازي الإخبار (DECL)،
- ومخصص الزمن الحاضر المستمر (pres progr)،
- ومخصص الجمع (m) في الحد الأول (kodomo/child)،
- والوظائف المسندة إلى الحدين الأول والثاني:

الوظيفة الدلالية المنفذ (Ag) والوظيفة التركيبية الفاعل (subj) والوظيفة التداولية المحور (Top) بالنسبة للحد الأول. والوظيفة الدلالية المكان (Loc)، بالنسبة للحد الثاني (ofuro/bath).

- وعدد محلات المحمول المحدد في محلين اثنين (xi) و(xj).
- ومقولة الحدين المحددة في الاسم (N)

وبعبارة أخرى، حين نتصور نموذجًا لمستعمل اللغة الطبيعية مؤلفًا من قالب مستقل عن اللغة المتحدث بها وقالب مرتبط باللغة المتحدث عنها، فإن ذلك يمكن - مثلًا - من تغيير نموذج متكلم اللغة الإنجليزية بنموذج متكلم اليابانية، وذلك فقط بتعويض القالب المرتبط بالإنجليزية بقالب مرتبط باليابانية.

ب - تعرف اللغة الطبيعية ظاهرة الترداف المتمثلة في إمكان تقديم المعلومات ذاتها بعبارات متنوعة، كما يوضحه المثال الآتي:

(127) – a- Patrick kissed Cynthia.
b- Cynthia was kissed by Patrick.

تقدم هاتان الجملتان حدثًا واحدًا بطريقتين مختلفتين حسب ما يقتضيه سياق كل واحدة منهما. ولكن طريقة تقديم الحدث لا تعد أساسية في معرفة الحدث نفسه. لذلك ينبغي تمثيل المعلومات التي تشكل الحدث بعيدًا عن الاختلافات الناجمة عن طريقة تقديم الحدث في صورة (أ) أو (ب). ومعنى ذلك أننا في حاجة إلى بنية معرفية أكثر تجريدًا من (أ) و(ب)، تتضمن

المعلومات المشتركة بينهما.

ج - تعرف اللغات الطبيعية ظاهرة اللبس المتمثلة في إمكان إسناد تأويلين دلاليين أو أكثر إلى جملة واحدة، كما هو الشأن في المثال الآتي:

(128) – Patrick didn't like Cynthia's kissing him.

حيث يمكن اعتبار العنصر (him) عائدًا على (Patrick)، كما يمكن اعتباره عائدًا على شخص آخر غير (Patrick). وفك التباس من هذا القبيل يرجع إلى مستوى تمثيل المعلومات الواردة في هذه الجملة.

د - تلجأ اللغات الطبيعية للتعبير عن بعض المقولات النحوية إلى تخصيص عناصر دالة على تلك المقولات. تستعملها أحيانًا وتستغني عنها أحيانًا أخرى، كما يوضحه المثال الآتي:

(129) – The man

(130) – Patrick

تخصص اللغة الإنجليزية الأداة (The) للتعبير عن التعريف كما في (١٢٩)، وتستغني عن إعمال هذه الأداة مع حضور معنى التعريف في عبارات أخرى كما في (١٣٠).

من أجل بيان تماثل (The man) و(Patrick) من حيث التعريف، ومحو الفرق الظاهر بينهما بنيويًا ينبغي اللجوء إلى مستوى أكثر تجريدًا، هو مستوى تمثيل المعلومات.

تدل هذه المعطيات على أن بنيات تمثيل المعرفة ينبغي - من جهة - أن تكون واقعية بما فيه الكفاية لكي ترصد مضمون المفردات في لغة معطاة، وأن تكون - من جهة أخرى - مجردة حتى تقلص الفروق بين اللغات، وترصد الترادفات، وتفك الالتباسات، وتهمل ما ليس واردًا من تفاصيل نحوية في العبارات.

تعد فرضية البساطة المعرفية الفرضيةَ التي تجمع - في نظر ديك - بين خاصيتي الواقعية والتجريد[1]. وصياغتها كالآتي:

(١٣١) - الحمول التحتية = ل٠

(١٣٢) - ل٠ = ل١ = ل٢ = ل٣

تعني هذه الصياغة في شقها الأول (١٥٤) أن الحمول التحتية المفترضة في النحو الوظيفي هي ذاتها "لغة" التمثيل المجردة (ل٠).

ويعني الشق الثاني (١٣٢) أن "لغة" التمثيل المجردة (ل٠) تعادل "لغة" تمثيل المعرفة

(١) من أجل الاطلاع على مناقشة مفصلة لفرضية البساطة المعرفية، انظر (نوتس ١٩٩٠).

اللغوية (ل١)، وتعادل لغة تخزين المعلومات في القالب المعرفي (ل٢)، كما تعادل "لغة" التمثيل المنطقي (ل٣). ونضيف أنها تعادل لغة القالب القصدي أيضًا. إلّا أن هذه المعادلة ليست مطلقة. فقد بين الدكتور المتوكل (١٩٩٥: ٥٠-٥٣) أن البنية التحتية الممثل لها في القالب النحوي والقالب المنطقي لا تطابق مطابقة تامة البنية التحتية الممثل لها في القوالب الأخرى (كالقالب المعرفي والقالب الاجتماعي...) إذ «تختلف بنيتا القالبين النحوي والمنطقي عن بنيات القوالب الأخرى من حيث إنهما بنيتا جملتين تامتين لا بنيتا مجرد قضيتين. ولعل هذا الاختلاف بين البنيات من حيث الطبيعة راجع إلى أن البنيتين الممثل لهما في القالبين النحوي والمنطقي بنيتان فعليتان للعبارة اللغوية، في حين أن البنيات الممثل لها في القالب المعرفي أو القالب الاجتماعي مجرد تمثيلات لمعلومات يقتضيها تحليل العبارة أو تأويلها أو هما معًا».

وبعبارة أخرى، يمكن القول إن «البنيات التحتية الممثل لها في القالبين النحوي والمنطقي تتضمن طبقة إنجازية، في حين أن البنيات التي نجدها في القوالب الأخرى لا تتعدى الطبقة القضوية».

كما بين في مكان آخر (المتوكل ١٩٩٣:٢٦) ضرورة التمييز بين نمط الجملة الدال على صيغتها العامة (خبر، استفهام، أمر، تعجب)، وبين القوة الإنجازية الحرفية أو المستلزمة. إذ قد تكون صيغة الجملة خبرًا، وتكون قوتها الإنجازية دالة على غير الإخبار، كالدلالة على "الدعوة" و"الإنذار" كما في الجملتين الآتيتين"

(١٣٣) - يسعدني أن أراك كل يوم.

(١٣٤) - إن السماء منذرة بالأمطار.

حيث يمكن تأويلهما كالآتي:

(١٣٥) - زرني كل يوم!

(١٣٦) - خذ معطفك أو مظلتك!

كما يمكن أن تستعمل صيغ متعددة للدلالة على قوة إنجازية واحدة، كما تبينه الأمثلة الآتية:

(١٣٧) أ- اقض معي عطلة الصيف!

ب - هل تقضي معي عطلة الصيف؟!

ج - يسرني أن تقضي معي عطلة الصيف.

د - ما أجمل أن تقضي معي عطلة الصيف!

حيث استعملت صيغ الأمر والاستفهام والخبر والتعجب بالتوالي للدلالة على قوة إنجازية

واحدة وهي الالتماس.

ومفاد ذلك أن نمط الجملة مخصص قائم الذات مستقل عن مخصص القوة الإنجازية. وعلى هذا الأساس، اقترح (المتوكل ١٩٩٥: ٥٦) التمثيل لهما معًا في مستوى البنية التحتية كالآتي:

(١٣٨) - [ج٤ [ج٤ ق ي': [قضية]]]

حيث ج٤ = نمط جملي، وج٤' = قوة إنجازية.

ونوضح بالمثال التالي كيفية تمثيل المعلومات باستخدام بنية الحمل التحتي، آخذين بالاعتبار المقترحات السابقة[1]:

(١٣٩) - هل تملك مالًا فائضًا؟

يستدعي تأويل هذه الجملة تحديد بنيتها التحتية الممثلة في القالب النحوي كما يلي:

(١٤٠) -[سه [سؤ ق ي: [س ي: [و ي حض: [غ تا م . ل . ك .{فعل} ف

(ع ذ١ س١: ضمير المخاطب) (ن ذ ج س٢: {مال س): (فائض ص) متق]]]]

ويفاد من هذا التمثيل أن السؤال (سؤ) هو مخصص الحمل الإنجازي، وأن الاستفهام (سه) هو مخصص نمط الجملة، وأن محمول الواقعة فعل (ف) مصاغ على وزن (تفعل) زمنه الحاضر(حض) وجهته غير تام (غ تا)، وموضوعه الأول(س١) ضمير معرف (ع) مذكر (ذ) مفرد(١)، وظيفته الدلالية متموضع (متض)، وموضوعه الثاني (س٢) اسم (س)، نكرة (ن) مذكر(ذ) جمع (ج)، مقيد بصفة (ص) فائض، وظيفته الدلالية متقبل (متق).

كما يستدعي تأويل الجملة (١٦٢) الاستعانة بالمعلومات الواردة في القالبين المعرفي والاجتماعي، والممثلة كما يلي على التوالي:

(١٤١) - [ق ي: [س ي: [حض و ي:

[غ تا ع. ل. م{فَعِل} ف

{(ع ذ١ س١: متكلم س) مجر

(س١: [س ي: [حض و ي:

(ع تام ل ك {فَعَل} ف (ع ذ١ س١: مخاطب س)]

(ن ذ ج س٢: {مال س): (فائض ص} متق]]] متق]]]

---

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن طبقات البنية التحتية ونوع المعلومات التي يجب أن تتضمنها، انظر (المتوكل ١٩٩٢ب).

حيث يعلم المتكلم (المعرف (ع)، المذكر (ذ)، المفرد (١)، الحامل للوظيفة الدلالية مجرب (مجر)) واقعة (س٠) زمنها في الحاضر (حض)، وجهتها غير تام (غ تا)، مفادها أن المخاطب (المعرف (ع)، المذكر (ذ)، المفرد (١) الحامل للوظيفة الدلالية مالك (ما)) يملك مالًا (نكرة (ن)، مذكرًا (ذ)، جمعًا (ج)، حاملًا للوظيفة الدلالية (متق)) مقيدًا بكونه فائضًا. ويفاد من هذا التمثيل أيضًا أن معرفة المتكلم بهذه الواقعة معرفة مخزونة بالصورة الآتية:

(١٤٢) - [ق ي: [س ي: [حض و ي:

[غ تا م. ل. ك {يَفْعَل} ف

{(ع ذ ١ س١: مخاطب س) متض

ع ذ ١ س١: متكلم س) متض

(ع ذ ١ س٢: مخاطب س) متض}

(ع ذ ١ س٣: وضع س: اجتماعي ص: متماثل ص) متق]]]]

يفاد من هذا التمثيل - بالإضافة إلى ما سبق بيانه في القالب النحوي والقالب المعرفي - أن لكل من المتكلم والمخاطب وضعًا اجتماعيًا متماثلًا.

ومن أجل استكمال تأويل الجملة (١٣٩) تتدخل قواعد الاستدلال الآتية:

(١٤٣) أ- يسأل المتكلم المخاطب عمّا إن كان يملك واقعة من الوقائع.

ب - يعلم المتكلم أن المخاطب يملك هذه الواقعة.

ج - يريد المتكلم إذن أن ينقل إلى المخاطب فعلًا إنجازيًا آخر غير السؤال.

د - مع أن المتكلم استعمل جملة استفهامية إلّا أنه لا يريد بها السؤال.

هـ - للمتكلم والمخاطب وضع اجتماعي متماثل.

و - يريد المتكلم إذن إنجاز التماس لا سؤال.

ومن الواضح أن قواعد الاستدلال هذه اتخذت دخولًا لها المعلومات المتمثلة في القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب الاجتماعي، ومكنت من بناء البنية المنطقية الممثلة في القالب المنطقي كالآتي:

(١٤٤) [أ م [مس ق ي: [س ي: [حض و ي:

[غ تا م ن ح {فَعَل} ف

(ع ذ ١ س١: ضمير المخاطب)منف

(ع ذ١ س٢: ضمير المتكلم)مستق

{(ن ذ ج س٣: مال س): (فائض ص) }متق]]]].

يفاد من هذا التمثيل خاصة أن الأمر (أم) لا الاستفهام (سه) هو مخصص نمط الجملة، وأن الالتماس (مس) لا السؤال (سؤ) هو مخصص الحمل الإنجازي.

كما يفاد أن المقصود بالجملة (١٦٢) ما يقارب القول:

"امنح أنت (أيها المخاطب) أنا (المتكلم) مالًا فائضًا".

فيكون بذلك المخاطب منفذا (منف)، والمتكلم مستقبلًا (مستق)، والمال متقبلًا (متق).

وإذا كان هذا المثال يبين كيفية استخدام الحمول التحتية لتمثيل المعلومات سواء في القالب النحوي أم القالب المعرفي أم القالب المنطقي ويقدم دعمًا تجريبيًّا لفرضية البساطة المعرفية، فإنه يبين من جهة أخرى أن الحمول التحتية صالحة أيضًا لتمثيل المعلومات في القالب الاجتماعي كما يفترض ذلك الدكتور المتوكل (قيد الطبع ب)، ويوسع الصياغة لتصبح كالآتي:

(١٦٨) ل٠ = ل١ = ل٢ = ل٣ = ل٤

(ل٤ = لغة تمثيل المعلومات في القالب الاجتماعي).

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الافتراض المصوغ أعلاه بخصوص تمثيل المعرفة يتعلق فقط بالمعرفة التصورية، أما المعرفة الإدراكية التي تتألف من صور الأشياء كما تدركها الحواس فتحتفظ بصورتها كما هي، ولا يمكن تمثيلها في شكل حمول تحتية أو غيرها. إذ إن إدراكي البصري للبحر - مثلًا - لا يتم تخزينه إلّا على صورته المدركة تلك.

وبناء عليه، فإن المعلومات الإدراكية المخزونة في القالب الإدراكي مستثناة من فرضية البساطة المعرفية. ونفترض - تبعًا لذلك - أن للمعلومات المتوفرة في القالب التخيلي الوضع نفسه؛ إذ إنها عبارة عن صورة ذهنية مركبة من مدركات حسية، لا يمكن تمثيلها في شكل حمول تحتية أو غيرها، ولا يمنع ذلك من أن نفترض أن تركيب هذه الصور الذهنية - الممكنة أو المتخيلة - يخضع لجملة من المبادئ التصورية، كمبادئ المشابهة ومبادئ المجاورة[1].

(١) نتصور أن النشاط التخيلي يخضع لجملة مبادئ توجه عمله. فالتأليف بين الصور بطريقة محددة، والإحالة على الشيء ببعض سماته وغير ذلك من مظاهر النشاط التخيلي لا يمكن قيامها إلّا وفق مبادئ مضبوطة. في هذا الصدد، اقترح الدكتور غاليم عددا من المبادئ قسمها إلى «مبادئ تصورية استعارية قائمة على المشابهة، وأخرى كنائية قائمة على المجاورة...» وافترض أن هذه «المبادئ التصورية تعتبر أساسا تتفرع عنه المبادئ العلاقية الدلالية». (غاليم ١٩٨٧: ١٠٦ و ١٠٧).

٨- خاتمة:

كان هدفنا في هذا الفصل أن نساهم مع المساهمين في تطوير الأعمال الرامية إلى بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية، وذلك بعرض أهم الافتراضات التي يقوم عليها هذا المشروع ومناقشتها. حيث افترضنا بنية جديدة لنموذج مستعملي اللغات الطبيعية؛ حددنا داخلها العلاقات المفترض قيامها بين القوالب، وحللنا المعطيات اللغوية الدالة على وظيفة كل قالب على حدة؛ وفحصنا الافتراضات المقدمة للإبقاء على أوردها. وعززنا ذلك بأمثلة توضيحية.

وقمنا بمراجعة هذه الافتراضات جميعها في ضوء مستجدات نظرية النحو الوظيفي الخطابي، وأضفنا قالبًا جديدًا هو القالب القصدي إلى بنية نموذج (م ل ط)، وبينا طريقة عمله وتفاعله مع القوالب الأخرى.

ثم تطرقنا إلى إشكال تمثيل المعلومات داخل كل قالب. وقدمنا ما صيغ من افتراضات في الموضوع؛ وعززنا ذلك بأمثلة توضيحية، وذهبنا إلى أن القالب التخيلي شبيه في مستوى تمثيل المعلومات بالقالب الإدراكي.

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب

لعله أجدر بصدارة هذه الخاتمة توكيد القول إن للغة وظيفتين عظيمتي القدر: وظيفة إقامة التواصل بين المخلوقات البشرية بكيفية لا يرقى إلى أدائها أية أداة، ووظيفة عكس العقل البشري بكيفية لا يقوم بها أي نسق آخر.

وقد أدى الربط بين هاتين الوظيفتين إلى نتائج علمية باهرة. ولم يكن ذلك وليد الفكر اللساني المعاصر فحسب: إذ إن اللغويين العرب القدماء - كما يتبين من الفصل الأول - كانوا يربطون بين اللغة وبين وظيفة التواصل التي تؤديها من جهة، كما كانوا يربطون بين اللغة وبين نفس المتكلم أو عقله من جهة أخرى، إلّا أن إمكاناتهم العلمية لم تسمح لهم بإحكام هذا الربط أو الدفع به إلى حدوده القصوى. ولم يتحقق ذلك بوضوح إلّا في عهد اللسانيات الجديد على الرغم من توالي عدد من الأعمال القيمة في الفكر اللغوي الغربي الحديث.

لقد كان لظهور مصطلح "القدرة" الفضل في توجيه مسار البحث اللساني نحو ربط اللغة بالمتكلم، وإحياء المقولة القديمة "اللغة مرآة العقل". إلّا أن الفضل في إحكام الربط بين وظيفة التواصل ووظيفة عكس العقل، يرجع - خاصة - إلى ظهور مصطلح "القدرة التواصلية"، وانبعاث تيار اللسانيات الوظيفية.

من أجل بيان ذلك خصصنا الفصل الأول وأوضحنا فيه أن تبني "القدرة النحوية" موضوعًا للنظرية اللسانية يؤدي إلى استبعاد وظيفة التواصل من البحث، بل وإقصائها من بنية النحو ذاتها أو تهميشها في أحسن الأحوال.

وقدمنا في هذا الصدد أعمال هايمز التي كشفت النقاب عن أن الدلائل التي سيقت لصالح البحث في "القدرة النحوية" واستبعاد ما سواها ليست صحيحة ولا كافية. وأن ثمة من الدلائل ما يقوى على إثبات سلامة اختيار الاتجاه التواصلي واتخاذ "القدرة التواصلية" موضوعًا للنظرية اللسانية.

وبعد رصد مسار ظهور "القدرة التواصلية" مفهومًا ومصطلحًا ومكونات، بينا أن اللسانيات الوظيفية أنسب إطار للبحث فيها، وأن الأنحاء الوظيفية، كنحو الوجهة الوظيفية (دانيش (١٩٧٠) والنحو الوظيفي (ديك ١٩٧٨) ونحو الأدوار والإحالة (فان فالين وفولي ١٩٨٠) ونظرية النحو

الوظيفي (ديك ١٩٨٩) وغيرها تمثل -جزئيًا- لهذه "القدرة". كما بينا أن مشروع بناء "نموذج مستعملي اللغات الطبيعية" الذي أعلن عنه ديك (ديك ١٩٨٩) يستجيب للرغبة في تمثيل "القدرة التواصلية" تمثيلًا كاملًا.

إلّا أن الإعلان عن هذا المشروع كان رهينًا -في الواقع- بظهور مصطلح القدرة التواصلية وتطور اللسانيات الوظيفية، واستحداث المقاربة القالبية. إذ لم يكن بالإمكان الحديث عن نموذج مستعملي اللغات الطبيعية في غياب الموضوع الذي سيقام هذا النموذج على غراره لمحاكاته، وهو القدرة التواصلية، وفي غياب تحديد دقيق لمضمونها ومكوناتها.

ولم يكن بالإمكان التفكير في تمثيل هذه القدرة تمثيلًا كاملًا لولا النجاح الذي حققته الأنحاء الوظيفية في تمثيلها جزئيًا، ولولا الإمكانات التي تمنحها المقاربة القالبية والمتمثلة أساسًا في بناء قالب لكل مكون من مكونات القدرة التواصلية يتمتع باستقلاله ويتفاعل مع غيره من القوالب، وفي إمكان تعويض أي قالب - إذا ثبت عدم كفايته - بقالب آخر أكفى منه، دون المساس ببنية النموذج ككل.

من أجل ذلك، عقدنا الفصل الثاني وحددنا فيه مفهوم القالبية وأصولها المعرفية، وإطارها العام وعرضنا الأفكار المناهضة لها والردود عليها.

وعمدنا إلى كشف أدوار القالبية في بناء الأنحاء المعاصرة سواء منها التوليدية في صيغها المختلفة (النظرية المعيار والنظرية المعيار الموسعة ونظرية الربط العاملي. . .) أم الوظيفية، كالنحو الوظيفي في صيغتيه. وقد ركزنا خاصة على هذا النحو - من بين الأنحاء الوظيفية - لكونه النحو المعتمد دون غيره في بناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية. كما كشفنا دور القالبية في بناء هذا النموذج، والأهداف المتوخاة منه، والمبادئ المنهجية المتبناة في إقامته.

وقد تمكنا في هذين الفصلين من وضع الأفكار الموجهة لهذا البحث. ويمكن إجمال أهمها في ما يلي:

- يقتضي كل تواصل بين المخلوقات البشرية تدخل طاقات أخرى إلى جانب الطاقة اللغوية.
- تنظم مجموع هذه الطاقات في نسق ذهني واحد يدعى "القدرة التواصلية".
- يستدعي بناء نموذج للقدرة التواصلية إقامة نحو وظيفي يمثل للطاقة اللغوية.
- يعد النحو الوظيفي - المنسوب لسيمون ديك - أكفأ نحو من بين الأنحاء الوظيفية في الوقت الراهن - يمكن أن يقام على أساسه نموذج يمثل للقدرة التواصلية.
- توفر المقاربة القالبية، بفضل الإمكانات التي تمنحها، حظوظ النجاح لبناء نموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

وشرعنا في بحث تفاصيل بناء هذا النموذج، وخصصنا لذلك الفصل الثالث، وعُني أساسًا

بالنظر في:

أ - عدد الطاقات التي تشكل القدرة التواصلية.

ب - ومكونات هذه الطاقات الممثل لها في صورة قوالب.

ج - وطبيعة الدور الذي يقوم به كل قالب وطريقة عمله.

د - والتفاعل القائم بين هذه القوالب ونظام هذا التفاعل.

هـ - وكيفية تمثيل المعلومات داخل كل قالب من القوالب التي تؤلف نموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

عرضنا أهم الأعمال السابقة في الموضوع بغاية النظر في الافتراضات القائمة وتمحيصها والإبقاء على ما يستعصي منها على الدحض وتطعيمها بافتراضات جديدة مع بيان وجه الحاجة إليها.

واقترحنا - من جهتنا - ضرورة إضافة "طاقة تخيلية" على أساس أنها الطاقة التي "تمكن مستعملي اللغات الطبيعية من اختلاق صور افتراضية تنتمي إلى أحد العوالم الممكنة، ومن بناء وقائع متخيلة تنتمي إلى أحد العوالم الخيالية لتحقيق أهداف تواصلية محددة". واستدللنا على ورودها في إنتاج البنيات الشرطية والبنيات المجازية والبنيات الاستعارية والبنيات الرمزية وتأويلها. وانتهينا إلى صياغة بنية جديدة لنموذج مستعملي اللغات الطبيعية.

وعقدنا الفصل الرابع، وصغنا فيه عددًا من الافتراضات، وفسرنا فيه عمل هذا النموذج. ويمكن إجمال أهمها في الآتي:

- تتحفز كل القوالب للإسهام في قيام التواصل اللغوي بمجرد ما تتأكد نية المتخاطبين في إقامته.
- يتدخل كل قالب لأداء وظيفته المنوطة به تلقائيًا إذا وجد المحفز، وعند انعدامه يظل في حالة انتظار.
- يضطلع كل قالب بوظيفة محددة: تنسب وظيفة تخزين المعلومات للقالب المعرفي، ووظيفة تأويلها للقالبين النحوي والمنطقي، ووظيفة الإمداد بها للقالبين الاجتماعي والإدراكي، ووظيفة تصوير وقائع ممكنة أو خيالية للقالب التخيلي.
- تتفاعل القوالب فيما بينها بحسب ما يستدعيه إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها في مقامات تواصلية محددة.
- يخضع تفاعل القوالب إلى آليات الضبط الذاتي حيث لا تحتاج القوالب إلى إواليات مراقبة تشرف على تسييرها.
- تحكم التفاعل بين القوالب علاقتان: علاقة دائمة وعلاقة عرضية.

- تتجلى العلاقة الدائمة بين بعض القوالب في:

أ - توقف عمل القالب النحوي دومًا على القالب المعرفي.

ب - توقف عمل القالب المنطقي دومًا على القالب المعرفي من جهة، وعلى القالب النحوي من جهة أخرى.

ج - توقف عمل القالب التخيلي على القالب الإدراكي.

وراجعنا هذه الافتراضات في ضوء مستجدات نظرية النحو الوظيفي الخطابي (هنخفلد ومكنزي ٢٠٠٨)، حيث اقترحنا إدراج هذا النحو في نموذج مستعمل اللغة الطبيعية، وأضفنا قالبًا جديدًا إلى قوالبه، هو القالب القصدي.

ولتعزيز الاستدلال على ورود هذه الفرضيات حصرنا كل أنماط التفاعل الممكنة بين القوالب المختلفة، وقمنا بتحليل معطيات من اللغة العربية توضح كل نمط من ذلك التفاعل وكيفية حدوثه.

وأدى بنا ذلك إلى البحث في "اللغة" التي تتواصل بها قوالب نموذج مستعمل اللغة الطبيعية؛ حيث نزعنا إلى تبني فرضية البساطة المعرفية لتميزها بخاصيتي الواقعية والتجريد. وبينا - استنادًا إلى افتراضات ديك والمتوكل - أن الحمول التحتية، بالصورة التي وردت بها نظرية النحو الوظيفي (ديك ١٩٨٩)، صالحة لتمثيل المعلومات في القالب النحوي والقالب المعرفي والقالب المنطقي والقالب الاجتماعي. وذهبنا إلى أن القالب التخيلي شبيه - في مستوى تمثيل المعلومات - بالقالب الإدراكي حيث تحتفظ المعلومات الإدراكية بصورتها كما هي، ولا يمكن تمثيلها في صورة حمول تحتية بخلاف المعلومات التصورية.

إن الانشغال بموضوع القدرة التواصلية وإشكال تمثيلها عمل يَعِدُ - رغم ما يكتنفه من صعوبات - بتحقيق قفزات نوعية في ميدان اللسانيات الوظيفية ويفتح آفاقًا جديدة للبحث اللساني، نذكر منها على سبيل المثال:

- بناء نحو تواصلي لكل لغة من اللغات الخاصة -كالعربية مثلا- يستلهم مبادئه وقواعده الكلية من نموذج مستعملي اللغات الطبيعية.
- معالجة الظواهر اللغوية معالجة لا تأخذ بالاعتبار عمل الطاقة اللغوية فحسب، بل تفاعل هذه الطاقة مع غيرها من الطاقات في إنتاجها وتأويلها.
- تحليل ظواهر الخطاب الأدبي انطلاقًا من افتراض طاقة تخيلية مسؤولة عن إنتاجها وتأويلها متفاعلة مع غيرها من الطاقات.

فعسى أن يساعد هذا البحث على تبصر هذه الآفاق. والحمد لله رب العالمين.

المراجع والإحالات

أ - باللغة العربية

- **ابن جني، عثمان (١٩٥٢)**:
  الخصائص
  تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، الطبعة الثانية، بيروت.
- **ابن خلدون، عبد الرحمن**:
  مقدمة ابن خلدون
  دار إحياء التراث العربي، ط د ت، بيروت.
- **البوشيخي، عز الدين (١٩٩٠)**:
  النحو الوظيفي وإشكال الكفاية.
  رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب مكناس.
- **البوشيخي، عز الدين (١٩٩٢)**:
  مفهوم النموذج اللساني وشروط بنائه
  في: اللسانيات العربية بين النظرية والتطبيق
  سلسلة الندوات، كلية الآداب، مكناس.
- **البوشيخي، عز الدين (١٩٩٥)**:
  الملكة الشعرية: الوضع الأنطلوجي وإشكال التمثيل.
  مجلة علامات، العدد ٣، مكناس
- **حليلي، عبد العزيز (١٩٩١)**:
  اللسانيات العامة واللسانيات العربية
  منشورات دراسات - سال - مطبعة النجاح، الدار البيضاء.
- **الجرجاني، عبد القاهر (١٩٨٩)**:
  دلائل الإعجاز
  تعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط ٢، القاهرة.

- **الزجاجي، أبو القاسم (١٩٧٩):**
الإيضاح في علل النحو
تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ط ٣، بيروت.
- **السكاكي، يوسف (١٩٨٧):**
مفتاح العلوم
تعليق زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت.
- **طه، عبد الرحمن (١٩٨٧):**
في أصول الحوار وتجديد علم الكلام
المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء.
- **طه، عبد الرحمن (١٩٨٩):**
"تجديد النظر في إشكال السببية عند الغزالي ونظرية العوالم الممكنة (١). "
مجلة المناظرة، العدد الأول، الرباط.
- **طه، عبد الرحمن (١٩٨٩ب):**
"تجديد النظر في إشكال السببية عند الغزالي ونظرية العوالم الممكنة (٢)".
مجلة المناظرة، العدد الثاني، الرباط.
- **عصفور، جابر (١٩٨٣):**
الصورة البلاغية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.
دار التنوير/ ط٢، بيروت.
- **العلوي، أحمد (١٩٨٨):**
الطبيعة والتمثال، مسائل عن الإسلام والمعرفة
الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط.
- **غاليم، محمد (١٩٨٧):**
التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم
دار توبقال، الدار البيضاء.
- **غاليم، محمد (١٩٩٩):**
المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي
منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط.
- **الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٨٥):**
اللسانيات واللغة العربية

دار توبقال، الدار البيضاء.

- **الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٨٦):**
المعجم العربي
دار توبقال، الدار البيضاء.

- **الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٠):**
البناء الموازي
دار توبقال، الدار البيضاء.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٥):**
الوظائف التداولية في اللغة العربية
دار الثقافة، الدار البيضاء.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٦):**
دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي
دار الثقافة، الدار البيضاء.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٧):**
من البنية الحملية إلى البنية المكونية:
الوظيفة المفعول في اللغة العربية .
دار الثقافة، الدار البيضاء.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٨أ):**
من قضايا الرابط في اللغة العربية
منشورات عكاظ، الرباط.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٨ب):**
الجملة المركبة في اللغة العربية
منشورات عكاظ، الرباط.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٨ج):**
قضايا معجمية
اتحاد الناشرين المغاربة، الرباط.

- **المتوكل، أحمد (١٩٨٩):**
اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري
منشورات عكاظ، الرباط.

- **المتوكل، أحمد (١٩٩٢):**
التمثيل الدلالي - التداولي في النحو الوظيفي:
من بنية التمثيل إلى بنية متعددة الطبقات.
مجلة المناظرة، عدد ٥.
- **المتوكل، أحمد (١٩٩٣أ):**
آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي
منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (١٩٩٣ب):**
الوظيفة والبنية: مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية.
منشورات عكاظ، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (١٩٩٣ج):**
استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجا
مجلة المناظرة، العدد ٦، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (١٩٩٥):**
قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي.
دار الأمان، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (٢٠٠١):**
قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص.
دار الأمان، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (٢٠٠٥):**
التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات.
مطبعة الكرامة، الرباط.
- **المتوكل، أحمد (٢٠٠٦):**
المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد.
مطبعة الكرامة، الرباط.
- **الوالي، محمد (١٩٩٠):**
الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي
المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

ب - المراجع والإحالات باللغة الأجنبية

- **Abbeduto. Land Rosenberg. Sh (1987):**
  Linguistic Communication and Mental Retardation
  in: Rosenberg(ed): Advances in applied psycholinguistics, v: I, Cambridge University Press.
- **Abbou, A (1980):**
  La didactique de 3ème génération des hypothèses aux projets
  in: Etudes de linguistique appliquée. No 37,1980.
- **Allen, S (1989):**
  Possible worlds in humanities, Arts and sciences: Proceedings of Nobel Symposium 65.
  Berlin: Mouton de Gruyter.
- **Andler, D (1978):**
  Progrès en situation d'incertitude
  in: Le débat, n: 47 - 1987
- **Baker, D (1989):**
  A Formalism for Functional Grammar Expression Rules
  in: J, Connolly and S, (eds).
- **Bakker. D, B Van Derkorst, and G. Van Schaaik (1988):**
  Building a Sentence Generator for Teaching Linguistics.
  in: M. Zock and G. Sabah (eds).
- **Butler, Christopher S (2008b):**
  Cognitive adequacy in structural-functional theories of language
  In: Language sciences 30.1:1-30.
- **Bolton, S (1987):**
  Evaluation de la compétence communicative en langue étrangère.
  Traduit de l'allemand par Yves Bertrand
  Paris: Hatier-Credif.
- **Bonnet, A (1984):**
  L'intelligence Artificielle: Promesse et réalités.
  Paris, Inter-edition
- **Bransford, Jand Franks, (1971):**
  The abstraction of Linguistic Ideas
  In: Cognitive Psychology, 2
- **Brersnan, J (1982):**
  The Mental Representation of Grammatical Relation.
  Cambridge, Mass MIT Press.
- **Bresnan, J and Kaplan, R (1982):**
  Grammars as Mental Representation of Language

In: J, Bresnan (ed.), (1982)

- **Bresnan, J (1982):**
  Control and Complementation.
  In: Bresnan (ed.).
- **Campbell, Rand Wales, R (1970):**
  The study of Language acquisition
  In: John Lyons (ed.): New Horizons in Linguistics London: Penguin.
- **Canale, M and Swain, M (1979):**
  Communicative approaches to second Language teaching and Testing.
- **Carston. R (1988):**
  Language and cognition
  In: Newmeyer (1988). V:3.
- **Chomsky, N (1965):**
  Aspects de la théorie syntaxique
  Traduit de l'anglais par Claude Milner
  Paris: édition du Seuil. 1971
- **Chomsky, N (1972):**
  Studies on Semantics in Generative Grammar
  Mouton the Hague
- **Chomsky, N (1974):**
  Introduction à la théorie standard étendue.
  Trad.: Mitsou Ronat.
  In: Langage. TSE, Herman. 1977.
- **Chomsky, N (1975b):**
  Reflections on Language.
  New-York. Pantheon.
- **Chomsky. N (1979):**
  A propos des structures cognitives et de leur développement: une réponse à Piaget
  In: P. Palmanrini (1979).
- **Chomsky. N (1980b):**
  Roles and Representations
  Oxford-Basi Blakwell.
- **Chomsky, N (1981):**
  Lecture on Government and Binding
  Dordrecht: Foris.
- **Chomsky, N (1984):**
  Knowledge of language: it's nature, origin and use.
  Ms. M.I. T
- **Chomsky, N (1986):**
  Barries

Cambridge; MIT. Press.

- **Chomsky, N (1991):**
Some notes on Economy of derivation and representation
In: R, Freidin (ed.): Principles and Parameters. Theory in Comparative Grammar. Cambridge, Mass: M.I.T. Press.
- **Chomsky, N (1991b):**
Bare Phrase Structure.
Ms-MIT.
- **Cresswell, R (1968):**
Le geste manuel associé au langage
In: Langages, no 10-1968
- **Curtiss, S (1988):**
Abnormal Language acquisition and the modularity of language
In: Newmeyer (1988): V2.
- **Danes, F (1970):**
Functional Sentence Perspective and the organisation of text / Travaux Linguistiques de Prage.
- **Danes, M (1990):**
Thinking is Seeing: visual metaphors and the nature of abstract Thought
In: Semiotica. V: 80-3/4. 1990
- **Dik, S (1978):**
Functional Grammar
Amsterdam: North-Holland.
- **Dik, S (1978b):**
Stepwise lexical decomposition
Lisse: Peter de Ridder Presse.
- **Dik, S (1986).**
On the notion "Functional Explanation"
In: Bassuty (1986).
- **Dik, S (1989):**
The theory of functional Grammar
Part I; the structure of the clause
Dordrecht: Foris.
- **Dik, S (1989e):**
Towards a Unified Coginitive Language.
In: Heyvaests and Steurs (ed.), (1989)
- **Dik, S (1990a):**
How to build a Natural Language User.
In: Hannay and Vester (eds.), (1990)
- **Dik, S (1990b):**

On the semantics of conditionals.
In: Nuyts, Bolkestein and Vet (eds.)

- **Dijk, VT and W. Kintsh (1983)**
  Strategies of Disourse Comprehension.
  New-York: Academic Press.
- **Dubois Charlier. F (1975).**
  Les premiers Articles de Fillmore.
  In: Langages. N 35/1975.
- **Dolezel, L (1992):**
  Possible worlds: Philosophy and Applications
  In: Semiotica V; 90-3/4,1992
- **El-Kettani, O (1993):**
  L'interrogation en Egyptien moderne: forme et fonction
  Thèse de D.E.S, Faculté des lettres, Rabat
- **Fillmore, Ch (1968):**
  The case of case
  In: Ebach and R, Harms (eds.); Universals
  In linguistic theory, New-York: Holt, Rinehart and Winston.
- **Fillmore, Ch (1977):**
  The Case Reopened
  In: P. Colen and Sadok (eds.): Syntax and Semantics, Grammatical Relations, New York: Academic Press.
- **Fodor, J (1983):**
  The Modularity of Mind
  Cambridge; MIT Press
- **Fodor, J (1985):**
  Precis of the Modularity of Mind
  In: The Behavioural and Barin sciences. no: 8
- **Flynn; S (1988):**
  Second Language Acquisition and Grammatical Theory
  In: New Meyer (1988). v:2
- **Frazier, L (1988):**
  Grammar and Language Processing
  In: New Meyer (1988). v:2
- **Frederickson, C (1981):**
  Inference In Preschool Children's
  Conversation; a cognitive perspective
  In: Green and C. Wallat (eds.); Ethnography and language in educational setting.
  Norwood, New Jersey: ABLEX
- **Fromkin, V.A (1988):**

Grammatical Aspects of Speech Errors
In: New Meyer (1988). v:2

- **Gazdar, G et al (1985):**
Generalized Phrase Structure Grammar
Oxford; Basil Blackell.
- **Gethin, H (1988):**
Grammar in Context
London: Glasgow; Collins.
- **Givon, T (1979):**
Syntax and Semantics, 12; Discourse and Syntax.
New-York; Academic Press.
- **Gorman, T (1971):**
Sociolinguistic Implications of a choice of media of instruction.
In: W. Whitely (ed.); Language use and social change. London; Oxford University Press.
- **Greene, J (1972):**
Psycholinguistics; Chomsky and Psychology
Penguin Books
- **Greimas, A.J (1968):**
Condition d'une sémiotique du langage.
In: Langage, no: 10, 1968.
- **Habermas, J (1970b):**
Towards a Theory of Communicative Competence
In: Inquiry, 13
- **Harris, Z (1976):**
Notes du cours de syntaxe.
Trad.: Maurce Gross. Edition du Seuil. 1976.
- **Halliday, M (1985):**
An introduction to Functional Grammar
London; Amold.
- **Hengeveld, Kees & J. Lachlan Mackenzie (2008):**
Functional Discourse Grammar: A typologically-based theory of language structure.
Oxford: Oxford University Press.
- **Heyvaert, F J and. Steurs, (1989):**
Worlds behind Word.
Leuven: Leuven University Press
- **Hymes, D (1994):**
Direction in Ethno Linguistic Theory
In: A. Romney and R, D'andrade (eds.):
Transcultural studies in cognition.
Washington: American anthropological Association.

- **Hymes, D (1971):**
On Linguistic Theory, Communicative Competence and Education
In: Desadvan-Books.
- **Hymes, D (1972):**
On Communicative Competence
In: J Pride et J. Holmes (eds): Sociolinguistics. London: Penguin
- **Hymes, D (1973):**
Towards Linguistic Competence
Traduit en Français par: F. Mugler
In: D. Hymes (1984).
- **Hymes, D (1974):**
Ways of Speaking
Traduit en Français par: F. Mugler
In: D. Hymes (1984).
- **Hymes, D (1982):**
Post face
Traduit en Français par: F. Mugler
In: D. Hymes (1984).
- **Hymes, D (1982):**
Vers la compétence de communication
Traduit de L'anglais par: F. Mugler
Paris: Hatier-Credif.
- **Jakobovits, L (1970):**
Prolegomena to a Theory of Communicative Competence.
In: R. Lucton (ed.): English as second Language. Philadelphia: Center for curriculum development.
- **Johnson-Laird, Ph. and Stevensen, (1970):**
Memory for Syntax
In: Nature, 227
- **Johnson-Laird, Ph. et Al (1973):**
Memory for tacit implication of sentences.
In: Journal of Experimental Psychology, 98
- **Johnson-Laird, Ph. et Al (1976):**
Memory for words
In: Nature, 251
- **Johnson-Laird, Ph. (1983):**
Mental Models
Cambridge: Cambridge University Press
- **Katz, J (1981):**
Language and other abstract objects

An integrated theory of Linguistic description
Cambridge: M.I.T Press
- **Katz, J and Fodor, J (1962):**
What's wrong with the philosophy of Language?
In: Inquiry. 5.
- **Kean, M.L (1988):**
Brain Structures and Linguistic Capacity
In: New Meyer (1988) V2
- **Keenan, E (1974):**
Conversational competence in children
In: Journal of child Language. 1; 1974.
- **Kampson, K (1988):**
Grammar and Conversational principles
In: New Meyer (1988) V2
- **Kendon, A (1992):**
Abstraction in Gesture
In: semiotica v: 90-3/4 1992
- **King, D and Greenon, J (1974):**
Invariance of inference times when information was presented in different linguistic forms.
In: memory and cognition, 2.
- **Kintsh, W and Monk, D (1972):**
Storage of complex information in memory: implication of the speed with wich inferences can be made.
In: Journal of exprimental psycology, 91.
- **Krestiva, J (1968):**
Le geste, pratique ou Communication?
In: Language, No 10, 1968
- **Kolores, P (1966):**
Interlingual facilitation of short-term memory.
In: Journal of verbal learning and verbal behaviour, 5.
- **Lakoff, G (1971):**
On Generative Semantics
In: D. Steinberg and L. Jakobovts (eds.):
Semantics, Cambridge University Press.
- **Lakoff, G (1987):**
Women, fire and dangerous things. What categories reveal about the mind?
Chicago: University of Chicago Press.

- **Leech, G and Svartvik, J (1988):**
A Communicative Grammar of English
Essex: Longman.
- **Levelt, Willem J. M (1989):**
Speaking
Cambridge, Ma: MIT Press.
- **Lyons, J (1977):**
Semantics. Tome 2.
Cambridge: Cambrige University Press.
- **Mehan, H (1972):**
Language using abilities
In: Language sciences 22, 1972
- **Meijs, W (1987):**
Corpus Linguistics and Beyond
Amsterdam: Rodopi
- **Miller, G and Mc Kean. K (1964):**
A chronometric study of some relation between sentences.
Quarterly journal of experimental psychlogy. No 16/1964
- **Montague, K (1974):**
Formal Philosphy
New Haven: Yale University Press.
- **Moutaouakil, A (1982):**
Réflections sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe.
Publications de la faculté des lettres, Rabat.
- **Moutaouakil, A (1987):**
Pragmatic Functions in a Functional Grammar of Arabic
Dordrecht: Foris
- **Moutaouakil, A (1991):**
On Representing implicated illocutionary force: Grammar or Logic?
W P F G: 40.
- **Moutaouakil, A (1992):**
On the layering of the underlying clause structure in Functional Grammar.
W P F G: 50.
- **Moutaouakil, A (2000):**
Reflections on the Layered Representation in FG.
Casa: Afrique Orient.
- **Newmeyer, E (1980):**
Linguistic: Theory in America
London: New-York: Academic Press.
- **Newmeyer, F (1988):**

Linguistic: the Cambridge University Press.

- **Nuyts, J (1990):**
  Linguistic Representation and Conceptual Knowledge Representation.
  In: Nuyts, Bolkestein and Vet (eds.).
- **Nuyts, J (1990):**
  Layers and Levels Representation in theory: a functional view
  Amsterdam: John Benjamins.
- **Orracchioni, C.K (1990):**
  Les interactions verbales, Tome 1.
  Paris: Armand Colin.
- **Palmarini; P (1979):**
  Théories du langage, théories d'apprentissage.
  Editions du Seuil. Paris.
- **Pavel, T (1986):**
  Fuctional worlds
  Cambridge: Harvard University Press
- **Pavel, T (1989):**
  Fuctional worlds and the economy of the imaginary
  In: S, Allen (ed.) (1989).
- **Perlmutter, D (1983):**
  Studies in Relational Grammar 1
  Chicago; Chicago University Press.
- **Piaget; J (1979):**
  La psychogenèse des connaissances et ses significations épistémologiques.
  Editions du Seuil .Paris.
- **Pride, J and Holmes, J (1972):**
  Sociolinguistics
  London; Penguin.
- **Quillian, MR (1968):**
  Semantic Memory
  In: M. Minsky (ed.): Semantic information processing.
  Cambridge, Mass, MIT
- **Ronat, M (1986)**
  La grammaire modulaire
  Les Editions de Minuit. Paris.
- **Roeper, T (1988):**
  Grammatical Principles of first language acquisition: theory and evidence
  in: New Meyer (1988) V:2
- **Ronen, R (1990):**
  Possible worlds in Literary Theory, A game in interdisciplinarity

In: Semiotica, V:80, 3/4 1990
- **Safadi, and Valentine (1990):**
Contrastive Analysis of American and Arabe non-verbal and Paralinguistic Communication.
In: Semiotica, V:82,3/4 1990.
- **Savignon, S (1972):**
Communicative competence: an experiment in foreign language teaching.
Philadelphia: Center for curruculum-development.
- **Schlesinger, I (1971):**
On linguistic competence
in:Y. Bar-Hilled (d): Pragmatics of natural languages, Dorbrecgt: Reidel.
- **Schweller, K .G et al (1976):**
Memory for illocutionary forces and perlocutionary effects of utterances.
In: Journal of verbal learning and verbal behaviour, 15
- **Searle, J (1969):**
Speech acts
London: Cambridge University Press.
- **Siewierska, A (1991):**
Functional Grammar
London and New-York; Routledge.
- **Spolsky, B (1978):**
Educational Linguistics, an introduction
Rowley, Mass: Newbury House.
- **Tanenhaus, MK (1988):**
Psycholinguistics: an overview
in: New Meyer (1988) V.3
- **Trudgill, P (1978):**
Sociolinguistics and sociolinguistics
In: Trudgill (ed.): sociolinguistic patterns in British English. London: Edward Arnold.
- **Van Valin, R and Foly, W (1980):**
Role and reference Grammar
In: Moravcsik, E and Wirth, J (eds.): Current approaches to Syntax and Symantics. 1980, V:13
- **Van Valin, R and Foly, W (1984):**
Functional syntax and universal grammar
Cambridge: Cambridge University Press.
- **Vershueren, J (1987):**
Pragmatics as a theory of linguistic Adaptation.
Working Document 1/1987, University of Antwerp.
- **Vion, R (1992):**

Paris: Hachette supérieur.

- **Wax, M et al (1971f):**
  Antropological perspectives on education.
  New-York; Basic Books
- **Widdowson, H (1978):**
  Teaching language as communication
  Oxford: Oxford University Press.
- **Winograd, T (1972):**
  Understanding Natural Language
  Edinburg, Academic Press.

ـة المصطلحات المستعملة في البحث

مرتبة وفق الترتيب الألفبائي العربي

أ

- إثنوغرافيا التواصل	Ethnography of communication
- أحكام لغوية	Linguistic judgments
- إخبار (مخصص)	Declarative
- أداة	Instrument
- أداة تواصل	Instrument of communication
- أساس	Fund
- استراتيجية التحليل	Parsing strategy
- استعمال اللغة	Language use
- استعمال خلاق	Creative use
- إسناد	Assignment
- إسناد التنغيم	Intonation assignment
- إسناد الحالات الإعرابية	Case assignment
- إسناد النبر	Stress assignment
- إطار	Frame
- إطار حملي	Predicate frame
- إطار منهجي	Methodological frame
- إطار نظري	Theoretical frame
- إعراب بنيوي	Structural case
- إعراب مجرد	Abstract case
- إعراب محقق	Concrete case
- إعراب وظيفي	Functional case
- أعضاء فيزيائية	Physical organs
- افتراض القدرة	Competence hypothesis
- أفعال الكلام	Speech act
- اكتساب اللغة	Acquisition of language
- الأسلوب الكليلي	Galilian style
- العيّ اللغوي	Amnesia

Language production	- إنتاج اللغة
Natural selections	- انتقاءات طبيعية
Anthropology	- أنثروبولوجيا
Performance	- إنجاز
Pragmatically based grammars	- أنحاء مؤسسة تداوليا
Syntactically based grammars	- أنحاء مؤسسة تركيبيا
Semantically based grammars	- أنحاء مؤسسة دلاليا
Ontology	- أنطلوجيا
Paradigm	- أنموذج
Formal paradigm	- أنموذج صوري
Functional paradigm	- أنموذج وظيفي

ب

Focus	- بؤرة (وظيفة تداولية)
Linguistic proficiency	- براعة لغوية
Parameters	- برامترات (وسائط)
Programming	- برمجة
Computer program	- برنامج حاسوبي
Simplicity	- بساطة
Artificial construct	- بناء مصطنع
Structure	- بنية
Clause structure	- بنية العبارة
Underlying structure	- بنية تحتية
Syntactic structure	- بنية تركيبية
Predicative structure	- بنية حملية
Semantic structure	- بنية دلالية
Layered structure	- بنية ذات طبقات
Surface structure	- بنية سطحية
Morphosyntactic structure	- بنية صرفية - تركيبية
Deep structure	- بنية عميقة
Innate structure	- بنية فطرية
Constituency structure	- بنية مكونية
Logical structure	- بنية منطقية

- بنية وظيفية	Functional structure

ت

- تام (مخصص)	Perfect
- تأويل	Interpretation
- تأويل تداولي	Pragmatic interpretation
- تأويل دلالي	Semantic interpretation
- تأويل ذهني	Mental interpretation
- تأويل صوتي	Phonetic interpretation
- تجارب الذاكرة	Memory experiments
- تجريد	Abstraction
- تحليل	Parsing
- تحويلات	Transformations
- تخزين	Storage
- تخزين المعلومات	Information storage
- تخصيص	Specification
- تداوليات	Pragmatics
- تراكيب نحوية	Grammatical constructions
- ترجمة صحيحة	True translation
- ترجمة عميقة	Deep translation
- تركيب	Syntax
- تصوري	Conceptual
- تطابق (مطابقة)	Agreement
- تعريف دلالي	Meaning definition
- تفاعل اجتماعي	Social interaction
- تفسير بيولوجي	Biological explanation
- تكنولوجيا	Technology
- تماسك الخطاب	Discourse coherence
- تمثيل	Representation
- تمثيل المعرفة	Knowledge representation
- تمثيل تداولي	Pragmatic representation
- تمثيل تركيبي	Syntactic representation
- تمثيل دلالي	Semantic representation

- تمثيل منطقي	Logical representation
- تمثيلات ذهنية	Mental representations
- تناسق الخطاب	Discourse cohesion
- تنغيم	Intonation
- تواصل	Communication
- توليد	Generation
- توليد الجمل	Sentence generation
- توليد اللغة	Language generation

ج

- جملة موصولية	Relative clause
- جهاز فهم اللغة	Language comprehension apparatus

ح

- حاسوب	Computer
- حال (وظيفة دلالية)	Manner
- حالات ذهنية	Mental states
- حالة	State
- حالة إعرابية	Case
- حالة أولى	Initial state
- حالة قارة	Steady state
- حدث	Process
- حدود	Terms
- حدود لواحق	Term satellites
- حدود موضوعات	Term arguments
- حدوس لغوية	Linguistic intuitions
- حركة	Dynamic
- حسي	Concrete
- حشو	Redundancy
- حمل	Predication
- حمل تحتي	Underlying predication
- حمل مركزي	Core predication

- حمل موسع	Extended predication
- حمل نووي	Nuclear predication
- حي	Animate

خ

- خرج	Output
- خصائص بيولوجية	Biological properties
- خطاب	Discourse
- خوارزم	Algorithm

د

- دخل	Input
- دلالة	Semantics
- دلالة توليدية	Generative semantics
- دلالة صورية	Formal semantics
- دليل	Argument
- دليل تجريبي	Experimental argument
- دماغ	Brain

ذ

- ذاكرة	Memory
- ذكاء	Intelligence
- ذيل	Tail

ر

- رأس	Head
- رأس رسمي	Nominal
- راموز	Code
- راموز مستقل عن اللغة	Language independent code

س

- سؤال أو استفهام	Interrogative

- سلمية الوظائف الدلالية	Semantic functions hierarchy
- سلوك كلامي	Verbal behaviour
- سلوك لغوي	Linguistic behaviour
- سلوك	Behaviourist
- سلوكية	Behaviourism
- سياق	Contex
- سياق اجتماعي	Social Contex

ش

- شبكة	Network
- شبكة دلالية	Semantic Network
- شرط	Condition
- شفافية	Transparency

ص

- صور	Pictures
- صور افتراضية	Hypothetical pictures
- صور ذهنية	Mental pictures
- صورة صوتية	Phonetic form
- صورة منطقية	Logical form
- صياغة صورية	Formalisation
- صوري	Formal
- صياغة التبعية	Dependency format
- صياغة سمة/ قيمة	Feature/Value Format

ط

- طاقة	Capacity
- طاقة اجتماعية	Social capacity
- طاقة إدراكية	Perceptual capacity
- طاقة تخيلية	Imaginary capacity
- طاقة لغوية	Linguistic capacity
- طاقة معرفية	Epistemic capacity

- طاقة منطقية	Logical capacity
- طبقات	Layers
- طبيعية	Naturalness

ظ

- ظاهرة عارضة	Epiphenomenon

ع

- عالم ذهني	Mental world
- عالم واقع	Real world
- عبارات متحجرة	Idioms
- عبارة	Clause
- عشيرة لغوية	Speech community
- عضو ذهني	Mental organ
- عقل	Mind
- عقلاني	Rationalist
- عقلانية	Rationalism
- علة (وظيفة دلالية)	Reason
- علم الذكاء الاصطناعي	Artificial intelligence Science
- علم النفس	Psychology
- علم النفس التجريبي	Exprimental psychology
- علم النفس المعرفي	Cognitive psychology
- علم نفس النمو	Development psychology
- علوم الدماغ	Brain science
- علوم المعرفة	Cognitive science
- علوم طبيعية	Natural science
- عمل	Action
- عوالم متخيلة	Imaginary worlds
- عوالم ممكنة	Possible worlds
- غير تام (مخصص)	Imperfect

ف

- فاعل	Subject
- فرضية	Hypothesis
- فرضية استقلال التركيب	Autonomous syntax hypothesis
- فرضية البساطة المعرفية	Cognitive simplicity hypothesis
- فرضية الفطرية	Innateness hypothesis
- فرضية القابلية	Modularity hypothesis
- فرضية عمل	Working hypothesis
- فضلات	Complements
- فعل	Verb
- فعل مساعد	Auxiliary verb
- فعل رابط	Copula (verb)
- فقر المثير	Proverty of stimulus
- فهم اللغة	Language comprehension

ق

- قاعدة "انقل أ"	Move & «Rule»
- قاعدة انتقاء الرأس	Head selection rule
- قاعدة معطيات	Data-base
- قاعدة معرفية	Knowledge base
- قالب	Module
- قالب اجتماعي	Social module
- قالب إدراكي	Perceptual module
- قالب تخيلي	Imaginary module
- قالب فرعي	Sub module
- قالب لغوي	Linguistic module
- قالب محلل	Parsing module
- قالب معرفي	Epistemic module
- قالب منطقي	Logical module
- قالب مولد	Generating module
- قالبية	Modulatity
- قالبية العقل	Modularity of mind

- قدرة	Competence
- قدرة اجتماعية - ثقافية	Sociocultural competence
- قدرة أدبية	Literal competence
- قدرة استراتيجية	Strategic competence
- قدرة أسطورية	Methodological competence
- قدرة إقناعية	Argumentative competence
- قدرة بلاغية	Rhetoric competence
- قدرة تداولية	Pragmatic competence
- قدرة تفاعلية	Interactive competence
- قدرة تواصلية	Communicative competence
- قدرة حوارية	Conversational competence
- قدرة رمزية	Symbolic competence
- قدرة سردية	Narrative competence
- قدرة شعرية	Poetic competence
- قدرة لغوية - اجتماعية	Sociolinguistic competence
- قدرة نحوية	Grammatical competence
- قدرة نصية	Textual competence
- قضية	Proposition
- قواعد	Rules
- قواعد إدماج	Insertion rules
- قواعد استدلال	Rules of inference
- قواعد استعمال اللغة	Language utilisation rules
- قواعد أسلوبية	Stylistic rules
- قواعد الأساس	Fund rules
- قواعد الإسقاط	Projection rules
- قواعد التعبير	Expression rules
- قواعد التواصل	Communication rules
- قواعد الحشو	Redundancy rules
- قواعد الخطاب	Discourse rules
- قواعد إنجاز	Performance rules
- قواعد تحويلية	Transformational rules
- قواعد تكوين الحدود	Term formation rules
- قواعد تكوين المحمولات	Predicate formation rules

- قواعد تكوينية	Constitutive rules
- قواعد تكييف	Adjustment rules
- قواعد صرفية - تركيبية	Morphosyntactic rules
- قواعد صوتية	Phonetic rules
- قواعد صياغة المحمولات	Predicate constituency rules
- قواعد صياغة المركبات	Phrase constituency rules
- قواعد مقولية	Categorial rules
- قواعد موقعة	Placement rules
- قواعد معالجة	Processing module
- قواعد إنجازية	Illocutionary force
- قواعد إنجازية حرفية	Literal illocutionary force
- قوة إنجازية مستلزمة	Implicated illocutionary force
- قيد إبستمولوجي	Epistemoligcal constraint
- قيود انتقاء	Selectional restrictions

ك

- كفاية	Adequacy
- كفاية تداولية	Pragmatic adequacy
- كفاية حاسوبية	Computational adequacy
- كفاية نفسية	Psychological adequacy
- كفاية نمطية	Typological adequacy
- كليات لغوية	Linguistic universals

ل

- لاحن	Agrammatical
- لبس	Ambiguity
- لسانيات	Linguistics
- لسانيات اجتماعية	Sociolinguistic linguistics
- لسانيات بنيوية	Structural linguistics
- لسانيات تطبيقية	Applied linguistics
- لسانيات توليدية	Generative linguistics
- لسانيات حاسوبية	Computational linguistics

- لسانيات نفسية	Psycholinguistics
- لسانيات وظيفية	Functional linguistics
- لغات ذات مجال بعدي	Postfield languages
- لغات ذات مجال قبلي	Pre field languages
- لغات صورية	Formal languages
- لغات طبيعية	Natural languages
- لغات أجنبية	Foreign languages
- لغة مصدر	Source language
- لغة هدف	Traget language
- لواحق	Satellites
- لواحق الحمل	Predication satellites
- لواحق المحمول	Predicate satellites
- لواحق إنجازية	Illocutionary satellites
- لواحق قضوية	Propositional satellites

م

- مالك (وظيفة دلالية)	Possessor
- مبادئ	Principles
- مبادئ تفسيرية	Explanatory principles
- مبتدأ (وظيفة تداولية)	Theme
- مبدأ الأسبقية المعجمية	Lexical priority principle
- متجانس	Homogeneous
- مترجم كلي	Universal translator
- متغير	Variable
- متقبل	Goal
- متكلم	Speaker
- مثالي	Ideal
- مثللة	Idealization
- مجرب (وظيفة دلالية)	Experiencer
- مجرد	Abstract
- محاكاة	Simulation
- محدد وراثيا	Genetically determined
- محددات	Determiners

- محلاتية	Valency
- محلل كلي	Universal Parser
- محور (وظيفة تداولية)	Topic
- محيط	Environment
- محيط اجتماعي	Social environment
- محيط فيزيائي	Physical environment
- مخاطب	Addressee
- مخصص الجهة	Aspect operator
- مخصص الزمن	Tense operator
- مخصص الصيغة	Mood operator
- مخصص القوة الإنجازية	Illocutionary force operator
- مخصصات	Operators
- مخصصات الحدود	Term operators
- مخصصات الحمل	Predication operators
- مخصصات المحمولات	Predicate operators
- مخصصات إنجازية	Illocutionary operators
- مخصصات قضوية	Propositional operators
- مدخل معجمي	Lexical entry
- مراقبة	Control
- مستفيد (وظيفة دلالية)	Beneficiary
- مستقبل (وظيفة دلالية)	Recipient
- مستمر (مخصص)	Progressive
- مستمع	Listener
- مستوى	Level
- معالج متعدد اللغات	Multilingual processor
- معجم	Lexicon
- معرفة (مخصص)	Definite
- معرفة إحالية	Referential knowledge
- معرفة إدراكية	Perceptual knowledge
- معرفة تداولية	Pragmatic knowledge
- معرفة تصورية	Conceptual knowledge
- معرفة ضيقة	Short term knowledge
- معرفة عامة	General knowledge

- معرفة عرضية	Episodic knowledge
- معرفة علمية	Scientific knowledge
- معرفة لغوية	Linguistic knowledge
- معرفة مخزونة	Stored knowledge
- معرفة مشتركة	Shared knowledge
- معرفة معجمية	Lexical knowledge
- معرفة نحوية	Grammatical knowledge
- معرفة واسعة	Long term knowledge
- معطى	Given
- معطيات	Data
- معطيات دالة	Significative data
- معلومات جديدة	New information
- معلومات معطاة	Given information
- مفعول	Object
- مفهوم	Notion
- مفهوم مشتق	Derivative notion
- مقاربة	Approach
- مقاربة اجتماعية	Sociological approach
- مقاربة رياضية	Mathematical approach
- مقاربة قالبية	Modular approach
- مقاربة نفسية	Psychological approach
- مقام	Setting
- مقام تواصلي	Social setting
- مقيدات	Restrictors
- مكان (وظيفة دلالية)	Locative
- مكون تحويلي	Transformational component
- مكون تركيبي	Syntactic component
- مكون دلالي	Semantic component
- مكون صواتي	Phonologic component
- ملفوظات	Utterances
- ملكات العقل	Faculties of mind
- ملكات ذهنية	Mental faculties
- ملكات معرفية	Cognitive faculties

- ملكة	Faculty
- ملكة لغوية	Linguistic faculty
- ممكن نسقيا	Systematically possible
- منادى (وظيفة تداولية)	Vocative
- منطق احتمالي	Probabilistic logic
- منطق استنباطي	Deductive logic
- منطق إنجازي	Illocutionary logic
- منطق حملي	Predicative logic
- منطق قضوي	Propositional logic
- منطق كلي	Universal logic
- منطق محمولي	Term logic
- منطق معجمي	Lexical logic
- منطق نصي	Text logic
- منطق وظيفي	Functional logic
- منفذ (وظيفة دلالية)	Agent
- مهارة	Ability
- مواضعات	Conventions
- موقع	Position
- موقع خارجي	External position
- موقع داخلي	Internal position

ن

- نبر	Stress
- نحو	Grammar
- نحو الأدوار والإحالة	Role and reference grammar
- نحو الجملة	Sentence grammar
- نحو الحالات	Case grammar
- نحو الخطاب	Discourse grammar
- نحو الوجهة الوظيفية	Functional perspective grammar
- نحو تواصلي	Communicative grammar
- نحو توليدي	Generative grammar
- نحو علاقي	Relational grammar
- نحو قدرة	Competence grammar

Universal grammar	- نحو كلي
Generalized phrase structure	- نحو مركب معمم
Lexical functional grammar	- نحو معجمي وظيفي
Montague grammar	- نحو مونطكيو
Functional grammar	- نحو وظيفي
Grammatical	- نحوي
System	- نسق
Common understanding system	- نسق الفهم المشترك
Central processing system	- نسق المعالجة المركزي
Visual system	- نسق بصري
Conceptual system	- نسق تصوري
Auditory system	- نسق سمعي
Modular system	- نسق قالبي
Cognitive system	- نسق معرفي
Cognitive subsystem	- نسق معرفي فرعي
Text	- نص
Explanatory theories	- نظريات تفسيرية
Theory	- نظرية
Thematic roles theory	- نظرية الأدوار المحورية
Case theory	- نظرية الإعراب
Performance theory	- نظرية الإنجاز
Barriers theory	- نظرية الحواجز
Binding theory	- نظرية الربط الإحالي
Government and binding theory	- نظرية الربط العاملي
Government theory	- نظرية العاملية
Bounding theory	- نظرية العقد الفاصلة
Parameters and principles theory	- نظرية المبادئ والبرامترات
Control theory	- نظرية المراقبة
Standard theory	- النظرية المعيار
Extended standard theory	- النظرية المعيار الموسعة
Revised extended standard theory	- النظرية المعيار الموسعة المراجعة
Representational theory	- نظرية تمثيلية
Linguistic theory	- نظرية لسانية

- نفي (مخصص)	Negative
- نقل	Movement
- نكرة (مخصص)	Indefinite
- نماذج افتراضية	Hypothetical models
- نماذج خطابية	Discourse models
- نماذج ذهنية	Mental models
- نماذج رياضية	Mathematical models
- نمذجة	Modelisation
- نمط	Type
- نمطية	Typology
- نموذج	Model
- نمو اللغة	Language development
- نموذج حاسوبي	Computational models
- نموذج مستعمل اللغة الطبيعية	Natural language user model
- نموذج نحوي	Gramatical model

و

- واقع ذهني	Mental reality
- واقعة	State of affairs
- واقعية	Reality
- واقعية نفسية	Psychological reality
- وجهة	Perspective
- وحدات معجمية	Lexical items
- وظائف تداولية	Pragmatic functions
- وظائف تركيبية	Syntactic functions
- وظائف دلالية	Semantic functions
- وظيفة	Function
- وظيفة إحالية	Referential function
- وظيفة الفاعل	Subject function
- وظيفة المفعول	Object function

مَسْرَد المُصطلحات

أ

ب

ت

ج

ح

ف

ق

ك

ل

م

ن

و

المحتوى